وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

محاضرات في مقياس تاريخ الفكر التربوي
للسنة أولى ماستر علم اجتماع تربية

إعداد:
د. سمير أبيـــــــش

السنة الجامعية: 2023/2022

الإهـــــداء

عند الانتهاء من أي عمل تقوم به يمر أمامك حتما شريط طويل من أولئك الذين كان لهم أثر واضح على حياتك، فلهم جميعا نهدي ثمار جهودنا التي نؤمن بأنها ليست إلاّ حصادا لغرسهم الطيب.

كما أننا مكلفون شرعا وأخلاقا و منهجا أن نهدي هذه المحاضرات إلى طلبتنا الأعزاء عسى أن تعينهم على مشاق الطريق، ولنا كل الأمل أن يجدوا فيها ذلك.

فهرس المحتويات	الصفحة
الإهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ- ت
المحور الأول: مدخل عام حول تطور الفكر التربوي عبر التاريخ	4 -14
المحور الثاني: التربية في ثقافة العصور الأولى أو التربية عند الإنسان الأول	15-25
المحور الثالث: التربية في الحضارات والثقافات الشرقية القديمة	26- 69
أولا- التربية في الحضارة والثقافة الصينية القديمة	28- 38
ثانيا- التربية في الحضارة والثقافة الهندية القديمة	39- 45
ثالثا- التربية في بلاد الرافدين القديمة	46- 56
رابعا- التربية في الحضارة والثقافة المصرية القديمة(الفرعونية)	57- 69
المحور الرابع: التربية في الحضارات والثقافات الغربية القديمة	70- 126
أولا- التربية في الثقافة والحضارة اليونانية القديمة	71- 108
ثانيا- التربية في الثقافة والحضارة الرومانية القديمة	109- 126
المحور الخامس: التربية في ظل الحضارة العربية الإسلامية	127- 139
أولا- التربية عند العرب قبل الإسلام	128-129
ثانيا- التربية في ظل الحضارة الإسلامية الزاهية (من دولة المدينة المنورة إلى 1492م)	129- 139
المحور السادس: التربية في العصور الوسطى الأوروبية	140- 152
المحور السابع: التربية في عصر النهضة الأوروبية	153- 165
المحور الثامن: التربية في العصور الحديثة	166- 182
أولا- التربية في القرن السابع عشر	167- 170
ثانيا- التربية في القرن الثامن عشر (عصر التنوير)	171- 174
ثالثا- التربية في القرن التاسع عشر	175- 177
رابعا- التربية في القرن العشريـن والواحد والعشرين أو (التربية في عصر الولد)	178- 182
خاتمة	183- 184
مراجع المطبوعة	185- 186

مقدمة

تمثل هذه الورقات مجموعة من المحاضرات والدروس التي نوجّهها إلى طلبة علم اجتماع التربية في موضوع تاريخ الفكر التربوي، وذلك بهدف مساعدتهم على الإلمام والاطّلاع على مختلف التجارب التربوية التي عرفها الإنسان مند الحقب الأولى، وهو الأمر الذي يساعدهم ويعينهم على الفهم السليم والقراءة الصحيحة لتجليات الفعل التربوي من خلال الاستفادة من هذه التجارب، وكيف أن الممارسة التربوية والفكر التربوي في كل عصر هو انعكاس لواقع العصر الذي وجد فيه.

وإن طالب علم الاجتماع التربية يعسر عليه كثيرا فهم الظاهرة التربوية أو تفسيرها دون فهم سيرورتها التاريخية، وتناولها داخل سياقها التاريخية، فالأساس التاريخي كما يسميه علماء أصول التربية هو دون أدنى شك واحد من الأسس المهمة التي ينبني عليها الفعل التربوي وتتأسس عليها الممارسة التربوية.

ويكفي أن نقف على الجهود الكبيرة التي قدمها علماء الاجتماع الرواد في سبيل توليد المعرفة الاجتماعية والتربوية وكيف شكّل استدعاء المعرفة التاريخية أو قراءة الظاهرة الاجتماعية والتربوية في سياقاتها التاريخية رافدا مهما في توليد هذه المعرفة، وأوضح الأمثلة العمل الكبير الذي قام به ابن خلدون في تناوله وتمحيصه للتاريخ ليجد نفسه من خلال هذا العمل يكتشف علما جديدا وفتحا لم يسبقه إليه أحد أصبح اليوم ينسب إليه دون أحد من غيره، أبدع فيه أيّما إبداع وأفاض فيه وأجاد، والعمل الثاني هو ما قدمه إميل دوركايم من إضافات مهمة جدا في مجال النظرية السوسيوتربوية والتي كلها سلك فيها هذا المسلك وهو توظيف المعرفة التاريخية في فهم الواقع الاجتماعي وذلك من خلال قراءته لتطور البيداغوجيا في فرنسا خاصة وغيرها من الأعمال التي قام بها وهي بالأساس ثلاث أعمال، التربية الأخلاقية، التربية والمجتمع، وتطور البيداغوجيا في فرنسا، وكلها تناول فيها البعد التاريخي.

فهذه المحاضرات إذا، جاءت من أجل تحقيق هذا الهدف بالأساس وهو الإلمام بالتجارب التربوية السابقة داخل مختلف الحضارات من أجل المساعدة في فهم الواقع التربوي الاجتماعي المعاصر.

ولقد تم تقسيم هذه المحاضرات إلى مقدمة وخاتمة ومجموعة محاور التزمنا فيها التقيد بعرض التكوين في الماستر الأكاديمي تخصص علم اجتماع التربية المعتمد من طرف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية.

فالمقدمة قدمنا فيها لموضوع هذه المحاضرات والأهداف المرجو تحقيقها وعرض الخطوات والمحاور الكبرى للعمل، وأما محاور المطبوعة فقد تم تقسيمها وفقا لاعتبارات الحقب الزمنية والجغرافية أيضا، وذلك لأننا وجدنا أن هذين البعدين كان مؤثرين جدا في اختلاف الفكر والممارسة التربوية داخل الثقافات والحضارات الإنسانية.

المحور الأول عنواناه بمدخل عام حول تطور الفكر التربوي وهو المحور الذي تناولنا فيه مفهوم الفكر التربوي وأهمية دراسة الفكر التربوي للطالب البحاث المنشغل بالتربية.

المحور الثاني والذي عنوانه بالتربية في ثقافة العصور الأولى أو التربية عند الإنسان الأول وهو المحور الذي أردنا أن نقف فيه على تلك الممارسات التربوية التي مارسها الإنسان الأول قبل ظهور ما بات يعرف بالحضارات أو أشكال التجمع الكبرى وخاصة أردنا أن ندحض من خلاله تلك النظرة الدونية والاستعلائية التي تم تكريسها داخل الفكر التربوي الغربي على الإنسان الذي كان يعيش خلال هذه الحقب من تطور البشرية.

المحور الثالث وهو الذي عنوناه بالتربية في الحضارات والثقافات الشرقية القديمة وهي كل من الحضارة الصينية القديمة والحضارة الهندية القديمة وحضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية في العهد الفرعوني القديم، ولقد تم تناول كل هذه التجارب تحت هذا المحور لما لهذه التجارب من تشابه كبير في خصائصها ولقد أشرنا سابقا كيف أن البعد الجغرافي كان عاملا في تبويب هذه الدروس.

المحور الرابع والذي عنوناه بالتربية في الحضارات والثقافات الغربية القديمة اليونانية والرومانية وذلك أيضا لما وجدناه من تشابه كبير في خصائص هذين التجربتين وللترابط الكبير بينهما فتأثير إحداهما في الأخرى كان واضحا جدا.

المحور الخامس والذي تناولنا فيه التربية في ظل الحضارة العربية الإسلامية الزاهية من دولة المدينة إلى سقوط الأندلس 1492 وهي التجربة التي لا بد أن نشير إلى أنها تختلف عن التجارب الإنسانية السابقة واللاحقة في كونها تجربة وإن كان فيها للعقل البشري حضور مميز إلاّ أن روافدها الأصلية لم تكن روافد بشرية وإنما مصادرها الأساسية هو الوحي القرآن والسنة.

أما المحور السادس وما بعده من محاور فقد تناولنا فيه الظاهرة الغربية بالأساس لأن الحضارة تقريبا غيّرت وجهتها كليا إلى هذا المحور وبات الجهد العقلي والفكري جهدا غربيا بالأساس فكانت البداية مع محور التربية في العصور الوسطى الأوروبية وتم تخصيص الأوروبية هنا لتمييزها عن العصور الوسطى الإسلامية التي كانت تختلف عنها تماما، فهذه المرحلة من العصور الأوروبية كانت عصورا مظلمة كما يصفها أصحابها يخيم عليها التقهقر ومختلف مظاهر التخلف.

وأما المحور السابع فقد تناولنا فيه التربية في عصر النهضة الأوروبية أو التربية من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر وهي المرحلة أو العصر الذي عرفت فيه أوروبا تلك الهزّ العنيفة لمعتقدات وتصورات القرون السابقة وخاصة الوسطى منها، فكانت التمهيد للتربية الحديثة التي ستعرفها أوروبا في القرون اللاحقة.

وأما المحور السابع فقد خصصناه للتربية الحديثة أو التربية في العصور الحديثة، خلاصة التجارب التربوية الإنسانية، وهي التربية التي امتدت من القرن السابع عشر إلى القرن الواحد والعشرون على اختلاف ما بين كل قرن وعصر وآخر، غير أن السمة البارزة هو أن تطور التربية خلال هذه العصور كان يسير نحو الأمام بسرعة كبيرة، وأنّه إذا قسنا ما قطعته التربية خلال هذه العصور على قلتها مقارنة بملايين السنين السابقة فإننا سنلاحظ فرقا وبونا شاسعا في تطور التربية على مستوى التنظير وعلى مستوى الممارسة، وأن التربية وصلت إلى مراحل لم يعد بإمكان للعقل البشري الإحاطة بكل مكنونتها وانتقلت التربية إلى فعل مؤسساتي بعدما كانت في عصور سابقا فعلا فرديا منعزلا في أغلبها.

لنختم هذه الدروس البيداغوجية بخاتمة على شكل خلاصة أبرزنا فيها أهمية الجهد الكبير الذي قطعه الفكر البشري في مجال التربية مع محاولة لتقديم نظرة استراشفية للفعل التربوي على مستوى المنظور الوطني.

آملين في آخر هذه الورقات أن تحقق هدفها ومبتغاها في أن تشكل دعما بيداغوجيا لطلاب علم اجتماع التربية وأن تساعدهم في الإحاطة بتطور الفكر البشري على مر العصور والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المحور الأول

مدخل عام

حول تطور الفكر التربوي عبر التاريخ

أولا- في مفهوم تطور الفكر التربوي

إنه لمن الخطأ الجسيم أن يظن البعض أن التربية الراهنة التي توصف بالحديثة أو الجديدة بمناهجها وأساليبها وطرق تفكيرها وطرائقها الناجعة التي استطاعت أن تخرج من الإنسان أشد إبداعاته، مع مراعاة شديدة لجوهر وكنه هذا الانسان، قد وجدت من عدم أو جراء حادث طارئ، وإنما هي مخاض طبيعي لمسار طويل جدا قطعه الإنسان في مجال التفكير التربوي والاشتغال بحقل التعليم والثقافة عموما مند ملايين السنوات قبل أن يستقر على ما هو عليه اليوم.

وهو المسار أو التطور الذي نسعى إلى تتبعه واقتفاء أثره بغية تحصيل فوائد ومنافع سنأتي على ذكرها فيما بعد، ولكن قبل ذلك نحن ملزمون بإبراز ماذا نقصد بتطور الفكر التربوي:

ويقصد بتطور الفكر التربوي دراسة آراء المفكرين والمربين فيما تركوه في مؤلفاتهم بما يتعلق بالعملية التعليمية وفلسفتها وأهدافها ووسائل تحقيق هذه الأهداف، سواء ما تركوه على شكل توجهات تتعلق بالتعليم بشكل مباشر ومستقل، أم من خلال تحليل ما انطوت عليه آراؤهم السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية فيما يتعلق بالتعليم ومدى ارتباط ذلك بالواقع، ومصادر كل ذلك هو ما تركه المربون والعلماء من توصيات في المجالات والمفاهيم المتعلقة بالحركة العلمية والتعرف على انتاجهم العلمي من خلال ما تاركوه من مؤلفات، وأمّا الأمر الثاني فهو تعليقات وتفسيرات الباحثين المحدثين الذين تناولوا مؤلفات المربين والمفكرين بالبحث والدراسة والتحليل[1]، كان هذا المفهوم كما ساقه الدكتور محمد حسن العمايرة في كتابه أصول التربية.

ونعتقد نحن بدورنا أن تطور الفكر التربوي يتجاوز فقط آراء المفكرين وأعمالهم ويتجاوز أيضا تفسيرات وتعليقات المفكرين المعاصرين، وإن كان هؤلاء المفكرون في كل عصر يمثلون بما امتلكوه من آليات عقلية وعلمية يشكلون خلاصة أي عصر يوجدون فيه، وأن مصادرهم أبدا لم تكن هي وحدها المصادر التي يستقى منها تطور الفكر التربوي في مجتمع وفي أي عصر، بل أن جميع الجهود والممارسات التربوية والتي لم ترتقي إلى مستوى الأفكار المنظمة، ومختلف المنتجات والآثار والشواهد المادية وغير المادية تمثل مصادرا أساسية لدراسة وفهم تطور الفكر التربوي، لأن الفكر التربوي أو التربية عموما هي نتاج علاقة الفرد مع بيئته

[1] – محمد حسن العمايرة: أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، ط 5، دار المسيرة، عمان، 2008، 30.

بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها وهو ما سنلاحظه عند تناول التربية عند مختلف الشعوب والثقافات، وعليه فإن الفكر التربوي هو دراسة تطور التربية بمختلف أبعادها وأشكالها وممارساتها عند مختلف الشعوب، سواء كانت هذه الدراسة دراسة لواقع التربية داخل تلك الشعوب أو من خلال ابداعات مفكريها وفلاسفتها التربويين.

ثانيا- أهمية دراسة تطور الفكر التربوي

يمثل دراسة تطور الفكر التربوي أو الأسس التاريخية للتربية دورا مهما في توجيه التعليم والتعمق في مفاهيمه ومشكلاته، حيث أن هذه الأسس تتيح لنا دراسة جذور مشكلات التعليم واتجاهاته ووسائل مواجهتها في الماضي ومدى ملائمة هذه الوسائل لطبيعة المرحلة التي يواجه فيها التعليم مسئولياته، بمعنى أنه يجب العودة إلى الماضي وفحصه تحقيقاً لمستقبل أفضل حركة للقوى الاجتماعية والاقتصادية وما بينهما من تناقض أو التقاء[1] وبالنسبة للأصول التاريخية فإنه لا يمكن فهم الأوضاع التربوية المختلفة بدون الرجوع إلى المصادر التاريخية المختلفة بالنسبة لهذه الأوضاع، والحقيقة أن النظريات التربوية في جوهرها بناء من التاريخ تساهم فيه الأجيال المتعاقبة، واجتهاد كل جيل في محاولة لأن يصل إلى أفضل صياغة ممكنة لهذه النظرية وذلك على طول تعاقب التاريخ بحيث تؤدى هذه المحاولة في النهاية إلى أكبر حد من الاستفادة الممكنة.[2]

فالتاريخ يسجل الجهود الفكرية للإنسان في محاولاته تفسير الحياة البشرية وفهم صلتها بالوجود، وهو علم ضروري ومهم للعلوم الإنسانية، ووجود البعد التاريخي يساعد العملية التربوية على فهم ما ورثه من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للانطلاق إلى المستقبل، وأيضا يساعد على فهم المشكلات التي مرت على البشرية في مراحل تطورها، والابتعاد عما هو غير صالح لتجنبه والبحث عما هو مفيد، وكذلك الاطلاع على المفاهيم التربوية التي اتبعها الإنسان قديما وكيف تطورت، وإن التربية في علاقتها مع التاريخ تكوّن ما يسمى بتاريخ التربية الذي يدرس حركة المجتمعات البشرية وتفاعلاتها وتأثيرها على التربية[3]

---

[1]- عبد الغني العمراني: أصول التربية، ط2، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2012، 42.

[2]- عامر طارق عبد الرؤوف: أصول التربية، القاهرة، 2008، 35.

[3]- كمال عبد الله والقلي عبد الله، مدخل إلى علوم التربية: محاضرات لطلبة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2005، 49.

إن فكرنا التربوي وممارساتنا التربوية ليست تعبيرا عن عصر واحد من العصور التاريخية وإنما هي تعبيرات عن عصرنا وبقايا عصور تاريخية سبقت عصرنا، فكل فترة تاريخية أسهمت على نحو من الأنحاء في فكرنا وممارستنا سواء كان هذا الإسهام حسنا أم رديئا، ومن تم تكون الرؤية الصائبة للحاضر والمستقبل معتمدة على الفهم الدقيق للماضي والتفسير الذكي للتاريخ، ولا نستطيع أن نطور نظامنا التعليمي إلا إذا عرفنا عدة أمور تتعلق بالماضي، مثل كيف تؤثر فلسفة حياتنا في حاجاتنا التربوية، وكيف تؤثر حاجتنا التربوية في مفهومنا عن التربية، وكيف يؤثر مفهومنا عن التربية في أهدافنا التربوية ومحتوى برامجنا التعليمية وطرق التعليم المستخدمة، وهكذا يكون الماضي مقدمة ضرورية لفهم الحاضر والمستقبل.[1]

وإن من بين أهم أهداف التربية هو تمكين الفرد من حسن التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك من خلال القيام بنقل وإكساب الخصائص والسمات الثقافية والنظم الاجتماعية الموجودة داخل المجتمع إلى هذا الفرد حتى يتحقق له التفاعل الأمثل مع بقية الأفراد الذين يشاركونه هذا المحيط الاجتماعي، ومن هنا تظهر أهمية الأسس التاريخية في بناء الفعل التربوي، حيث أن دراسة هذه الأسس هو الذي يمكّن من معرفة التراث الثقافي بكل عناصره من نظم وعادات وتقاليد وسمات وأنماط وسلوكات وغيراها، كما تساعد دراسة الأسس التاريخية على تحديد الأهداف التربوية باعتبار أن الهدف التربوي ليس إلاّ انعكاسا وتعبيرا صريحا عن طبيعة المجتمع الذي يوجد فيه، ولذلك نجد أن الهدف من التربية في المجتمعات العسكرية كالمجتمع الإسبرطي أو الروماني القديم كان إعداد المواطن القوي الشجاع القادر على القيام بأعمال الحرب، في حين نجد أن الهدف من التربية في أثينا هو الوصول إلى الكمال العقلي لأن مدينة أثينا كانت مدينة فضيلة وعلم ومعرفة ويحتل فيها العلماء والفلاسفة المراتب الأولى في التراتبيات الاجتماعية داخل الدولة.

ويمكن إجمالا ذكر أهم فوائد دراسة تطور الفكر التربوي والتي تمكّن من فهم حاضر التربية، وتحليل أصولها الممتدة من الماضي، والتنبؤ بالمستقبل فيما يلي:

– الوقوف على الأنماط التربوية التي تكونت خلال العصور التاريخية للمجتمع البشري.

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيخية: تطور الفكر التربوي في العصور القديمة والوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص16.

– فهم النظم والمؤسسات التربوية التي ظهرت خلال العصور التاريخية، وما تضمنته من أفكار ونظريات تربوية، وما قامت عليه من فلسفات وسياسات أدت إلى تشكيل تلك النظم والمؤسسات التعليمية وأساليب الممارسة والتطبيق فيها.

– تتبع أفكار وآراء فلاسفة التربية عبر العصور والحضارات، ومدى إسهامها في تطوير أنماط التربية فكرا وتطبيقا، وذلك لما لها من أثر في التربية ونظرياتها.

– تحليل مكونات التعليم الحالي من زاوية العناصر التي ورثها عن الماضي، ومقابلة ذلك بالجديد مما استجد واستحدث، ومن زاوية رصد العوامل والقوى المختلفة التي أثرت وما زالت تؤثر وكيفية مواجهة المشكلات التربوية في الظروف المختلفة.

– فهم وتحليل مسارات التربية ومضامينها التي اتخذتها، وذلك من خلال تطور أهداف التربية ومناهجها وأساليبها

– البحث عن جذور مشكلات التعليم، وعوامل تكونها خلال العصور التاريخية بالتعرف على المفاهيم التي وجهت التربية، والتعرف على القوى السياسية والاقتصادية والثقافية التي أدت إلى تكون المشكلات التربوية، والبحث عن وسائل مواجهة تلك المشكلات في الماضي، ومدى ملاءمة تلك الوسائل لطبيعة الظروف تلك؟ وهل بالإمكان استخدام تلك الوسائل لمواجهة مشكلات حاضر التربية؟ وكذا البحث عن حلول في ضوء دراسة تاريخ وعوامله وقواه الاجتماعية والاقتصادية.

– التعرف على العوامل والقوى الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والظروف والاعتبارات التي وجهت المجتمع والتربية خلال العصور التاريخية وما تمخّض عن ذلك من مؤثرات وأسباب شكلت التربية، وكونت أهدافها ومحتواها وأثر ذلك حتى على الوقت الراهن[1].

وأما سيد إبراهيم الجبار في كتابه دراسات في تاريخ الفكر التربوي فإنه يقدم لنا المبررات التالية لدراسة تطور الفكر التربوي:

– توفير قدر كاف من الحقائق التاريخية التي تعين الدارس على الوصول إلى الفروض والنظريات المتعلقة التربية من المنظور التاريخي.

– مساعدة الدارس على تفسير الحقائق المتصلة بتطور الفكر التربوي اعتمادا على المادة التاريخية ومنهاج تفسيرها بلوغا إلى إصدار أحكام سليمة.

[1]– أحمد علي الحاج: أصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2013، 72.

– إثراء القدرة على التذوق التاريخي بتتبع الأصول الأولى للظّاهرة المختلفة ومحاولة ربط الحاضر بالماضي فيما يتعلق بقضايا التربية.

– القدرة على اكتشاف العلاقة بين التربية والجوانب الاقتصادية والسياسية والعسكرية في تاريخ الحضارات.

– محاولة إبراز الاتجاهات التربوية في إطارها الثقافي الأمر الذي يساعدنا على تفسيرها وفهمها.

– محاولة تفسير بعض مسائل التعليم المعاصر في ضوء تطورها التاريخي.

– تنمية القدرة على اكتشاف العلاقة بين النظرية والممارسة وارجاع النظرية إلى إطارها الثقافي والاجتماعي.

– القدرة على تمييز العناصر التاريخية التي تدخل في تكوين معتقداتنا ونظمنا التربوية الحالية وزيادة بصرنا بالمشكلات الناشئة عن الأخذ بنظم وأفكار جديدة قد تتعارض مع التقاليد والمعتقدات السائدة.

– تكوين مفهوم سليم لمعنى التطور وقيمة الذكاء الإنساني في صنع التقدم الاجتماعي ومكان التربية من هذا كله.[1]

وكخلاصة لما يمكن أن يقدمه دراسة تطور الفكر التربوي للمشتغل بحقل التربية هو ما يقرره الدكتور سعد مرسي من كوننا لا يمكن أن نتجاهل آلاف السنوات من الجهد التربوي في مختلف البقاع ومختلف الفلسفات، مجهودات شكلت عقلنا اليوم، وبسطت أمامنا أفكارا نفذت وأخرجت نتائج يتدبرها الجادون من رجال التربية خذ مثلا:

– ماذا يحدث للإنسان والمجتمع والثقافة عندما تهيمن الثقافة العسكرية على كافة جوانب العملية التربوية؟ حدث هذا في أسبرطة مند حوالي أربعة وعشرين قرنا.

– ماذا يحدث عندما تتشكل وتتكيف التربية تبعا للنظام الطبقي (أو الطائفي) بدلا من تكيفها تبعا للقدرات والامكانيات؟ حدث هذا في الهند عبر قرون طويلة.

– ماذا يحدث عندما توجه التربية وتعبأ إمكانياتها لبناء إمبراطورية والإبقاء عليها ردحا طويلا؟ حدث هذا في إمبراطوريتي الفرس والرمان.

[1] – سيد إبراهيم الجبار: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974، 24 – 25.

– ماذا يحدث عندما تأخذ التربية نمطا لا عقليا؟ حدث هذا في أوروبا في العصور الوسطى على أيدي الرهبان.

– ماذا يحدث عندما يفهم مدرك التربية الديمقراطية على أنه يخص جماعة مميزة قليلة العدد في المجتمع، هم الأرستوقراطية؟ حدث هذا في أثينا الأغريقية.

– ماذا يحدث عندما لا تتدخل القوى الدينية أو العقائدية المسبقة الراسخة في البحث العلمي وفي الفلسفة؟ حدث هذا عند مسلمي القرنين العاشر والحادي عشر.

– ماذا يحدث عندما تمجد التربية وتهتم بالكياسة والخلق الاجتماعيين على حساب الجانبين المهني والعقلي؟ حدث هذا في زمن الإقطاع في تربية الفرسان في أوروبا فب العصور الوسطى.

– ماذا يحدث عندما تسيطر طوائف دينية وتضفي اهتماماتها الخاصة على العملية التربوية؟ حدث هذا بصورة واضحة في أمريكا في القرن الثامن عشر قبل ثورتها.

– ماذا يحدث عندما تصبح التربية أداة للبث العقائدي السياسي وسلاحا ماضيا فاعلا في أيدي المهيمنين على الحكم؟ حدث هذا في ألمانيا النازية.

– ماذا يحدث عندما تصبح التربية أداة الثورة الاجتماعية– الثقافية؟ حدث هذا في روسيا والصين الحديثة.

– ماذا يحدث عندما تصبح التربية أداة تنوير للمواطنين والخروج بهم بعيدا عن ظلام الجهالة؟ حدث هذا في بعض البلدان المعاصرة

– ماذا يحدث عندما تصبح التربية القوة والركيزة التي تبنى بها الدولة كيانها من جديد؟ حدث هذا في اليابان.[1]

– ماذا يحدث عندما تصبح التربية أداة لتنمية قيم الكره والحقد واحتقار الآخر والتذليل على ذلك بمناهج تربوية؟ حدث ويحدث ذلك في التربية اليهودية وخاصة بعد قيام كيانهم المزعوم.

ثالثا– عوامل دراسة الفكر التربوي

إن دراسة تطور الفكر التربوي عبر عصوره المختلفة يستوجب على الطالب والباحث أن يراعي مجموعة من العوامل أو قل عنها شروطا عامة وخاصة يستحضرها حتى يكون تناوله

[1] – سعد مرسي أحمد: تطور الفكر التربوي، ط 10، عالم الكتب، القاهرة، 1986، 49–50.

لهذا التطور تناولا علميا يبتعد فيه عن الذاتية، وأول هذه العوامل هي أن تناول أي فكر تربوي لأي جماعة أو مجتمع أو أمة ما لابد من فهمه وتفسيره في ضوء قيم وثقافة ذلك المجتمع أو تلك الأمة، وإلاّ شعر الدّارس بغرابة بعض الأفكار وربما وصل به الحد إلاّ العجب منها إذا قاسها بمقياس ثقافته هو، فإن ما يراه هو حسنا قد يكون في مجتمع آخر ليس بحسن لاعتبارات ثقافية واجتماعية، ومن ذلك مثلا بعض العلاقات الاجتماعية التي هي من الأشياء العادية والمسموح بها داخل بعض الثقافات، في حين تمثل من المحرمات والممنوعات دينيا واجتماعيا داخل ثقافات أخرى، فالفكر التربوي يختلف باختلاف الثقافات الإنسانية، ولذلك قمنا بتبويب محاور العمل تحت مسمى التربية في الثقافات والحضارات الإنسانية.

وكما تؤثر العوامل الثقافية تأثيرا مباشرا في تطور الفكر التربوي، تلعب العوامل الاقتصادية دورا لا يقل شأنا عنها في تحديد درجة التغير الذي يبلغه الفكر التربوي وينتقل من خلالها من مرحلة إلى أخرى، وفي ذلك أشار سعد مرسي إلى أن (الفكر التربوي قد تأثّر مند فجر حياة الإنسان على الأرض بالعوامل الاقتصادية والدينية في المحيط الضيق الذي يجمع جماعة من الناس، وأنه اليوم يلعب دورا هاما في الصدارة)[1]، والملاحظ الحذق اليوم إلى ما بلغه الفكر التربوي والنظريات التربية من تطور ونجاعة في استخراج أفضل نسخة ممكنة من الإنسان، يدرك جيدا أن للعوامل الاقتصادية الدور الأكبر في بلوغ هذه المرحلة المهمة من التطور، وأن الحاجات الاقتصادية الكبيرة الذي عرفها العالم بعد الثورة الصناعية والرغبة الكبيرة في تسخير الطبيعة لحاجات الإنسانية والبحث عن المتعة والرفاهية كانت السبب في زيادة الإنفاق على التربية واعتبارها العائد التنموي الأول للمجتمع، مما ساهم في زيادة التفكير في التربية، بل أننا نجزم أنه لولا العامل الاقتصادي أو الحاجة إلى المادة ما كان الإنسان الأول ليفكر في الطرق المناسبة التي تسمح له بتأمين شروط بقائه على قيد الحياة، وأن يهتدي بفكره وإعمال عقله نتيجة للحاجة إلى اختراع تلك الوسائل البسيطة التي شكّلت أول أدوات تفاعل الإنسان مع الطبيعة، ولا تلك الطرق والأساليب التي استطاع من خلالها زراعة الأرض والانتقال من الجبال إلى المساكن والبيوت.

أما العامل الآخر المؤثر في تطور الفكر التربوي والأكثر تشديدا من طرف العلماء على أنه كان سببا مباشرا في ميلاد وظهور أكثر الأفكار التربوية فهو دون أدنى شك العامل الديني،

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 49–50.

أو ما أسماه مالك بن نبي بالفكرة الدينية، وعن ذلك كتب سعد مرسي أنه عند الحديث عن الثقافة وتأثرها في صياغة الفكر التربوي فإننا نعتقد أن الدّين من أكثر العناصر الثقافية وأظهرها في التأثير في بناء الفكر التربوي، ويشير روبرت بوليك في كتابه تاريخ الفكر التربوي إلى ذلك بقوله: أن الديانات قد قدمت لتربية الإنسان أضعاف ما قدمه فلاسفة الغرب[1]، وإذا تتبعنا تطور الفكر التربوي وظهوره كما سياتي معنا سنجد أن الفكرة الدينية كانت في جميع العصور مند الإنسان الأول فكرة محورية في تبلور أي فكرة تربوية، وظهر ذلك أكثر جلاء ووضوحا مع الديانات السماوية وفي ظل حركة تتابع الأنبياء في إرشادهم لأقوامهم والتي كانت بالأساس حركات تربوية بمفهومها الواسع وفي إطار العام، وعند الحديث عن أخصب تجربة تربوية عرفها الإنسان من حيث تكاملها وشموليتها، وهي التربية الإسلامية فالحديث دون شك هو الحديث عن الديانة الإسلامية وعن التربية المرتكزة أساسا على مصدر أساسي هو الدين.

فضلا على ما تم ذكره من عوامل ينبغي لباحث الفكر التربوي أن يعيها ويستحضرها عند أي محاولة لقراءة وفهم للفكر التربوي، فإن هذا الباحث الذي نقدم له عملنا وهو طالب المجتمع الشرقي، عليه أن يدرك جيدا أن تناول الفكر التربوي تم تناوله في أغلب الأحيان وداخل مختلف الأدبيات وفق مقاربة علمية غربية، ومع ما تتصوره هذه المقاربة من شكل تطور المعرفة الإنسانية، فالتقسيم التاريخي لتطور الفكر التربوي يعكس بالأساس تطور العقل الغربي كما هو موجود في الرؤية الفلسفية لدى أوجست كونت وهيغل وغيره والحضارة الأوروبية التي لا ترى في الحضارة الإسلامية إحدى حلقات هذا التطور، ولذلك يعرض الكتاب الغربيون عن تناولها أو حتى الإشارة إليها، وإلى هذا مثلا أشار محمد عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن بأن الميراث الغربي وخاصة الاستشراق منه في مجال الأخلاق(التربية) لا يتسم بالعمق والاستيعاب بل يعاني من جوانب نقص عميقة، منها الإغفال المتعمد للنظريات الأخلاقية القرآنية بسب التحيز المتوارث عن الإسلام وحضارته، فهي تركز بالأساس على المبادئ الأخلاقية كما ارتأتها الوثنية الإغريقية ثم الأديان اليهودية والمسيحية ولكنها حين تنتهي من عرض هذه المراحل الثلاثة نجدها تنقلنا بغتة إلى العصور الحديثة في أوروبا، فالدراسات الأخلاقية الغربية والتي هي دراسات تربوية تتضمن هذه الفجوة الزمانية، كما نجد

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 40.

أيضا النظرة المحدودة التي تناول بها علماء الغرب من حيث إغفال الجانب النظري المتمثل الرؤية الفلسفية الإسلامية للأخلاق وهنا الحديث عن التربية.

كما أن الاقتصار على العقل الغربي في قراءة تطور الفكر التربوي قد يوقعنا في كثير من المزالق الفكرية التي لا تتماشى مع الرؤية الفلسفية للإسلام فيما يخص الكون والوجود والحياة، فالعقل الغربي كما تمت الإشارة إليه في موضع سابق هو يفكر في إطار الثقافة الغربية المتأصلة أو ذات الجذور والروافد اليونانية والرومانية، ما يجعل الباحث المسلم حذرا عند تبني التحليلات والتفسيرات التي يقدمها هؤلاء العلماء الغربيون للظواهر التربوية، فإذا عليه أن لا يبقى مجرد تلميذ مطيع وناقل عن غيره وإنما أن يعمل عقله فيما يجب فيه التفكير وإعمال العقل، لأن العقل كما أشار ديكارت أعدل قسمة بين البشر.

وكمثال على التحيز والنظرة الاستعلائية التي تتميز بها المدرسة الغربية عند تناولها للفكر التربوي والإنسان عموما في العصور القديمة، فتعمل على تصور الإنسان الأول بسمات وصفات تبتعد عن الآدمية في أحيان كثيرة، وأن هذه الحضارات أقل تحضرا وتطورا من الحضارة الغربية الأوروبية التي تمثل خاتمة التطور الإنساني، وهي النظرة المبنية حتما على ما تقرره النظريات التطورية من الداروينية وغيرها، ولذلك نعيد ونصر على الحذر في التعامل مع هذه النظريات الغربية، كما أن نظرتها هذه تختلف تماما على ما يخبرنا به المصدر الأوثق لدى المسلمين وحتى المنصفين منهم وهو القرآن الكريم في حديثه على تلك الأقوام التي سكنت الجزيرة العربية كقوم عاد ومملك سبأ والعملاقة وغيرهم ودرجة التحضر والتمدن العالية التي بلغوها إذا ما قيست بمفاهيم التحضر الحالية.

كما أنه ينبغي عند تناول تطور الفكر التربوي المرتكز على التصور الغربي للمعرفة أن ندرك أن كثيرا من الأفكار والتصورات والتحليلات التي تقدّمها المدرسة الغربية عن المجتمعات التي تصطلح عليها بالمجتمعات البدائية، هي في الحقيقة تصورات مبنية على ما يعرف بالمقايسة، أو قياس الغائب على الحاضر أو الشاهد، وذلك من خلال الدراسات التي قام بها علماء الأنثربولوجيا والإثنولوجيا على القبائل التي عاشت وتعيش في العصور المتأخرة، ولكنها ما زالت محافظة على نمطها (البدائي) في العيش ولم تعرف طرق وأساليب الحياة المعاصرة، فهم يعتقدون أن شكل هذه الشعوب والقبائل ونظامها وتنظيمها الاجتماعي وممارساتها الثقافية هو عينه ما كان يوجد عليه الإنسان وما كان يعيشه في العصور البدائية، لاحتمال أن هذه

الشعوب لم يمسهما التغير الاجتماعي وعوامل التغير، فينزلون على ضوء ذلك ثقافة هذه الشعوب على ثقافة الشعوب التي عاشت في العصور الأولى.

أما النقطة الأخرى التي نودّ الإشارة والتنبيه لها عند دراسة تطور الفكر التربوي وهي أنه عند تناول التربية في مختلف العصور وتناول المؤسسات التربوية التي كانت توجد فيها، لا يتخيل الطالب هنا أن الحديث عن المؤسسات التعليمية بشكلها الحديث، لأن المدرسة في شكلها الحالي هي تنظيم حديث لم تعرفه البشرية إلاّ بعد ظهور فكرة الدولة القومية وسيأتي بيان ذلك فيما بعد، أما المؤسسات التي وجدت خلال العصور السابقة فهي تنظيمات خاصة تعكس التربية التي وجدت داخل تلك الشعوب والمجتمعات، وإننا نرى أن استعمال مصطلح المدرسة ومختلف المكونات التربوية كالمنهاج وغيره من طرف بعض الكتاب والأساتذة هو لتقريب المعنى لذهن القارئ لأكثر ولا أقل.

المحور الثاني

التربية في ثقافة العصور الأولى أو التربية عند الإنسان الأول

قبل الحديث عن التربية التي مارسها الإنسان الأول، حري بنا معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي عاش في ظلالها وتحت تأثير عواملها هذا الإنسان، لأن جوهر التربية في هذا العصر كان بالأساس من أجل التكيف مع هذه الظروف والعوامل، وإن كانت المصادر والمراجع التاريخية لا تتحفها بتفصيل دقيق لطرق وأساليب حياة الإنسان في هذه العصور، ولا تقدم لنا علما يقينيا بما كان يعيشه، بل إنك تشعر حين تتبع هذه المصادر أن عنصر الأسطورة يغلب على الكثير منها، فضلا على المقايسة التي أشرنا لها في المحور الأول من أن أغلب تصورات العلماء الغربيين عن واقع الإنسان خلال هذه الفترة الزمنية من تاريخ البشرية لا يعدوا أن يكون قياسا للغائب على الشاهد من بعض القبائل التي ما زالت تمارس أنماط العيش البدائية.

أولا- البيئة الاجتماعية والثقافية للإنسان الأول والعوامل المؤثرة فيها

الحديث عن الإنسان الأول هو الحديث عن أوّل من سكن أو استوطن ظهر الأرض، وهو سيدنا آدم عليه السلام كما نصّ على ذلك القرآن الكريم (قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ)[سورة الأعراف:24-25]، وقرن هنا معنى السكن والعيش في الأرض بالاستقرار وعمارة الأرض، نزل آدم إلى الأرض وهو مهيأ للتعايش والتفاعل مع كل ما يلزمه من ضروريات التفاعل مع حياته الجديدة على الأرض، بعد أن أخذ العلم والتربية الكافية واللازمة من عند ربه قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 31]، ذكر الإمام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير في تفسيره نقلا عن جمع من الصحابة والتابعين في تفسير الآية أن الله علمه أسماء الناس والحيوانات وما في الطبيعة كالبحار والسهول وغيرها[1].

فالإنسان الأول إذا لم يكن كائنا متوحشا وبدائيا معزولا عن بيئته الاجتماعية والأحوال الطبيعية المحيطة به، كما يشيع في التصورات الغربية، بل أننا نجد أن هذا الانسان قد عرف الرعي والزراعة واستأنس الحيوان مند وقت مبكر جد، هذا إذا لم يكن مزودا بذلك بفطرته الأدمية، وقد ظهر ذلك في قصة أبناء آدم التي قصّها علينا القرآن الكريم عندما قتل أحدهما

[1] – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الفكر، بيروت، 2006، 75.

الآخر، بعد أن قرّبا قرابين لله ولم تقبل من أحدهما دون الآخر، ذكر ابن كثير أنه كان لقبيل وهو أحد هذين الولدين زرع وللابن الآخر هابيل ضرع أي ماشية من الغنم[1]، أي أنهما وهما حديثي عهد جدا بالعيش على الأرض معرفة الزراعة وتربية الحيوانات.

فالإنسان الأول إذا عرف الزراعة والرعي والتنظيم الاجتماعي بمختلف علاقاته من تكوين الأسر وتربية الأبناء وما قصة القتل الذي وقعت بين أولئك الأبناء إلاّ بسبب رفض أحد الأبناء زواج الآخر من أخته، كما مارس التعلم الذي يقتضيه ذلك العصر، فقد ذكر ابن إسحاق أنّ نبي الله إدريس عليه السلام كان أوّل من خط بالقلم، وقد أدرك إدريس عليه السلام ثلاث مائة سنة وثمان سنين من حياة آدم.[2]

إن الإنسان الأول الذي سكن الأرض عاش على فطرته التي جبل عليها واقترن عنده العلم بالدين، وكان العامل الديني هو المحرك والفاعل الأساسي لحركته في الأرض ثم ما لبث أن تخلى عن هذه الفطرة بفعل ما مسّه من تغير اجتماعي وعوامل أخرى أبرزها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فقد كان لتعقد الحياة الاجتماعية جرّاء الزيادة في أعداد السكان مع الحاجة إلى مقابلة هذه الزيادة بالوفاء بالاحتياجات الاقتصادية التي تلبي مطالب هذه الزيادة، جعل الإنسان يبتعد عن مكان التوجيه الديني زمنيا وجغرافيا من خلال الهجرات التي وقعت له، كما جعله هذا الواقع الجديد يبحث ويفكر في وسائل وأساليب جديدة تسمح له بتأمين شروط بقائه على قيد الحياة.

وعليه فبعدما كانت العوامل الدينية أو الدين هو المحرك والموجّه الأساسي لحياة الإنسان الأول تحول مركز الثقل بفعل ما مسه من تغير إلى العوامل الاقتصادية، التي أملتها الضرورة البيولوجية للإنسان، إذا فالعوامل الاقتصادية كما يشير منير مرسي كانت أكثر العوامل فعالية في تحديد الفكر البشري في هذه العصور الأولى، لأن الاحتياجات كانت جسمية بالأساس(ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ولكن بدون الخبز لا يستطيع أن يعيش جسما ولا روحا وقد يستطيع أن يعيش في ظروف جوية غير مناسبة وبدون ملابس وبدون سقف ولكن أبدا لا يستطيع أن يعيش بدون غداء، فالغداء يعمل على استمرار الحياة التي بدورها تستطيع أن تخلق الفن والمبتكرات وتقدم الفلسفات وتكون الآراء)[3]

---

[1] – نفس المرجع، ج2، 580.

[2] – عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، مكتبة رحاب، الجزائر، 1987، 24.

[3] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 54.

ثانيا – التربية التي مارسها الإنسان الأول

تعد هذه التربية البذور الأولى للظاهرة التربوية، وأبرز ما يميز هذه التربية أنها كانت تتم بصورة سهلة وبسيطة، وذلك من خلال الممارسة والتدريب، ومرتبطة ارتباطا وثيقا ومباشرا بواقع حياته، وتمارس من جميع أفراد المجتمع على حسب المراحل والأدوار، فمن الوالدين والإخوة الكبار إلى شيوخ القبيلة، ويمكن تقسيم التربية عند الإنسان الأول بالأساس إلى تربية جسمية وفكرية وأخلاقية دينية [1]

فالاتجاهات والميول والعادات والأخلاق ووسائل العيش وأساليب الصيد والزراعة والعناية بالأطفال وتقاليد الزواج واللغة كلها تنتقل عفويا من جيل إلى آخر

وعليه فإن أهم ما يمكن ملاحظته على مظاهر التربية عند الإنسان الأول هو أنها كانت تربية تتميز بالخصائص التالية:

1- تربية فطرية وسطحية وتلقائية في قيمها وممارساتها.

2- مرتبطة ارتباطا وثيقا ومباشرا بواقع وحاجيات الإنسان الأول الضرورية.

3- أنها كانت تربية شاملة في محتواها وفيمن مارسها.

4 – ارتبط فيها الديني بالتربوي خاصة في مرحلة الانطلاق الأولى.

5- أبرز أساليب التعلم فيها التقليد والمحاكاة، واستكشاف الطبيعة، فقد تعلّم الإنسان الأول من التفاعل مع البيئة عن طريق التقليد والمحاكاة، ومثال ذلك ما وقع في واقعة ابني آدم التي قتل فيها أحدهما الآخر، ولم يكن له علم بطقوس الموت والدفن وهي إحدى الطقوس الثقافية المهمة في حياة الإنسان، فبعث الله غرابا كما أخبرنا القرآن لتعلّم منه هذا السلوك، وذلك بعد أن جاء غرابين فقتل أحدهما الآخر ثم حفر حفرة ودفن فيها الغراب المقتول، فتمثّل الإنسان سلوك الدفن من هذا الغراب.

6- تربية بسيطة الأهداف والأساليب.

7- تربية مستمرة ممتدة على مراحل العمر المختلفة.

8- تربية عملية.

9- يتم نقلها وتلقينها عن طريق الكلمة الشفوية بالأساس.[2]

---

[1]– خالد أبو شعيرة وثائر غباري وناصر المخزومي: التربية الأسس والتحديات، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2007، 43.

[2] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، 36.

ثالثا – عوامل تربية الإنسان الأول

أما عن العوامل التي كانت مؤثرة بشكل مباشر في شكل التربية التي مارسها الإنسان في العصور الأولى فهي بالأساس ثلاث عوامل رئيسية كما بيّنا في عنصر سابق:

1- الحاجات والمتطلبات الاقتصادية.

2- التوجيهات والتعاليم الدينية.

3- ظروف البيئة الطبيعية المحيطة.

رابعا – أهداف التربية في العصور الأولى

كانت التربية في العصور الأولى تهدف بالأساس إلى تحقيق الغايات التالية:

1- الحصول على ضروريات الحياة للفرد والأسرة: أي أنها كانت تهدف أساسا إلى الإعداد اللازم للحصول على ضرورات الحياة العملية بصورة مباشرة.

2- المحافظة على الخبرة الإنسانية والتدريب على طرائق الحياة والقيم السائدة والطقوس المقبولة لدى الجماعة البدائية. [1]

3- مسالمة وتهدئة القوى الخفية، حيث أن الإنسان بعد أن ابتعد كما أشرنا عن موطن مركز التوجيه الديني وفقد الارتباط مع السماء أصبح يسقط على كثير من الظواهر الطبيعية تفسيرات غيبية، كتفسير تقلبات الفصول وحدوث البراكين والزلازل وغيرها بغض الآلهة والقوى الشريرة وغيرها، فكان من أهداف التربية العمل على تربية الفرد على التعامل مع هذه الظروف.

4- احداث توافق وانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية.[2]

5- إخضاع الفرد للجماعة وفرض سلطانها عليه، وهي النزعة أو الهدف الذي يعد من أهم الوسائل التي أعانت القبائل البدائية على المعيشة في ظل بيئاتها الصعبة، والمحافظة على وجود الجماعة من خلال تقييد أنشطة الفرد.[3]

وبصورة دقيقة وبشكل مجمل نقول إن الهدف من التربية التي ما رسها الإنسان الأول كانت تهدف إلى حقيقتين لازمتين هما:

- التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع (البدائي)

---

[1]- أبوطالب محمد سعيد ورشراش أنيس عبد الخالق: علم التربية العام، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، 62.

[2] - صالح عبد العزيز، تطور النظرية التربوية، ط2، دار المعارف، مصر، 1964، 79.

[3] - عبد المجيد عبد التواب شيحة: مرجع سابق، 38.

– التكيف مع البيئة الطبيعية والظروف والحاجات الاقتصادية للمجتمع (البدائي)

خامسا– طرق وأساليب التربية في العصور الأولى

لم يكن للتربية البدائية وسائل خاصة كالوسائل التي عرفها الإنسان فيما بعد ومارس من خلالها عملية التربية خاصة التربية المقصودة وإنّما مسرح الحياة اليومية كان هو الوسيلة الرئيسية في ممارسة كافة أشكال التربية التي عرفها الإنسان في هذه العصور المتقدمة، فكما مر معنا في خصائص وأهداف التربية فإن الإنسان الأول مارس التربية من خلال التقليد والمحاكاة والانغماس في كافة ضروب ونشاطات الحياة، فعن طريق التمثيل والرقص والركض والصيد والحرث والانطلاق في الطبيعة والخطأ والبحث والسؤال والخوف والتأمل والتفكير والصراع والتعاون تعلم الإنسان الأول ما يجب أن يتعلمه، ومن خلال هذه الأساليب التربوية والطرق التعليمية تكيف مع بيئته واستطاع أن يشق طريقه في سبيل تطور تاريخ البشرية، ويمكن تفصيل هذه الطرق بشكل أكثر وضوحا بما يلي:

1– الطريقة العضوية: وسميت بالطريقة العضوية لارتباطها باستعمال الأعضاء الجسمية، أين يقوم الرجل البدائي بالتكشير عن أنيابه أو يزمجر وأن يطبق قبضته ويضرب بها، أو يقوم بالإمساك بعصا أو إلقاء حجر، وتعلم فاعلية الصيحة في إيقاع الرعب في قلوب الأعداء، ولما كانت هذه الميكانزمات العضوية نافعة ونتائجها مرضية، حر الإنسان البدائي على نقلها إلى أبنائه.

2– طريقة التقليد اللاشعوري: حيث شارك الإنسان في عملية التعلم من غير وعي أو تفكير عن طريق التقليد غير الواعي لأنشطة الكبار، وكان معظم هذا التقليد غير الواعي يتم أثناء اللعب، فألعاب الأطفال كانت تقليداً لأنشطة الكبار، ولعبهم مصغرات للأدوات التي يستخدمونها في حياتهم، فأطفال الهنود يلعبون بلوح من الخشب الطافي على الماء، ويجدفون كما لو كانوا في قارب، ويعد بعض الأطفال قوساً صغيرة يطلقون منها السهام على غرض يستهدفونه، وتصنع البنات أواني صغيرة للطهي، ويوهمن بإعداد الطعام وحينما كان الآباء أو الأمهات يكلفون أبناءهم وبناتهم بأداء بعض الأعمال البسيطة لم يكونوا على وعي بحقيقة أنهم يعلمون، ولقد زاد من فعالية تلك الطريقة اللاشعورية في التعليم اتصال حياة الصغار بالكبار وعدم انفصالها عنها، فالأطفال في المجتمعات البدائية مطلعون على كل شيء في حياة الكبار،

إنهم يلاحظون الحياة من حولهم، ويشاركون في مختلف الأعمال في الحل والترحال، ويتعرضون لنفس المخاطر التي يتعرض لها الكبار.

3- طريقة التقليد الشعوري: من خلال تقليد الأطفال والشباب للكبار إشباعاً لحاجاتهم، وباعتبارهم نماذج سلوكية.

4- طريقة التعليم بالمحاولة والخطأ: وبخاصة في الأمور التي لا يتعارض فيها السلوك مع عادات القبيلة أو قيودها أو محرماتها أو تقاليدها الراسخة، فإذا نجحت المحاولة مال البدائي إلى تكرارها ونقلها إلى أبنائه وأقاربه، فإن أخفقت تجنبها وحال دون وقوعها.

5- طريقة التلقين في تعليم الصغار: وقد سلك البدائي هذه الطريقة حينما انتظمت له جملة من الحقائق والمعارف والأساطير والمعتقدات وعندما ظهرت طبقة الكهنة والسحرة والأطباء والمعلمين وغيرهم، ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم التلقين دار حول الأنشطة الرسمية للعبادة، والإجراءات السحرية أو الطبية، والقوانين والأخلاق وقواعد السلوك وغالباً ما اقتصر نقل كثير من هذه الحقائق على فئة معينة من الشباب، يعدون لممارسة تلك المهن والاحتفاظ بأسرارها.[1]

سادسا- مراحل التربية البدائية

إن الحديث عن مراحل للتربية البدائية لا يعني أن هذه التربية التي مارسها الإنسان في العصور الأولى كانت تتبع مراحل محددة بمفهوم المرحلة، أي أن هنالك مرحلة تعقبها مرحلة أخرى، وإنما جميع المراحل كانت متداخلة فيما بينها وكما تمت الإشارة إليه في خصائص هذه الفترة فإن التربية كانت بمفهوم الحياة وأن مسرح الحياة حقل لها مند الولادة وإلى الوفاة، وجعل بعض الباحثين مراحل معينة لهذه الفترة هو من أجل تقريب وتبسيط المعنى للطالب، ولذلك استأنسنا بتقسيمهم هذا في دراستنا.

يقسّم الباحثون مراحل التربية البدائية أو بمفهوم أصح التنشئة على قيم وثقافة المجتمع البدائي إلى ما يلي:

- الفترة الأولى «ما بعد الولادة»: وهي المرحلة التي يبقى الطفل خلالها في رعاية أمه أين تقوم بتدريبه على بعض الممارسات البسيطة التي تساعده على الاندماج بأمثاله من الأطفال ولا يتم في هذه المرحلة تدريبه على الاندماج في المجتمع.

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيحة: مرجع سابق، 43

– الفترة الثانية (مرحلة البلوغ): وهي المرحلة التي كان الطفل يدرب فيها على طقوس تساعده على الاندماج بمجتمعه، وهذه الطقوس الجديدة تحدث تغيراً شاملاً لدى الناشئ وتصوغ وجوده صياغة كاملة، بحيث تكون له بمثابة ولادة جديدة، وهي طقوس يتم إعدادها طويلاً وتتم من خلال مراقبة دقيقة يقوم بها شيوخ القبيلة أو الجماعة أولئك الشيوخ الذين يتولون في النهاية الحفاظ على المعتقدات والطقوس التقليدية، وإضافة الى تدرب الناشئة على الطقوس فانهم يتدربون أيضاً على اللغة المشتركة للجماعة.

– الفترة الثالثة (مرحلة النضج): وهي المرحلة التي يتعلم فيها الفرد ويكتسب حرفة أو مهنة يعيل بها نفسه، ويبدأ اكتسابها من خلال اجتماع الاطفال حول صاحب حرفة يلاحظونه ويتعلمون منه ثم يقلدونه بعد ذلك فيما سهل من أمور هذه الحرفة، ثم يتدرجون الى المستويات الأكثر صعوبة، وكان الطفل ينال اعتراف المجتمع بترحيبه به كفرد فيه بمجرد بلوغه ووصوله إلى الدرجة التي يتقن فيها عمله، وعلى هذا، ما يكاد الصبي يبلغ الثالثة عشرة إلا ويكون قد زود نفسه بكثير من المهارات التي تقرها جماعته، وهذه النتيجة لم يصل إليها عن طريق تعلم شكلي منظم ولكن عن طريق المشاركة في أفعال الجماعة وتعلم حرفها واكتساب صفاتها وتقاليدها على أساس رغبته في أن يصبح عضواً مقبولاً لدى هذه الجماعة.[1]

سادسا – أشكال التربية البدائية ومحتواها

يذهب الباحثون أن للتربية البدائية بالأساس شكلين اثنين يمكن أن نستشفهما من مراحل التربية هما:

1– التربية العملية: وهي التربية التي تعد البدائي للتعامل مع الجوانب المادية من الحياة وتشتمل على التدريب المهني والتدريب المنزلي والتدريب البدني والتدريب العسكري...إلخ.

2– التربية النظرية: وهي التربية التي تتصدى لتفسير مشكلات التربية العملية وصعوباتها، وتفسير مشاكل الحياة بوجه عام، فهي تفسر مظاهر البيئة، وتحدث قدرا من التوافق والانسجام بين الانسان وأخيه الإنسان، وبينه وبين عالم الأرواح، ومعنى ذلك أن التربية النظرية تغطي تلك المجالات أو الأنشطة التي تتعلق بالجوانب الروحية من الحياة، وتشمل على التربية الدينية

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، 34.

والتربية الخلقية والتربية الفنية والموسيقية والطبية والأدبية والتربية العقلية[1]، فهي تساعد الفرد على فهم ما يجري حوله.[2]

وأما عن محتوى التربية البدائية فقد تألف من محتوى تعليمي أو تربوي يخدم ضرورات الحياة التي كان يعيشها الفرد البدائي، وهي بالأساس ثلاث ضروريات أساسية:

- التدريب لإشباع الحاجات البدنية.
- التدريب على التعامل مع عالم الأرواح.
- التدريب على العادات الاجتماعية ومطالب النظام الاجتماعي.

وعلى العكس من بساطة التدريبات اللازمة لإشباع الحاجات البدنية كانت صعوبة التدريبات اللازمة للتعامل مع عالم الأرواح لأنها تتضمن استخداما للرموز والإجراءات السحرية المعقدة، وكانت الرموز المتضمنة في العبادة بدايات للعلم والفنون والآداب، فالتفسيرات الإحيائية الساذجة للشمس والقمر والنجوم والعواصف والزلازل والبراكين وغيرها من الظواهر الخارقة والعادية بدايات للعلم والفلسفة، وكانت قصصهم وتفسيراتهم لخبراتهم المتراكمة ومحاولة إعادتها في صور جذابة بداية للتاريخ والأدب، ومع زيادة الرموز السمعية والبصرية المستخدمة في طقوس العبادة كانت بداية اللغة والموسيقى والعمارة والتصوير، وكانت الرموز مرادفة لحقيقة ما ترمز إليه عند البدائيين.[3]

سابعا – مؤسسات التربية البدائية

لقد سبقت الإشارة في أن الحديث عن مؤسسات للتربية في هذه العصور المتقدمة من حياة الإنسان إنما هو فقط من أجل تقريب المشهد، وليس بمعنى المؤسسة التربوية في صورتها المعاصرة، وإنما الحياة كلها كما بينا سابقا كانت مؤسسة للتربية ومسرحا لها، إلاّ أنه يمكن تمييز بعض المؤسسات الاجتماعية التي كان لها دور بارز وتعكس التنظيم الاجتماعي لتلك المجتمعات وهي أصلا وضعت من أجل خدمة أهداف الجماعة

1- مؤسسة الأسرة: كانت الأسرة هي المؤسسة الأولى للتربية البدائية، وفي كثير من الأحيان كانت الأم هي المعلمة الأولى للطفل ثم يقوم باقي أفراد الأسرة على أمر تعليمه وتزويده

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيحة: مرجع سابق، 38.

[2] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق،

[3] – عبد المجيد عبد التواب شيحة: مرجع سابق، 39.

بالمعرفة والمهارات الضرورية للعمل والحياة في البيئة، وكانت الأسرة تزود أطفالها بالألعاب المختلفة التي تعين على تنمية معارفهم ومهاراتهم، ويذكر إيباي وأرووود أن علماء الآثار اكتشفوا لعبا ترجع إلى إنسان ما قبل التاريخ وكان للعب أهمية كبيرة في حياة البدائيين لأن ألعاب أطفالهم مرتبطة بالأنشطة التي يمارسها الكبار في حياتهم كالحرب والصيد وبناء المساكن وصناعة الأواني ... الخ، فالنساء يعلمن البنات الواجبات المرتبطة بأعمال النساء من إدارة للبيت وتربية للصغار والرجال يعلمون الأولاد واجبات الرجال من صيد وقنص وقتال وكل ما هو ضروري للحياة الطيبة.

2- مؤسسة القبيلة: وحينما توحدت الأسر في عشائر وقبائل وأصبحت العادات والقوانين القبلية جزءا من الميراث الاجتماعي انتقلت العناية بشؤون العبادة من الأسرة إلى القبيلة، وكان ضرورياً أن يكون لكل قبيلة قائد يختار لقوته أو لمهارته أو لمظهره أو لسنه، وقد يصطلح على تسميته بالكاهن أو الطبيب أو الساحر، وتكون واجباته استرضاء الأرواح وإقامة الحفلات والمراسيم ومع ظهور نظام الكهانة حدث تطور آخر في تربية البدائي فقد علم الكاهن أعضاء القبيلة أنواع السلوك الملائمة للمناسبات المختلفة وطريقة أدائها، وحينما انتظم للكهنة جملة من المعارف والخبرات المتراكمة وظهرت الحاجة إلى نقلها نشأ نظام الطبقات المهنية لتدريب شباب القبيلة الراغبين في ممارسة الكهانة أو الطب أو السحر أو الوشم، عن طريق نظام شبيه بنظام الصبينة الذي ظهر في العصور الوسطى، فمن خلال ملاحظة الأطباء يتعلم الشباب الجراحة، وتركيب الأدوية، واستخراج الأرواح الشريرة التي افترض أنها المسببات الحقيقية للأمراض. وكذلك استطاع البدائيون الذين تعلموا بالصدفة أو المحاولة والخطأ صنع رمح أفضل أو فأس أصلب وهكذا ظهر التخصص في عمل الأشياء ونمت المهن المختلفة، وأصبح تعليم هذه الحرف أو المهن أمراً مقرراً ومعترفاً به.

3- حفلات التكريس: وكانت حفلات التكريس من أعظم المؤسسات التربوية لدى الشعوب البدائية لارتباطها بكل جانب من جوانب حياتهم، فعن طريق حفلات التكريس تنتقل الأفكار والمعارف والمعتقدات الدينية والخلقية وتاريخ القبيلة وأسرارها من الكبار إلى الصغار ففي حفلات التكريس يتعلم الصغار مسؤولياتهم نحو الكبار ومسؤولياتهم إزاء الطواقم الأسرية والقبلية

ويتعرفون على الموضوعات والأماكن المقدسة والمدنسة، وحدود قراهم وقوانين الزواج والملكية، ومخاطر القتل والكذب والزنا .... الخ[1]

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيحة: مرجع سابق، 41.

المحور الثالث

التربية في الحضارات والثقافات الشرقية القديمة

الحديث عن الحضارات والثقافات الشرقية القديمة هو الحديث عن مهد ومنطلق الحضارات الإنسانية باتفاق العلماء والباحثين، وذلك لاعتبارات عديدة مختلفة زكتها الاكتشافات والأبحاث الأنثربولوجية والأثرية والنصوص الدينية المقدسة، منها أن أصل الإنسان وبداية استعماره للأرض كان من هذه الأرض الشرقية، سواء الذين قالوا بأنه كان بأرض الهند أو الذين قالوا إنه بمكة المكرمة في الصحراء العربية، استدلالا بالنص القرآني (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا)، أو الذين قالوا أن منشأ الحضارات في أغلبها كان نتيجة للعوامل الدينية أو أن الديانات شكلت العامل الرئيسي لبناء هذه الحضارات والشرق وحده هو أصل الديانات السماوية الثلاث التي ولدت بميلادها الحضارات والثقافات، في حين يذهب آخرون إلى أن العوامل الجغرافية الجيدة من الوديان الخصبة والأنهار التي كانت تزخر بها بلاد الشرق هي التي أدت إلى ظهور حضارات الشرق.

وتتميز خصائص هذه الحضارات الشرقية كما يبينه عبد الله عبد الدايم بأنها تتصف بروح المحافظة، وتهدف إلى أن تجمع في الفرد حياة الماضي، وأن تنشئه على عادات فكرية وعملية كالعادات الماضية، بمعنى أنها كانت حضارات معنية بتخليد الماضي وتأكيد الأوضاع القائمة والمحافظة على الاستقرار الاجتماعي أكثر من عنايتها بالفردية.[1]

[1] – عبد المجيد عبد الثواب شيخة: مرجع سابق، ص51.

أولا- التربية في الحضارة والثقافة الصينية القديمة

1- نشأة بلاد الصين وخصائصها

يقرر بعض الباحثين أننا لا نعرف بالتحديد من أين جاء الصينيون أو إلى أي جنس ينتسبون، ولا متى بدأت حضارتهم في الزمن القديم؟ وإنك إذ تتطلع إلى تاريخ مسلسل للحضارة الصينية سوف تجد أن الفترة من 2852 إلى 2205 ق م قد حكم الصين فيها حكام أسطوريون، ويرى بعض المؤرخين أنه كان يعمر بلاد منغوليا مند عشرين ألف سنة ق م أقوام من البشر تشبه أدواتهم الأدوات الأزلية التي استخدمتها أوروبا في العصر الحجري الوسيط، ويرون أن نسل هؤلاء الأقوام قد جابوا منتشرين في سبيريا والصين.[1]

هذا مع أن هنالك من يرجع تاريخ الحضارة الصينية وبدايتها إلى عام ١٧٠٠ ق.م.[2]

- الخصائص الطبيعية للبيئة الصينية:

كانت البيئة الطبيعية التي ظهرت فيها الحضارة الصينية بيئة قاسية تمتاز بالأهوار والأحراج، والصحاري الفاصلة، والجبال العالية، والفيضانات الغامرة، والحر اللافح، والبرد الزمهرير، والجفاف الفاصل، والسيل الجارف، وهي الخصائص التي يرى سعيد إسماعيل علي أنها هي من أدت إلى تشكل شخصية الفرد الصيني التي يطبعها التحدي والصمود.[3]

- العرق الإثني لحضارة الصين:

لقد كان أوائل السكان الذين استوطنوا أرض الصين كما دلت عليه بقاياهم جنس ينتمى إلى " إنسان بكين "، الذي عاش في بداية أو أواسط عصر البلستوسين (حوالي ٤٠٠٠٠٠ ق . م) ، أي في زمن أسبق من زمن إنسان " نياندر ثال " ، الذى عاش في أوربا وحوض البحر المتوسط، وهناك أيضا شواهد معينة على وجود سكان عاشوا في الصين في العصر الحجري المتأخر (حوالي ١٢٠٠٠ ق.م)[4]

---

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص68.

[2] – سعيد إسماعيل علي: التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999، ص 203.

[3] – نفس المرجع، ص 203.

[4] – نفس المرجع، ص204.

غير أن التاريخ الفعلي المسجل لبداية الفرد الصيني فيبدأ بأسرة شانج Shang في القرن الرابع عشر ق م، التي انتهت بالغزو على يد شعب (تشوChou) أين قاموا بغزو أجزاء كبيرة من الصين معتمدين على القوة والعنفوان وحدهما وإذ لم تتوافر لهم السبل التي تمكنهم من إدارة كل الأراضي التي قاموا بغزوها كدولة مركزية واحدة، فقد فوضوا سلطة إدارية لزعماء القبائل والنبلاء الذين تربطهم بهم علاقات طيبة، وقدموا مساحات من الأرض مقابل الصداقة والتعاون من جانب هؤلاء الملاك الجدد الذين منحوا الأرض، ويبدو أن هذا النظام الإقطاعي قد ساد بشكل جيد خلال صدر عهد تشو.[1]

- الأسرة وحدة مركزية في التنظيم الاجتماعي الصيني:

المجتمع الصيني مجتمع مبني على الروح العائلية "التي تسود نمط العلاقات في الصين، إذ تعتمد الدولة فيها على هذه الصورة من صور الرابطة الأخلاقية وحدها، والولاء الموضوعي للأسرة هو الذي يميز الدولة الصينية، فالصينيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ينتمون إلى أسرهم أو عائلاتهم، وعلى أنهم في الوقت نفسه أبناء للدولة، وهم في داخل العائلة ليست لهم شخصيات، لأن الوحدة الجوهرية التي يوجدون فيها هي وحدة الدم والوحدة الطبيعية، وليس لهم في الدولة كذلك شخصيات مستقلة، لأن العلاقة الأبوية البطريركية هي السائدة، ولأن الحكومة تقوم على أساس ممارسة الرعاية الأبوية للإمبراطور الذي ينظم كل قطاعات الدولة، وعلى محورية العلاقات الأسرية بنيت رابطة المجتمع الصيني، ولذلك وجدنا هناك خمسة واجبات ذكرت في كتاب (تشو – كنج) بوصفها العلاقات الأساسية العظيمة التي لا تتغير، وهى:

- الواجبات المتبادلة بين الامبراطور والشعب.
- الواجبات المتبادلة بين الاباء والأبناء
- الواجبات المتبادلة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر.
- الواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة

الواجبات المتبادلة بين الصديق وصديقه.[2]

---

[1] – نفس المرجع، ص 206.

[2] – نفس المرجع، ص207.

- الخصائص الشخصية والاجتماعية للفرد الصيني

وإن أهم ما يميز حياتهم الرئيسية هو السكون المطلق والجمود، فكل شيء لديهم محدد بالتقاليد الموروثة ومن ثم تمثلت عقيدتهم في عبادة الأسلاف، وفضيلتهم في تبجيل الأجداد ورعاية عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم.[1]

ولقد اشتهر الصينيون بالجلد والعمل الطويل المستمر والشاق ويتحدث كتاب الغرب عن الآلام التي كان يعانيها الصيني من بداية يومه إلى أن ينتهي من عمله بعد ساعات طوال في صناعة النحاس والصفيح والحفر على الخشب ومزارع الأرز وتنظيف القطن، ولم يقتصر العمل على الرجال بل شاركت النساء الرجال بعض أعمالهم إلى جانب العمل في المنزل.[2]

طبعا إن فلسفة الحياة هذه التي كان يعيشها أو يعيش عليها المجتمع الصيني ستنعكس على فلسفته وفكره التربوي.

2- الحركة الكونفشيوسية وثورة التربية في الصين

ولد كونفشيوس عام 551 ق.م في إمارة " لو Lu الصغيرة بولاية " شانتونج Shantung، وتوفى بها عام 479 ق. م، وهو ينحدر من أسرة نبيلة يرجع أصلها إلى الإمبراطور العظيم هوانج. دى، واسم كونفوشيوس هو النطق اللاتينى لاسم الحكيم الصيني، ويعني الأستاذ كونج أو الفيلسوف كونج أو الحكيم كونج[3]، تزوج وعمره تسعة عشرة وطلق وقد بلغ الثالثة والعشرين، وقد اشتغل في التعليم قبل ذلك بعام أي في سن الثانية والعشرين، متخذا داره مدرسة له، يدفع فيها الطلاب له ما يستطيعون دفعه نظير ما يتعلمون من التاريخ والشعر وآداب اللياقة والفلسفة، ولقد تخرج من مدرسته وعلى يديه قيل ثلاث آلاف ممن تولوا مناصب عليا.

وأدت جهود كونفوشيوس العلمية إلى تأليف خمسة كتب، عرض فيها تاريخ الصين القديم، وأصول ديانات الأسر الصينية وعشائرها، ودرس فنون المعرفة الستة التي كانت سائدة في عصره: الطقوس، والموسيقى، والرماية، وقيادة العربات والجياد، والقراءة، ثم الرياضة والحساب. لهذا كان تلاميذه يلقبونه بمعلم البشرية، بل كانوا يعدونه أعظم معلم أنجبته العصور،

[1] - عبد المجيد عبد الثواب شيخة: مرجع سابق، ص53.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص69.

[3] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 214.

وكانوا ينقلون أراءه ويعلقون عليها ويشرحونه، مما ساعد على تكوين مدرسة كبرى، وهي المدرسة الكونفوشيوسية.

والكتب الخمسة التي استمد منها كونفوشيوس إلهامه هي:

1- كتاب الأغاني أو الشعر (شيه تشينج Shih Ching)، ويحتوى على ثلاثمائة أغنية وخمس بالإضافة إلى التراتيل الدينية، وتعود أشعار هذا الكتاب إلى عهد تشو

2- كتاب التاريخ (شو تشينج Shu Ching)، ويشمل الوثائق التاريخية الخاصة بالصين في عصورها القديمة من ٢٠٠٠ – ٧٠٠ ق .م، ولا سيما الأوامر والمراسيم الملكية والإمبراطورية.

3- كتاب التغيرات (آى – تشينج L–Ching)، الذي يبين سبب تطور الحوادث وفيه استطاع أن يحول التنجيم إلى دراسة علمية للسلوك الإنساني، وكيف يتأثر الإنسان بالظروف الطبيعية والاجتماعية التي تكتنفه، ومن ثم يمكن التنبؤ بسلوك الفرد ومستقبله، (ويعزى هذا العمل تقليديا إلى وينج وانج Weng Wang ١١٠٠ ق م).

4- كتاب الربيع والخريف (تشو تشو Chun Chiu)، وقد عالج فيه تاريخ الصين بالتفصيل بين سنتى ٧٢٢ و٤٦٤ ق م تقريبا.

5- كتاب الطقوس أو التقاليد وهو مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي.[1]

ويرى بعض الباحثين الذي درسوا الحضارة الصينية ودور الحركة الكونفوشية فيها بأن الكونفوشية هي مفتاح التاريخ الصيني، وأن كونفيشيوس استطاع من خلال ثورته العلمية التي أقامها أن يدمغ مجتمعا برمته بصورته، من خلال هدف أسمى هو إقامة المدينة الأرضية المنسجمة، والتي رأى أن الطريق المؤدية إليها هو التعاطف والاحساس بالغير، وليست هذه الصفة منزلة من قوة عليا، ولكنها في رأيه عنصر أساسي في الطبيعة البشرية.[2]

وقد اهتم كونفوشيوس بالأخلاق الفردية والاجتماعية وبإرساء العلاقات الاجتماعية على أسس من المحبة والاحترام، وكانت تعاليم كونفيشيوس تبحث في جميع مقتضيات الحياة، فهي تحاول تنظيم العلاقة بين الحكومة والأنظمة والقوانين والشرائع والأخلاق والعادات وجميع شؤون

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 216.

[2] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 71.

الهيئة الاجتماعية، ولذلك كانت كتبه محتوية على كل الشرائع والقوانين والواجبات وجميع ما يتحتم على الصيني عمله أو تجنبه في علاقاته الخاصة والعامة.[1]

ولذلك خلص أحد الباحثين للفكر الصيني أنه ما من شيء في الحياة اليومية الصينية إلاّ وقد تأثر بطريقة أو بأخرى بالمذهب الكونفوشيوسي، وما من عمل هام، وما من سلوك عائلي، حب وصداقة، وما من عمل أدبى أو فلسفي، وما من مراسم، وما من مظهر من مظاهر آداب المعاشرة ، وما من عمل اجتماعي قد خلا من تأثير كونفوشيوس، لقد كتب كاتب صيني في صحيفة انجليزية عام ١٩٠٩ يقول أنه خلال الألف وخمسمائة عام السابقة:" عشنا في الصين على رأسمال جمعه أسلافنا ولقد حفظت لنا بصيرة وحكمة فيلسوفنا العظيم كونفوشيوس ذكراه وخبرته الثمينة، وبدونه لكان الشرق الأقصى قد غرق في أعماق البربرية[2].

وتكمن الميزة الكبرى لكونفيشيوس في تأثيره في الحضارة الصينية من خلال نقله للحكمة من الصعيد الفلسفي إلى صعيد الحياة اليومية جاعلا منها قيمة علمية، وهو بهذا أنجز عملا مفيدا للغاية تمثل في تبديد العقلية السحرية التي كانت تغلب على الثقافة الصينية، وتقريبها إلى العقلانية من خلال المعرفة العلمية.

هذه المعرفة التي اعتبرها كونفيشيوس مكتسبة ولا تدرك بالإلهام كما كان يُظن داخل الثقافة الصينية القديمة، فقد كان يقول إنه ليس هنالك شخص ولد عارفا للحقيقة وإنما مصدر معرفته هو القراءة والدراسة الكثيفة والملاحظة، إن الإنسان يولد والمعرفة ممتنعة عليه، فهو يولد جاهلا أية معلومات أو حقائق علمية، لأن عقله في حالة أشبه ما يكون بالصفحة البيضاء، وعليه بعد ذلك أن يجتهد في معرفة هذه الحقائق عن طريق الدراسة والبحث والتحصيل.[3]

3- السياسة التربوية والنظام التعليمي بالصين

بالرغم من أن الصين عرفت أحد أقدم أشكال التنظيم السياسي وهو النظام الإمبراطوري إلاّ أنها لم تكن لها سياسية تربوية يرعاها هذا النظام، بل ترك ذلك لحكماء ومعلمي الإمبراطورية الصينية، فلم تكن هنالك مدارس حكومية ولا نظام تعليمي للإمبراطورية، هذه الحرية التي تركها الأباطرة لأفراد المجتمع الصيني جعلت المدارس تنتشر داخل القرى على بساطتها وصغر

[1] – محمد الحسن العمايرة: مرجع سابق، ص40.

[2] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 218.

[3] – نفس المرجع، ص229.

حجمها، يؤومها في الغالب الذكور من الأطفال القادرون على دفع مستحقات معلميها، أما الإناث فلم تكن لهم مدارس للتعليم، وكان ينتهي التعليم بهذه المدارس البسيطة عند سن الخامسة عشرة.

ولقد كان نظام التعليم في هذه المدارس صارما على طبيعة المجتمع الصيني، يذهب إليها الأطفال مع مطلع الشمس ويدرسون إلى الغروب، تتخللها فترات راحة قصيرة، وكانت لغة التعليم هي اللغة الصينية الميتة، والأسلوب المعتمد في التعلم هو أسلوب جامد لا يعتمد على إعمال عقل الطفل وإنما على الحفظ الشديد لنصوص القراءة وكتابات كونفوشيوس وقصائد الشعر، فضلا على قواعد الكتابة ومبادئ الحساب.

كما أن الأطفال في هذه المرحلة يدرسون كتاب الأسر والعائلات وهو كتاب يحتوي على نسب أربعة مائة عائلة مختلفة مشهورة، ثم كتابا يحتوي على ألفي اصطلاح.

أما مرحلة التعليم الثانوي أو المرحلة التي تلي مرحلة التعليم الأولى وهي المرحلة التي لا يصلها في الغالب إلا خمس من المائة من تلاميذ المرحلة الأولى، فقد كان نظام التعليم فيها يعتمد على الاستزادة والشروحات المطولة للكتابات الفلسفية والدينية، إلى جانب دراسة التاريخ الصيني والقانون والاقتصاد والزراعة وفنون الحرب، ويتمرن الطلاب في هذه المرحلة على كتابة الشعر والمقالات على نمط الأجداد.[1]

ولقد كان هذا النمط من التعليم أو النوع من المدارس يوجد في المدن الكبيرة عكس التعليم الابتدائي الذي كان منتشرا في القرى، والهدف من التعليم في هذه المرحلة هو إعداد الطلاب للامتحانات العامة، بالتمرن على كتابة الشعر والمقالات ودراسة التعليقات كما أشرنا سابقا.

أما مرحلة التعليم الأخيرة والتي يمكن أن نطلق عليها مرحلة التعليم العالي فهي التي كانت تهدف إلى تمكين الطلاب الصينين من الاستعداد الجيد والأمثل لدخول الامتحانات، وتتم هذه المرحلة من التعليم عادة في المدارس العالية والكليات والأكاديميات الخاصة والحكومية المتواجدة في المدن الكبرى، وكان يتحتم على الطلاب فيها التبحر في الدراسات الكلاسيكية.[2]

4- خصائص وسمات التربية الصينية:

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 75.

[2] – محمد الحسن لعمايرة: مرجع سابق، 42.

– الحرية التعليمية: لم تمارس السلطة الصينية سيطرة كاملة على التعليم ومؤسساته، بالرغم من عملها على تشجيع التعليم من خلال رصد الوظائف العليا والأعمال للمتخرجين

– كان التعليم منتشرا في جميع أنحاء الصين في زمن كونفوشيوس، والمدارس كثيرة قبل كونفوشيوس بقرون عدة.

– كان للتربية منزلة رفيعة في أعين المفكرين والحكام الصينين، ويذكر أحد المؤرخين أن الصينيين كانوا يهتمون بالتربية منذ سنة ٢٠٠٠ ق.م.[1]

– كانت التربية شكلية إلى أبعد الحدود أو يغلب عليها الطابع الشكلي، ويشهد كثير من الباحثين الموثوق بهم أنه ليس هناك أي مجتمع من المجتمعات ترى فيه التربية شكلية وتغلب عليها الصبغة الأدبية، ولها من النفوذ العظيم ما للتربية في الصين، فهي بلاد العرف والتقاليد، وهي البلاد التي لا يسمح فيها بأي تغيير في الطرق المعهودة في التفكير والوجدان والعمل، وإن حدث مثل هذا التغيير فهو نادر.[2]

– تعتمد التربية الصينية على الكونفوشيوسية كأساس لتوجيه الفعل التربوي

– اهتمت التربية الصينية بالجوانب الحياتية

– التركيز على تعلم اللغة الصينية

– كان التعليم خاصا بالبنين وحتى سن 15 سنة

– تضمن برنامج التعليم الابتدائي الشعر وتاريخ الأسر والشعر الأخلاقي وشرائع كونفوشيوس

– الحفظ هو أساس التعلم والضرب مشروع في ذلك

– يتضمن منهاج التعليم الثانوي القانون والمالية والشؤون الحربية والزراعية

– نظام الامتحانات أساس في التعليم والتقدم ونسب النجاح قليلة [3]

– تجرى الامتحانات تحت إشراف الحكومة، والنجاح في هذه الامتحانات هو الطريقة الوحيدة لانتخاب موظفي الحكومة.

– التركيز على التعليم والدراسات الكلاسيكية والعتيقة.

---

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 232.

[2] – نفس المرجع، ص236.

[3] – كايد ابراهيم عبد الحق: مرجع سابق، ص35

5- أهداف التربية في الصين القديمة

- الهدف الأساسي للتربية هو تدريب كل فرد على السلوك السوي الذي يعالج تفاصيل مهام الحياة

- خدمة النظام القائم وإعداد الموظفين للدولة.

- المحافظة على العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة والموروثة عن السلف، والمحافظة على الاستقرار في المجتمع الصيني.[1]

وإن هذا الهدف من التربية في الصين القديمة الرامي إلى المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة عن السلف جعل طرق التعليم تستجيب إلى هذا المنحى من التربية من خلال العمل على تمرين الذاكرة باستخدام التكرار والحفظ حتى ترسخ المعلومات في ذهن الطفل الصيني، والتركيز على إعادة المعلومات القديمة واتقانها بدون تغيير أو زيادة.[2]

6- محتوى التربية الصينية القديمة

كانت فلسفة كونفوشيوس وتعاليمه الخلقية كما أسلفنا من قبل أساسا لمحتوى التربية الصينية القديمة، وكانت الكونفوشية فلسفة خلقية ومدنية واجتماعية تدرس في البيت والمدرسة على السواء.[3]

بل أن تعاليم كونفوشيوس وكتاباته كانت هي الأساس لأهم جزء في التربية الصينية القديمة وهو نظام الامتحانات كما سيأتي معنا، حيث أن أغلب أسئلة هذه الامتحانات كانت حول تعاليم وكتابات كونفوشيوس.

كما أن الديانات الصينية القديمة من البوذية والماوية والكتابات الكلاسيكية تشكل جزء من محتوى التربية والتعليم في المدارس الصينية القديمة.

7- طرق ووسائل التربية الصينية القديمة

[1] - محمد الحسن العمايرة: مرجع سابق، ص38.

[2] - نفس المرجع، ص39.

[3] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص53.

– التقليد: لقد كانت الميزة الكبرى لطرق التربية الصينية هي اعتمادها بطريق مباشر على التقليد.

– الحفظ والاسترجاع لنصوص مكتوبة دون فهم.

– كتابة المقالات: وبها كانت تقاس كفاءة المتعلم، فالكاتب الناجح من وجهة نظر هذه التربية هو هذا الذي يمكنه تقليد نظم الشعر ومراعاة قافيته، ويجيد السجع في النثر.[1]

8- المعلم في المدارس الصينية:

– لم يكن المعلمون متخصصون في فن التعليم

– كان المدرسون في الغالب من حملة شهادة الفنون الجميلة.

– كانت أسر الأطفال هي من تختار المعلم المناسب لطفلها.

ومن أجل ضمان كفاءة المعلم حرص كونفوشيوس على أن يضع للمعلم أربع قواعد هامة من المفروض أن يلتزم بها حتى يقوم بالواجب المنوط به، وهي:

1- يجب على المعلم أن يمنع العادات القبيحة قبل أن يكتسبها الطالب وتصبح سلوكا.

2- يجب أن يعطى المعلم المعلومات في السن الملائمة لها، إذ أن تعليم مادة خاصة بسن معينة بعد فوات السن المناسبة تعليم عديم الجدوى.

3- يجب التدرج في إعطاء المعلومات، بحيث يبدأ المعلم بالسهل وينتهي بالصعب فالمعلومات إذا لم تعط في تدرج وتسلسل فإن هذا من شأنه أن يوجد البلبلة والتشويش في عقلية الطلاب ومعلوماتهم.

4- يجب أن تعطى المعلومات للطلاب مجتمعين لا فرادى، بهدف إثارة التنافس بينهم وتشجيع المجتهدين، ثم إن تعليم طالب وحده منعزلا عن بقية زملائه من شأنه أن يعمل على تضييق افق تفكيره ويجعل معلوماته ضئيل.[2]

9- نظام الامتحانات في التربية الصينية

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص 232.

[2] – نفس المرجع، ص236.

يشكل نظام الامتحانات في منظومة التعليم الصينية جهازا فريدا جدا، فهو كان مربوطا تماما بالدولة بالرغم من عدم اشراف الدولة المباشر على التعليم، وأهم ما يلاحظ على هذا النظام أنه لم يخرج عن فلسفة الشعب الصيني الموصوفة بالشدة والقسوة والمستمدة أصلا من الفلسفة الصينية المنبثقة من تعاليم الديانات الثلاث التي كانت تحكم الصين، كما أنه على ضوء نتائج هذه الامتحانات يتوزع أفراد المجتمع على وظائفهم التي سيشغلونها، وأن هذه الامتحانات لم تكن واحدة وإنما متعددة ومتنوعة عبر مراحلها، وكلما أراد الطالب أن ينال درجة أعلى ووظيفة أسمى عليه أن يجتاز مرحلة أعلى من مراحل هذه الامتحانات، وهو الأمر الذي جعل موعد هذه الامتحانات موعدا هاما جدا لدى الشعب الصيني وينتظره الطلاب كل عام بفارغ الصبر وباستعداد كبير جدا.

وعن مناخ هذه الامتحانات يمكن أن ننقل بعضا مما يذكره المؤرخون على ما كان يدور داخل هذه الامتحانات

وتقسم الامتحانات إلى ثلاث مراتب هي:

1- امتحانات المرتبة الأولى: وتجرى كل ثلاث سنوات في عاصمة المقاطعة، تخصص فيها حجرة خاصة ليجيب فيها على أسئلة الامتحان، يشتمل امتحان اليوم الأول على مقالات ثلاث، اثنان منها على نظريات مقتبسة من الكتب الأربعة وأما المقالة الثالثة فهي نموذج شعري مأخوذة من كتاب الأغاني، ويتكرر مثل هذا الامتحان أربع مرات أو خمس حتى تسنح الفرصة بانتقاء العدد المطلوب، ويحصل الناجحون في هذا الامتحان على درجة الملكة الزاهرة ويعينون في وظائف صغرى في المقاطعة، كما يصبح من حق الممتحن الناجح في هذه الامتحانات أن يتقدم إلى المستويات الأعلى من الامتحانات.

ولقد كان يشرف على هذه الامتحانات العميد الأدبي ذو النفوذ التشريعي على المقاطعة بأكملها، ونسبة النجاح في هذه الامتحانات ضئيلة جدا ولا تتجاوز ٠٤

2- امتحانات المرتبة الثانية: كان هذا الامتحان يجرى في عاصمة المقاطعة بعد مضي أربعة أشهر من امتحانات المرتبة الأولى وذلك لمدة ثلاث أيام، والامتحانات في هذا المستوى تشبه امتحانات المستوى الأول من حيث الطريقة لكنها تكون أوسع وأعم وأكثر صعوبة، وتعقد

امتحانات المرتبة الثانية كل ثلاث سنوات، ويصل عدد الممتحنين فيها إلى 10 آلف طالب ولا تتجاوز نسبة النجاح فيها 1 بالمائة، أين يحصل الناجح في هذه الامتحانات على درجة الرجل المنقول أو الطالب المتقدم، ليعين الناجحون في وظائف الحكومة الصغرى وهي أرقى من وظائف المقاطعات.

3- امتحان المرتبة الثالثة: وهي أهم الامتحانات التي كانت تعقد في الصين القديمة لما تمنحه من مكانة للناجحين فيها داخل الدولة، وقد كانت تجرى في عاصمة الإمبراطورية الصينية تحت إشراف العميد الفني لمدة ثلاثة عشرة يوما، ليتوج الناجحون فيها بشهادة العلماء المسجلين، ويعينون في وظائف رفيعة في الدولة.[1]

ولقد كان المكان الذي يجري فيه الطلبة امتحانهم يسمى غابة الأقلام وهي أكاديمية إمبراطورية توجد في العاصمة بكين، تتكون من 10 آلاف حجرة، لكل طالب حجرة يأخذ فيها غذاءه وشرابه ويستمر في الامتحان مدة 13 يوما، وبعد أن يعطى الأسئلة يبقى في حجرة رديئة التهوية متحملا ظروفها القاسية كجزء من الامتحان.

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص44.

ثانيا- التربية في الحضارة والثقافة الهندية القديمة

1- خصائص المجتمع الهندي القديم

لقد عاصرت الحضارة الهندية القديمة الحضارة السومرية في العراق أو فيما يعرف ببلاد الرافدين، والحضارة الفرعونية في وادي النيل، ويذكر هيغل أن التاريخ الهندي يمتد في الماضي إلى عام 2200 ق. م[1]، مند أن سكن الجنس السامي أودية أنهار الهند الخصبة مند أكثر من 3000 عام قبل الميلاد.

وإن من أهم الملامح والسمات التي كانت تميز هذه الحضارة هو أنها لم تخرج عن الطابع العام الذي كان يطبع جميع الثقافات التي كان يشهدها أو يعرفها الشرق من الامتثال والركون إلى القديم وعدم التجديد ونبذ التغيير.

أما أهم ما يشير إليه الباحثون الذين درسوا الحضارة الهندية هو تميزها بكثرة الآلهة وتعددها حتّى إنهم يطلقون عليها أرض الآلهة، وإذا تكلمنا عن آلهة الهنود لا بد أن نشير إلى الفيدا، التي يقول البعض أنها كانت دينا للهنود والبعض الآخر يقول أنها كتاب حمله الغزاة الذين الذي غزو الهند في القرن 15 ق.م وفرضوا تعاليمه على السكان الأصليين بما فيه من صور عقلية واجتماعية يرون أنها لم تكن تتفق مع الهنود الأصليين، وكلمة الفيدا تعني العلم عن طريق الدين بكل ما هو مجهول[2]، وتحتوي تعاليم الفيدا أورادا وأناشيد وطقوسا للضحايا والقرابين إلى جانب احتوائه على التعاويذ السحرية، وفي الفيدا هنالك آلهة متعددة، وأيّن كانت الفيدا دينا أو كتابا مقدسا أو غير ذلك إلاّ أنها مارست دور الدين في عملية التوجيه الاجتماعي للشعب الهندي، بل إنها بمنزلة الكونفوشيوسية في التاريخ الصيني لا يمكن فهم التاريخ والتربية الهندية إلا من خلال فهم الفيدا ودورها داخل المجتمع الهندي.

والحديث عن الفيدا يقودنا إلى الحديث عن البراهمانية وهي الديانة الجديدة التي استخرجها الكهنة من الفيدا وهي تعني الكينونة، وقد بدأها الكهنة بتعقيد الطقوس البسيطة المعروفة الموجودة في الفيدا، الهدف منها أي من هذه التعقيدات هو استئثار الكهنة بطبقة خاصة بهم تسمح لهم بالسيطرة على المجتمع الهندي، وكمثال على ذلك مثلا قالوا إن الضحايا لا تقبل إلا إذا قدمت على أيدي جمعية كهنوتية مؤلفة من ثلاثة أعضاء ورئيس يشترط فيه أن يفوق

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص56.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص77.

زملائه علما وحكمة، وبهذا استولى الكهنة على الطقوس الدينية وقصروها على أنفسهم مكونين طبقة الكهنة أرقى طبقات المجتمع ولها السيادة وأسمى العناصر.[1]

وأما الديانة الأخرى التي كانت تسود الهند القديمة فهي الديانة البوذية التي دخلت إلى الهند في القرن السادس قبل الميلاد، وهي ديانة تؤمن بحياة الزهد والتعفف عن ملذات الدنيا والابتعاد عنها ولذلك كان صاحبها بوذا (يؤمن أن مصدر الشقاء البشري ما يثيره الهوى المتولد من الشهوات الجسمانية، ولا خلاص للفرد من هذا السجن المطبق إلاّ التلاشي المادي الذي لا يتحقق إلاّ بالزهد والتعفف عما في الحياة من ملذات الشهوات)[2]

وأما الخاصية الأخرى الأساسية للمجتمع الهندي القديم هي الطبقية، أين انقسم المجتمع إلى أربع طبقات هي البراهمة أو طبقة الكهنة، وطبقة المحاربين، وطبقة التجار والفلاحين، وطبقة المنبوذين، ولم يكن أعضاء تلك الطبقات متساوين أمام القانون، بل لكل طبقة حقوقها وواجباتها ولا يسمح بالانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى.[3]

2- خصائص التربية الهندية القديمة:

- لعب الدين والنظام الطبقي دورا مهما وواضحا في حياة الهنود عامة ونظامهم التربوي بشكل خاص، فقد كان المجتمع الهندي مقسما إلى عدة طبقات وراثية مغلقة بحيث لا يسمح بالانتقال من إحداها إلى الأخرى أو التزاوج فيما بينها وهذه الطبقات هي: طبقة البراهما-الكهان، طبقة الكشاتريا-المحاربين، طبقة الصناع، طبقة العبيد، طبقة المنبوذين، فمحتوى التربية وأهدافها كان يستمد من هذا النظام الديني ويعكس التقسيم الطبقي لأفراد المجتمع ومن أجل خدمة أهدافه.

- عدم خضوع نظام التربية والتعليم لسلطة الدولة وإنما كان خاضعا لسلطة رجال الدين من البراهمان وغيرهم.

- المعلومات والمعارف وكل ما يتعلق بمحتوى التربية محتكر من طرف طبقة البراهمة أو رجال الدين وتحت تفويضهم.

- لكل قرية مدرستها ومعلميها.

---

[1] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص79.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 80.

[3] -عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص58.

– التركيز عل تعليم الدين والأخلاق والتقاليد وحفظ وشرح نصوص الفيدا.

– تضم المناهج النحو والصناعات والطب والفلسفة والحساب

– كان النظام التربوي يتميز بالصرامة الشديدة.

– الحرص الشديد عل تكوين عادات السلوك الصالح مند الصغر.

– العقاب البدني مسموح به لمن هم دون 16 سنة

– احتكر البراهما تعليم الدين والفلسفة

– كانت هنالك مدارس خاصة للبراهما تدرس الأدب والدين والطب والفلك والرياضيات [1]

– محتوى التعليم ذو طابع ديني بحت.

– لم تراعي التربية الهندية القديمة بعد العدالة الاجتماعية بين أفراد أو طبقات الشعب الهندي القديم، والدليل أن طبقة البراهمة لم تسمح لجميع الطبقات بالتعلم وخاصة طبقة المنبوذين، ونجد ذلك أيضا في نظام التعلم أين يسمح لأطفال البراهمة بدخول المدارس قبل غيرهم بثلاث أو أربع سنوات وذلك لأنهم كانوا يفترضون أن الطفل البراهماني مميز بحكم الوراثة عن غيره من أطفال الطبقات الأخرى.

– تتميز مراحل الدراسة أو مدة التعليم في الهند بالطول وأن الطالب يحتاج من أجل استكمال دراسة الفيدا ثمان وأربعين سنة، ذلك أن الفيدا تحتوي أربعة أقسام (الأوراد، الأناشيد، الطقوس للضحايا والقرابين، التعاويذ السحرية) وكل قسم يحتاج إل 12 سنة لاستكماله[2]

– لم تخرج التربية الهندية القديمة عن ثقافة الشرق في التركيز عل تكريس ثقافة الأجداد.

– أنها تربية تتميز بالجمود والتقليد في محتواها وأساليب تدريسها.

– اعتمد التعليم في الهند القديمة قبل الجامعي بالأساس في تمويله عل الهدايا وتبرع المهتمين بالعلم وحت التسول.

– يتميز التعليم في الهند القديمة أيضا أنه تعليم مجاني لا يدفع فيه الأطفال أمولا مقابل تعلمهم.

– لم يسمح للبت بالتعلم في الهند القديمة إلاّ لعدد قليل وتحت عوامل خاصة جدا بل تركت النساء لتربية الصغار داخل البيوت.

---

[1] – كايد ابراهيم عبد الحق: أسس التربية، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009، ص33

[2] – سعد أحمد مرسي: مرجع سابق، ص85.

3- أهداف التربية في الهند القديمة

إن النظام الديني والطبقي الذي كان يسود المجتمع الهندي القديم كان لها أثر واضح على التربية الهندية وعلى الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، فالإيمان بعقيدة التناسخ التي تنتقل الروح بمقتضاها من جسد إلى جسد آخر، جعل هدف التربية لخدمة هذا المعتقد الديني:

- الإعداد للحياة الأخرى ومساعدة الفرد على الذوبان في المطلق أو روح العالم.
- المحافظة على النظام الطبقي.[1]
- تكوين عادات السلوك الصالح مند الصغر، وزرع الأخلاق القويمة.[2]
- تنشئة أفراد المجتمع الهندي على قيم وعادات وتقاليد المجتمع الهندي

4- أنواع التربية الهندية القديمة:

وتضم التربية الهندية القديمة كلا من:

4-1- التربية البراهمانية: وهي التربية التي كانت تنتشر بين أتباع الطائفة البراهمانية، وهي تربية دينية بالأساس هدفها الحفاظ على التعاليم البراهمانية أو ما جاء في كتاب الفيدا، وتكوين رجال الدين البراهمانيين، ومحتوى التربية البراهمة من مجموعة الكتابات المقدسة التي ألفها رجال الدين في الألف الأولى قبل الميلاد وعرفت بالفيدا، وهي مجموعة من الكتب القديمة والمعارف الفلسفية والتقاليد والعادات الاجتماعية.

وكانت التربية البراهمانية تهدف إلى التحكم في العقل والإرادة والجسم، واكتساب عادات التفكير والاحساس والتحكم في الجسم والسلوك والتضحية وإنكار الذّات.[3]

ومن أبرز سمات التربية البراهمانية ما يلي:

- يبدأ التعليم من سن الخامسة في الهواء الطلق أو المنازل ومواده الحساب والكتابة وبعض التعاليم الدينية، حفظ بعض نصوص الفيدا
- يعهد بعد سن الثامنة الطفل إلى رجل دين يرافقه ويتعلم منه وعلى يديه النحو والفنون والطب والمنطق والفلسفة.

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 58.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 83.

[3] - نفس المرجع، ص84.

– بعد 16 ينتقل التلميذ إلى إحدى الجامعات التي كانت قاصرة على الطبقتين الأولى والثانية من المجتمع، أين يتعلم الطلبة العلوم والفلسفة والقانون والرياضيات والطب والشعر والنصوص الدينية[1].

4-2- التربية البوذية:

لا تختلف التربية البوذية في خطتها العامة وروحها عن البراهمانية إلا في الاختلاف حول الدين والأيديولوجية الاجتماعية، ونوع المدارس، وتعليم البنات وتتفق البوذية والبراهمانية في الاهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية، كما رفض بوذا الفيدا وتعاليمها واعتبارها السلطة العليا على السلوك الاجتماعي، كما رفض نظام الطبقات لاعتباره نظاما اجتماعيا غير عادل، وهكذا حلت الآداب البوذية محل الفيدا كمصدر للحكمة والأخلاق [2]

ومن أبرز سمات التربية البوذية هي

– سن الدراسة من 6 إلى 20 سنة، الاهتمام بالآداب البوذية، الاعتماد على الحفظ، يقتصر التعليم على الرجال والبنات الخادمات للمعابد فقط، ومواد التعليم فهي الشعر والإنشاء والمنطق والفلسفة والميتافيزيقا والطب.

– وكان بوذا يستخدم في نشر تعاليمه طريقة المحاورة والمحاضرة وضرب المثل ولم يدّع بوذا أبدا أنه أوحي إليه.

– كما أن الحواس هي مصدر المعرفة وليس العقل بالنسبة للبوذية، ولذلك يقول بوذا أن كل ما يعرفه الإنسان هو إحساساته، وأن الروح أسطورة من الأساطير وأن العقل الذي يربط أفكارنا إن هو إلاّ شبح توهمناه، وما هو موجود حقا هو إحساساتنا وإدراكاتنا التي تتكون بصورة آلية في هيئة تذكرات وأفكار، وتتكون النفس أو الذات من الوراثة والخبرات التي تتم خلال تجارب الحياة.[3]

5- طرق التعليم في الهند القديمة

لم تخالف الهند القديمة سمات الثقافات الشرقية الأخرى كما أشرنا سابقا في طابعها العام، من خلال التأكيد على مبدأ المحافظة على الموروث القديم للأسلاف، فكانت طريقة

---

[1]– خالد أبو شعيرة وثائر غباري وناصر المخزومي: مرجع سابق، ص46.

[2]– عبد الله زاهي الرشدان: تاريخ التربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص.62

[3] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص81.

الحفظ والاستظهار والتقليد من أهم الطرق المنتهجة في التربية والتعليم، وتناول الكتابات المقدسة التي كانت تصاغ في قالب شعري تيسيرا لحفظها، وكانت الكتابة على الرمال وعلى سعف النخيل، كما كانت علاقة التلاميذ بمعلميهم تتميز بالحميمية والطيبة.

6- مؤسسات التربية والتعليم في الهند القديمة

مارست الشعوب الهندية القديمة التربية في مختلف المؤسسات التي كانت موجودة داخل البيئة الهندية، ومنها البيوت وداخل الأسر أين كانت تجرى أولى عمليات التربية والتعليم للطفل الهندي واكسابه القيم والمعايير الاجتماعية، وداخل أماكن خاصة أعدت للتعليم يشرف عليها المعلمون ورجال الدين، كما مورست التربية في الهند القديمة في الهواء الطلق والأماكن العامة، أما التعليم العالي فقد كان يتم داخل الجامعات التي تدخلت الدولة في انشائها ومنها جامع لاندا إحدى أشهر الجامعات البوذية العالية.

7- مراحل التربية الهندية القديمة

مرت التربية الهندية القديمة كغيرها بثلاث مراحل أساسية تعكس غايات المجتمع من التربية في كل مرحلة وهي البناء والتنشئة على قيم الجماعة للمرحلة الابتدائية أو القاعدية والاستعداد للمرحلة الثانية أو المتوسطة والاستعداد هنا للمرحلة التي تليها وأما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الاعداد للحياة العملية وعادة تكون هي مرحلة التعليم العالي.

- المرحلة الأولى: وهي التي تقابل التربية الابتدائية بالمفهوم العصري وكانت تمتد من سن الخامسة إلى الثامنة من عمر الطفل، يتلقى فيها منهاجا مرتكزا على المعتقد الديني ويتم تعليم وتحفيظ نصوص الفيدا، وفي هذا المرحلة يتعلم التلاميذ الكتابة على الرمل وأوراق النخيل والشجر، فالمنهاج إذا في هذه المرحلة كان يشتمل الحساب والكتابة أو الخط وحفظ نصوص الفيدا، والهدف هو زرع الأخلاق القويمة وتكوين العادات السليمة للصغار، أي التنشئة على قيم المجتمع الهندي القديم، ولم يسمح في هذه المرحلة بالعقاب البدني.

- المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تمتد من بعد سن الثامنة، وتتميز بما يشبه نظام المشيخة الذي عرفته التربية الإسلامية وهو أن يلازم التلميذ أحد رجال الدين مدة من الزمن تصل إلى حوالي العشرين سنة يتلقى عليه (الشاسترات الخمس) وهي النحو والفنون، الصناعات والطب والمنطق والفلسفة.

– المرحلة الثالثة: مرحلة التعليم العالي ويدخلها التلميذ بعد سن السادسة عشرة بعد أن يتم تعليمه الذي أخذه من شيخه الذي لازمه طيلة الفترة السابقة، وينتقل إلى إحدى الجامعات الكبرى ليتم دراسة العلوم الفلسفية والقانون والرياضيات والطب والشعر إلى جانب النصوص الدينية، وهذه المرحلة كانت خاصة بالأساس بطبقة البراهمة.

ونجد أن الدولة في هذه المرحلة تخلت عن الفلسفة في عدم التدخل في التعليم من خلال الاشراف على هذه المرحلة من التعليم، حيث يخبر المؤرخون أن الدولة تدخلت في أشهر الجامعات الهندية وتولت تمويلها، وهي الجامعة التي كان تضم حوالي عشرة آلاف طالب وتحوي مائة قاعة للمحاضرات ومكتبات ضخمة ومساكن للطلبة، كما أنها كانت تتميز بمستواها العلمي العالي جدا.[1]

[1] – سعد أحمد مرسي: مرجع سابق، ص83.

ثالثا- التربية في بلاد الرافدين القديمة

إن الحديث عن بلاد الرافدين هو حديث عن حضارة بلغت مرتبة عالية من الرقي والتقدم من خلال جودة التفكير العلمي وحسن توظيف العقل في تسخير الطبيعة، الأمر الذي جعل هذه الحضارة الشرقية تترك لها تأثيرا مباشرا في سوريا القديمة ومصر الفرعونية وكامل البلدان المجاورة

1- خصائص المجتمع العراقي القديم

- **التسمية:** إن المصطلح على وجه العموم يدل بصورة عامة على المنطقة المعروفة باسم العراق حاليا بالإضافة إلى الجزيرة السورية، لكن الوضع الجغرافي - التاريخي لم يكن هكذا في مراحل تاريخية أقدم، فمن المعروف أن أوضح استعمال لتسمية mesopotamios هو الذي ورد عند المؤرخ الكلاسيكي " بوليبيوس 202 ق.م، على الرغم من احتمال استعمال المصطلح قبله، وتبع " بوليبيوس " الجغرافي " سترابون ٦٤ ق ٠م - ١٩م " في استعمال هذا المصطلح لإطلاقه على ذلك الجزء من العراق المحصور ما بين دجلة والفرات من الشمال إلى حدود بغداد تقريبا، وقد كان هذا المصطلح يطابق إلى حد كبير مصطلح الجزيرة الذي استخدمه البلدانيون العرب للدلالة على القسم الشمالي من وادي الرافدين، وهذا مؤداه أن المنطقة التي كان يحددها هذا المصطلح كانت تضم جزءا من الأراضي العراقية، إلى جانب جزء من الأراضي السورية.[1]

وتاريخ بلاد الرافدين هو أقرب ما يقرن بتاريخ مصر القديم، من حيث السبق الزمني والثراء المتنوع والطابع المتميز واتصال التطور في مجال الفكر والمادة معا، وكان فيما بقي من آثار العراق، وما أتت به قصص التوراة عن الأشوريين والبابليين وعلاقتهم بمناطق فلسطين والعبرانيين، ثم ما سجله الرحالة والمؤرخون والإغريق والرومان الكلاسيكيون عنهم وعنها ما أثار تطلع عدد من الرحالة والباحثين والمغامرين في بداية العصر الحديث إلى محاولة كشف النقاب عن آثار بلاد العراق وتاريخها القديم[2]

---

[1] - سعيد إسماعيل علي: التربية في حضارات الشرق القديم، مرجع سابق، ص 102.

[2] - نفس المرجع، ص 103.

– **الظروف والعوامل الطبيعية:** ظل القسم الجنوبي من العراق القديم مغطى بالمياه مما جعل حياة الناس فيه بالتالي غير ممكنة إلى ما قبل الألف الخامس قبل الميلاد، أما شمال العراق فالوضع فيه مختلف: الجزء الغربي منه هضبة واسعة من السهوب المتموجة، والجزء الشرقي فيما وراء دجلة فيه كثير من التلال المليئة بالغابات والوديان التي تجرى فيها أنهار مهمة، وبالتالي فقد هيأ الله في ميزوبوتاميا العليا الشروط الملائمة لحياة الإنسان، لذا كان طبيعيا أيضا أن يكون هذا الإقليم المهد الأول الذي نشأت فيه طلائع الحضارة العراقية القديمة، ففي هذه المنطقة عاش العراقيون الأوائل على شكل جماعات كانت تسكن الكهوف وتعتمد في حياتها على الصيد وجمع الغذاء ومع تطور القوى المنتجة وبالدرجة الأولى أدوات العمل انتقل العراقيون القدامى إلى ممارسة الزراعية وتأهيل الحيوان وتربية المواشي إلى جانب الصيد وبنيت القرى وارتقت الثقافة ولكن رقيا بطيئا، وظهرت بوادر التصورات الدينية، ومن هذا الإقليم نز العراقيون القدامى إلى الجنوب، عندما تراجعت مياه الخليج وتشكل السهل الغريني الخصيب حاملين معهم إلى ميزوبوتاميا السفلى تقاليدهم الحضارية، وشرعوا في تجفيف المستنقعات وتنظيم الري وحراثة الأرض وتربية المواشي وبناء القرى على تلال اصطناعية وعندما وصل السومريون إلى هذه المنطقة انصهروا مع سكانها الأوائل وأخذوا حضارتهم وطوروها بفضل العمل الدؤوب والتعاون المشترك بين القادمين والمستوطنين القدامى[1].

– **ساكنوا بلاد الرافدين:** سكن بلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين عدة أقوام أو أجناس أو أعراق، ساهم كل واحد منهم في فترة زمنية معينة في ازدهار الحضارة العراقية القديمة مهد الحضارات، وأهم هؤلاء الفاعلين الرئيسين أجناس ثلاث:

1– السومريون: تقع بلاد سومر في الوادي الأسفل لنهري دجلة والفرات وإلى جنوبها وغربها تقع الصحراء الغربية والخليج العربي الذي كان يمتد في أيام سومر المبكرة شمالي مجاورات أريدوا، ومما تجدر ملاحظته أن مدن سومر إنما كانت تقع جميعا على ضفاف الفرات، أو أحد أو بعض روافده، وليست على ضفاف دجلة، إلا ما ندر.[2]

[1] – نفس المرجع، ص 106.

[2] – نفس المرجع، ص 110.

وفي وصف لديورانت يلخص فيه الحضارة السومرية، يقول فيه: لقد كانت هذه الحضارة مزيجا مركبا من بدايات خشنة وإتقان بارع في بعض الأحيان، وفي تلك البلاد – على قدر ما وصل إلى علمنا – نجد أول ما أسسه الإنسان من دول وإمبراطوريات، وأول نظم الري، وأول استخدام للذهب والفضة في تقويم السلع، وأول العقود التجارية، وأول نظام للائتمان، وأول كتب القوانين، وأول استخدام للكتابة في نطاق واسع، وأول قصص الخلق والطوفان، وأول المدارس والمكتبات، وأول الأدب والشعر، وأول أصباغ التجميل والحلى، وأول النحت والنقش البارز، وأول القصور والهياكل، وأول استعمال للمعادن في الترصيع والتزين، وهنا نجد في البناء أول العقود والأقواس وأول القباب، وهنا كذلك تظهر لأول مرة في التاريخ المعروف بعض مساوئ الحضارة في نطاق واسع: يظهر الرق والاستبداد وتسلط الكهنة وحروب الاستعمار لقد كانت الحياة في تلك البلاد متنوعة، مهذبة، موفورة النعم، معقدة، وهنا بدأت الفوارق الطبيعية بين الناس تنتج حياة جديدة من الدعة والنعيم للأقوياء، وحياة من الكد والعمل المتواصل لسائر الناس، وفي تلك البلاد كانت بداية ما نشأ في تاريخ العالم من اختلافات يخطئها الحصر.[1]

فإن كان هذا هو حضارة سومر وما صلت إليه من إبداع ومن حسن توظيف للعقل من أجل خدمة الانسان، فإن ذلك يدل دلالة واضحة على جودة الفكر التربوي والعقل العلمي الذي كان موجودا داخل هذه الحضارة.

2- الكلدانيين: الكلدانيون هم قبائل " كلدو، فرع من الآراميين كانوا قد جعلوا من ضفاف العراق قبلتهم منذ القرن الرابع عشر ق. م أو نحوه، وتسلل الآراميون إلى بابل في أواخر عصرها الكاشي، واستمر الآراميون في توسعهم، فامتدت قبائل كالدو في جنوبي العراق حتى الخليج العربي، ولم يكن الآراميون بغير أثر في المجتمع العراقي، على الرغم من تفرقهم واعتمادهم على حضارة البابليين والآشوريين، فقد ترتب على انتشارهم في أجزاء شتى من بلاد الرافدين، وتدخلهم في المعاملات عن طريق التجارة، ووجود بعضهم خدما وأرقاء في بيوت الأثرياء وضياعهم، أن وجدت لهجاتهم سبيلها إلى السكان الأصليين، وكتب بها بعض المتعلمين بالخط المسماري، وعلى أنقاض الدولة الآشورية قامت دولة الكلدانيين على يد " نابو بولاسر (٦٢٦ ٦٠٤ ق ٠ م) ، وكان أبرز الحكام الكلدانيين " نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص114.

٥٦٢ ق .م)، الذي استطاع أن يدعم من مركز الدولة ويوسع من سلطنها عبر المناطق المجاورة.[1]

ولقد اهتموا بالأساس بالتعليم الفني والعملي، وكانت المعابد هي المراكز الرئيسية لنشاطهم الفكري، وكان الهدف من التعليم هو تكوين التجار والكتاب، كما اهتموا بدراسة الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة، ويذكر الدكتور عبد الله عبد الدايم أن الحفريات كشفت عن مجموعة من مؤلفاتهم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية، وأن شرائعهم كانت تشتمل على قوانين حكيمة قائمة على العدل والاستقامة

2- خصائص التربية في بلاد الرافدين

1- لم يكن التعليم في بلاد الرافدين عاما وإلزاميا وإنما كان معظم المنتسبين إليه من الأسر الغنية، ولم يكن بمقدور جميع الأسر تعليم أطفالها.

2- كان المعلمون يتقاضون أجورهم من مدفوعات الطلاب.

3- كان جنس الذكور هو الغالب على جنس الطلاب ومن ذلك مثلا أن العلماء يقولون أنه(لم يرد في الوثائق أي اسم لامرأة كاتبة، فيؤخذ من هذا على ما يرجح أن قوام طلاب المدرسة السومرية من الذكور فقط).

4- عرف نظام التعليم في بلاد الرافدين نظام التفرغ، وهو أن بعضا من المتخرجين خصصوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم، وجل حياتهم للبحث والكتابة في أوقات فراغهم.[2]

5- كان التعليم مقسما بين نوعين أو إلى اختصاصين، قسم للدراسات العلمية وقسم للدراسات الأدبية.

6- تميز الدوام المدرسي في بلاد الرافدين بطول مدته، إذ كان يمتد من شروق الشمس إلى غروبها.

7- كذلك تميز النظام التعليمي بطول مدة التحصيل، أي أن الطالب يمكث عدة سنوات متفرغا للطلب العلم والتعلم.

---

[1] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص120.

[2] - نفس المرجع، ص129.

8- كانت الصفوف المدرسية مقسمة تقسيما متمايزا، حيث كان لكل صف مواده الثابتة.

9- كان طلاب العلم والمنشغلون به من العلماء والباحثين يتمتعون بمنزلة اجتماعية عالية جدا

3- أهداف التربية في بلاد الرافدين

كان الهدف الأساسي للمدرسة في بلاد الرافدين القديمة هو ما يصح تسميته بالتخصص أو التدريب المهني لسد المتطلبات والحاجات الاقتصادية والإدارية ولا سيما ما يختص بالمعبد والقصر.[1]

2- تعلم وتعليم الكتابة باللغة السومرية القديمة.

4- نظام التعليم في المدرسة السومرية

كان المنهج الدراسي الذي تتبعه المدرسة السومرية في نظامها التعليمي مكونا من قسمين رئيسيين: القسم الأول يمكن وصفه بأنه شبيه بالنظام العلمي وهو القسم القائم على أساس البحث، والقسم الثاني كان خاصا بالإبداع والإنتاج الأدبي، لأن الهدف الأساسي للمدرسة السومرية كان تعليم الطلاب كتابة اللغة السومرية، ومن أجل تحقيق ذلك أوجد معلمو الكتبة السومريين طريقة في التعليم كانت تقوم أولا على التصنيف اللغوي، بتصنيف وتبويب اللغة السومرية إلى مجموعات من الكلمات والعبارات ذات صلة ببعضها، وفى الألف الثالث ق.م أصبحت مثل هذه "الكتب المدرسية " متكاملة تامة، وصارت بالتدريج قياسية مطردة في هيئتها ومحتوياتها وتستعمل في جميع المدارس في بلاد سومر، وكانت أشبه بالمقرر المدرسي للمدارس السومرية.[2]

وكان يقوم على تنفيذ نظام التعليم السومري جهاز متكامل من رئيس المدرسة السومرية والذي يدعى "أوميا Ummia"، أي "الخبير" أو "الأستاذ"، وكان يلقب أيضا "أبو المدرسة" أما التلميذ فكان يسمى "ابن المدرسة" وسموا " الأستاذ المساعد "باسم "الأخ الكبير"، وكان من بين واجباته كتابة الألوا الجديدة لينسخ منها الطلاب، وفحص النسخ التي يعدها الطلاب والاستماع إليهم وهم يستظهرون دروسهم من الذاكرة، ومن أعضاء هيئة التدريس الآخرين

[1] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص128.

[2] - نفس المرجع، ص130.

المدرس "المشرف على الرسم"، و"المدرس المشرف على اللغة السومرية"، كما كان من هيئة المدرسة "العرفاء" أو المرشدون المنوط بهم أمر المواظبة على الحضور، ثم "الرجل الموكل بالسوط"، الذى كان مسئولا عن حفظ النظام.[1]

5- محتوى التربية في بلاد الرافدين

لقد كان المحتوى التعليمي الذي ترتكز عليه التربية في بلاد الرافدين في تعليم الصغار والطلاب يتضمن المواد التالية:

1- تعليم الخط والكتابة: ومن ذلك مثلا ما كشفت عنه التنقيبات التي أجريت في محيط آثار هذه الحضارة من وجود لتمارين الخط وأنواع من التمارين منقوشة على الألوا، وأن هذه الخطوط كانت تختلف من حيث الدقة والمهارة، فبعضها مدون بخط رديء بعيدا عن الاتقان مما كان يكتبه المبتدؤون وبعضها مكتوب بخطوط منتظمة مما كان يكتبه الطلاب المتقدمون الذين كانوا على وشك الانتهاء من دراسته.[2]

2- تعليم الآداب: حيث أن الآداب القديمة كانت من بين مقررات التعليم في بلاد الرافدين.

3- دراسة القانون: وإذا قلنا القانون فالذهن مباشرة ينصرف إلى بلاد الرافدين وإلى "حمو رابي" الذي يقال إنه أول عقل بشري أبدع فلسفة القانون ووضع جملة القوانين المنظمة للفعل الإنساني، ولذلك كان على الطالب العراقي القديم في بلاد سومر أن يخصص شطرا كبيرا من مدة دراسته في حقل القانون، ولذلك نجده على الدوام يمارس ضبط العبارات والمصطلحات القانونية وكذلك استنساخ نصوص القانون وقرارات المحاكم.

4- الرياضيات والمسائل الرياضية وحلولها شكلت إحدى المنهاج التربوي في مدارس بلاد الرافدين.

5- دراسة نحو اللغة السومرية وقد أوجدوا لذلك ما يعرف بمعاجم اللغة.

6- الأخلاق: لقد تضمنت التربية اليومية في مدارس بلاد الرافدين التربية الأخلاقية ومعايير السلوك ولقد دل على ذلك ما ورد في إحدى الرسائل السومرية القديمة التي عثر عليها عن

[1] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص129.

[2] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص128.

النشاط اليومي لتلميذ المدرسة، بأنه في المدرسة نجد المعلم ومساعديه يضربونه بالعصا كلما أساء السلوك.[1]

7- الفنون: مثّلت الفنون بأشكالها وأنواعها المختلفة مجالا مهما من مجالات التعلم والتعليم.[2]

6- طرق وأساليب التربية والتعليم في بلاد الرافدين

1- الاستنساخ والتقليد والاستذكار والاستظهار: إن الحضارة في بلاد الرافدين حضارة شرقية لم تخرج ولم تحد عن خصائص الثقافة الشرقية في درجة الوثوقية الكبيرة في تراث الأسلاف، وفي مدى قدرة القديم على صياغة الحاضر، فرو الماضي كان دائما حاضرا في الحاضر ومسيطرا عليه، ولذلك خفّ الإبداع وركن الإنسان إلى الجمود والتقليد، وكما قلنا أحيانا بدافع الإيمان بقدرة القديم وأحيانا أخرى هو خوف من التغيير ومن المستقبل المجهول، وعلى ذلك فإن طرق تبليغ المعرفة في حضارة وثقافة بلاد الرافدين كانت تنتهج أسلوب الاستنساخ لنصوص السابقين والعمل على حفظها بإتقان والعمل على استذكارها واستظهارها.

2- استخدم المدرسون أيضا أسلوب الثواب والعقاب في تعليم طلابهم سواء تعلق بإكسابهم المعارف أو في تقويم سلوكياتهم وأخلاقهم داخل حجرات الصف.

7- الوسائل التعليمية

من أجل تبليغ وتوصيل المعرفة ومحتوى التربية السومرية لجأ السومريون إلى مختلف الوسائل التي كانت تمكنهم من ذلك، وهي في الغالب مما كانت تتيحه البيئة السومرية القديمة، مع بعض الإبداع في أحيان أخرى لوسائل وليدة الحاجة، ومن بين هذه الوسائل نجد:

اللو الذي استعمل للكتابة وتعليم الحروف والخط والحساب، والمقاعد لترتيب الصفوف وتنظيم العملية التعليمية، وأوان فخارية مدورة يعجن فيها الأطفال الطين بالماء، والقصب المحدد والمحدب الذي استعمل للكتابة، فضلا على جلد الغزال الذي استعمل من أجل الكتابة عليه كالورق في عصرنا.

[1] - سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص131.

[2] - نفس المرجع، ص 148..

أما الكتاب فكان يحتل منزلة رفيعة بالنسبة للعملية التعليمية فهو مستودع ما تم تعلمه وتعليمه[1]، وقد وجدنا مكتبات منسقة وفق المواد المختلفة وتحتوي صنوف الكتب.

8- الآثار العلمية والمنتجات الحضارية

- **تطوير علم الرياضيات:** إن أول ما يستوقفنا عند تناول الفكر التربوي في حضارة بلاد الرافدين هو الرياضيات، فقد سجل السومريون الأعداد الحسابية على هيئة دوائر وأنصاف دوائر أحيانا، وعلى هيئة خطوط مسمارية قائمة وماثلة تشبه في جملتها هيئة المربعات والمعينات الأخرى، واعتبروا العدد 6 بداية الكثرة في الآحاد بعد العدد 5 الذي يمثل نهاية العد على أصابع اليد الواحدة، كما اعتبروا العدد 60 بداية الكثرة في العشرات، وكانوا يرمزون إليه بعلامة مسمارية قائمة شأنه في ذلك شأن الواحد بداية العد

كما توصل السومريون إلى جدول لرفع الأعداد وجداول للجذور وجداول تبين معكوس العدد وعرفوا كيفية تقسيم مساحة المستطيلات والمثلثات المتساوية الساقين والقائمة والزوايا. وعرف البابليون كيف يقيسون مساحة المستطيلات والمثلثات المتساوية الساقين والقائمة الزاوية، وأدركوا أن الزاوية المرسومة في نصف الدائرة هي زاوية قائمة، واستطاعوا أن يقيسوا حجم متوازي المستطيلات القائم وحجم الاسطوانة القائمة وحجم المخروط المقطوع وحجم الهرم الرباعي المقطوع، واختلف حلهم الهرم الرباعي المقطوع اختلافا قليلا عن حل المصريين، وبلغ الجبر مرحلة متقدمة في بلاد الرافدين، ويقول بعض المؤرخين أن العرب اعتمدوا على المعلومات الرياضية التي توصل إليها البابليون أكثر من اعتمادهم على اليونانيين في هذا المجال، ويعتبر الجبر الحديث تطورا للجبر البابلي الذي تعثر لدى الإغريق ولم يستعمل البابليون الرموز في الجبر، ومع ذلك فقد توصلوا إلى أسس هامة في خصائص الأعداد، كما عرفوا المعادلات الجبرية الأساسية من الدرجات الأولى والثانية والثالثة، واتبعوا في حلها طرقا عملية تبعث على الإعجاب وبعضها يتضمن مبدأ المتواليات، ففي المتحف البريطاني لو

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص139..

يحتوى مسائل تحل بمعادلات الدرجة الثانية ومنها المسألة التالية " لو أضفت مساحة مربع إلى طول ضلعه كان الناتج ثلاثة أرباع، فما هو طول الضلع ؟[1]

- اختراع اللغة السومرية:

هنالك ما يشبه الاجماع بأن الكتابة هي أهم عمل قام باختراعه العقل الإنساني إبّان الحضارة السومرية، والحديث هنا عن الكتابة المسمارية التي ظهرت في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد وتوثقت وتضاعفت في الألف الثالثة، وطرأ عليها التغيير في أوساط الألف الثاني حتى انشطرت في الألف الأولى إلى فرعين آشوري وبابلي، وتجدر الملاحظة إلى أن جميع البلدان التي كانت محيطة ببلاد الرافدين ما عدا بلاد الفنيقيين وكنعان كلها كانت تستخدم الكتابة المسمارية في مراسلاتها الرسمية[2].

وإذا كان الباحثون قد اتخذوا من الكتابة حدا فاصلا بين التاريخ وما قبل التاريخ فإنها في الواقع لم تصبح أداة نافعة للتدوين على نطاق واسع إلاّ بعد قرون من ظهورها في بلاد سومر.[3]

وتمتاز الكتابة السومرية بأنها عرفت الحروف المتحركة، وهذا مما يسهل على القارئ نطق الكلمات، كما أنه ما يميز الكتابة التي أوجدها السومريون في وادى الرافدين قديما هو اعتمادهم مادة خاصة، فبينما نلقى مناطق أخرى استخدمت مواد الخشب والجلد والبردى للتعبير عن الفكر عبر رموز متفق عليها، مع شيء يسير من أنصاب حجرية نقشت عليها بعض الكتابات، نرى شعوب وادى الرافدين تستخدم الصلصال، وكان للخطوط التي يرسمونها نهايات مدببة بسبب رأس قلم الكتابة، الذي كان أشبه بالمسمار، ومن هنا جاءت تسمية هذه الكتابة بالكتابة المسمارية.[4]

ولقد كان لاختراع الكتابة انعكاسات كبيرة على الحياة العراقية القديمة بصفة عامة والحياة الثقافية والحركة التربوية بصفة خاصة، منها انتشار خزانات الكتب، على أن أهم دور قامت به اللغة السومرية المكتوبة فهو حفظ اللغة نفسها وتصويبها وجعلها مادة قياسية، لأنه ما دامت اللغة غير مكتوبة لم يكن بد من أن يطرأ عليها التغيير والتبديل بسرعة، كما ساهم اختراع اللغة

---

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص144.

[2] – نفس المرجع، ص122.

[3] – نفس المرجع، ص125.

[4] – نفس المرجع، ص121.

في أصل فكرة المعاجم " القواميس" من خلال ما كان يقوم به العراقيون من ترتيب وتصنيف للكلمات المترادفة.[1]

– خزانات الكتب: وهي كما أشرنا أحد الآثار التي نجمت عن اختراع الكتابة أو الخط المسماري، ومن الدلائل على ذلك الاكتشاف الضخم المتمثل في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال الذي تولى الحكم خلال الفترة من (٦٦٩–٦٢٧ ق ٠ م)، فقد وجد في هذه المكتبة أكثر من عشرين ألف رقم طيني، وهي اليوم موجودة في المتحف البريطاني في لندن، وحسب بعض الباحثين كان هذا الحاكم هو أول من توصل إلى الفكرة بأن يجمع في مكان واحد كل ما أبدعته الأجيال السابقة في الشرق الأوسط في حقل المعرفة والأدب، وهي المبادرة التي ندر أن يكون لها مثيل في التاريخ، ويبدو أن المكتبة كانت تخدم دائرة واسعة من المتعلمين وبالدرجة الأولى أولئك الذين يدخلون القصر الملكي.[2]

– إضافات نوعية في علم الفلك:

كان علم الفلك أو بعبارة أصح موضوع الفلك هو العلم الذي اشتغل عليه البابليون أكثر من أي علم آخر، وإن كان منشأ هذا العلم نوازع غير علمية بالأساس، إلاّ أن ذلك ساهم في تطويرهم وبراعتهم لهذا الفن.

ومن نتائج براعتهم في هذا الفن توصلهم لتنظيم المواقيت والأزمان، ومن ذلك قسمتهم السنة إلى اثنتي عشر شهرا قمريا، منها ستة في كل منها ثلاثون يوما والستة الأخرى في كل منها تسعة وعشرون، ولما كان مجموع أيامها على هذا الحساب لا يبلغ إلا 354 يوما فإنهم كانوا يضيفون في بعض السنين شهرا آخر لكي يتفق تقويمهم مع الفصول، وقسموا الشهر إلى أربعة أسابيع تتفق مع أوجه القمر الأربعة، كما أنهم بنو المرصد الفلكي في أربيل في آشور من أجل رصد الأفلاك والكواكب وحركة النجوم وتحديد مسارات وتغيرات أوضاع القمر بالأساس وغير ذلك.

كما استعان العراقيون القدامى بكتب تعليمية ساعدتهم في تدوين مضامين هذا الفن وتعليمها ونقلها للطلاب.

---

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص126.

[2] – نفس المرجع، ص142.

– **الطب:** الطب هو المهنة أو الفن الذي يعد من أول الفنون التي عرفها الإنسان، أو كان مرغما عليه للاشتغال عليه، وذلك لحاجته لهذا الفن وتعلق هذا الفن بصحة الانسان، وقد كشفت الأنثربولوجية الشهيرة مرغريت ميد عندما سئلت عن أي شيء لفت نظرها في الحضارات البدائية قالت هو وجود هيكل لإنسان قد شفي من كسر، فعلاقة الانسان إذا مع فن الطب قديمة جدا، ولذلك لم يكن غريبا على السومريين أن يبرعوا فيها لعلو حضارتهم مقارنة بحضارات أقل شأن منها، وإن كان الطب السومري كما يروي المؤرخون قد اختلط بالدين والسحر والكهانة، واستعملوا في التطبيب مختلف العقاقير الطبيعية والنباتية والعلاجات الروحية، ولقد كشفت الوثائق السومرية القديمة عن وثيقة طبية منقوشة بأول وصفة صيدلية في تاريخ الإنسان، ما يؤكد أن مهنة الأطباء كانت معروفة في بلاد سومر خلال الألف الثالث ق.م

– **علم كمياء المعادن:** كان اكتشاف المعادن واستخدامها أحد العوامل التي ساعدت على ظهور الكيمياء وتقدمها في بلاد الرافدين، فقد صنعوا البرونز، وتشير المكتشفات التي عثر عليها في مقابر أور إلى معرفتهم مزج المعادن، فهناك مركبات الإلكتروم (مزج الذهب بالفضة) في بعض القطع الفنية المكتشفة، وقد مزجوا النحاس بالقصدير أولا ثم بالرصاص فيما بعد، واستخدموا الحديد في العهد الأشوري الحديث، وقد حاولوا صنع المعادن الثمينة من المعادن الخسيسة ووصلوا بمحاولاتهم إلى معلومات هامة عن خصائص المعادن وبعض الطرق الكيميائية، كما توصلوا إلى صنع الأصباغ والعطور والعقاقير والصابون والجعة والمشروبات[1].

– **القانون وعلم التشريع:** ربما يكون التشريع القانوني هو أبرز المنتجات الحضارية التي أنتجتها حضارة بلاد الرافدين ووصل تأثيرها إلى العصور اللاحقة، وما يذكر التشريع القانوني إلاّ ويذكر حمو رابي وقوانينه وتشريعاته، لما شكلته من حدث وسبق لم يعرفه الإنسان من قبل، وما قام به هذا الإبداع الفكري والعقلي من تغيير في المجتمع وتنظيماته وما قام به من دور في تحديد المسؤوليات والعلاقات بين مختلف تنظيمات المجتمع داخل الأسرة والسلطة والمجتمع.

[1] – سعيد إسماعيل علي: مرجع سابق، ص147.

رابعا- التربية في الحضارة والثقافة المصرية القديمة(الفرعونية)

تعتبر بلاد مصر القديمة من أهم الحضارات التي عرفها الإنسان في سلم تطوره البشري، وما الشواهد والآثار التي مازالت إلى اليوم محل تنقيب ودراسة من طرف علماء الآثار في أماكن هذه الحضارة والكنوز المادية وغير المادية التي تكتشف كل مرة لدليل على أصالة هذه الحضارة وقدمها وتطورها في الوقت ذاته، ولقد ذكرها القرآن الكريم بالاسم الصريح في مواطن مختلفة وذكر حوادثها وحكامها وغير ذلك.

وترجع الحضارة المصرية القديمة إلى العصر الحجري القديم، بعدما لجأ السكان للعيش حول ضفاف النيل بما يوفره من سبل للعيش وتوفير لمصادر الغذاء، فعرفوا صيد السمك والحيوانات خاصة البحرية وتربية المواشي وبرعوا في الزراعة واستصلاح الأراضي مستغلين مياه نهر النيل، وأحسنوا تخزين الطعام، وطرق الري.

ومما هو متفق عليه بين الباحثين أن لنهر النيل دورا كبيرا وحاسما فيما بلغته الحضارة المصرية من تقدم وتطور مقارنة بغيرها من الحضارات، وإلى ذلك يشير أحد الباحثين بأن المصريين قاموا بثورة زراعية نتيجة لاستصلاح الأراضي وتنظيم مياه النيل واختراع المحراث.

وبالتقريب الزمني يرجع الباحثون ومنهم ماسبيرو فجر تاريخ ثقافة المصريين الأوائل إلى ما بين عشرة آلاف وثمانية آلاف سنة قبل الميلاد، رغم أن التاريخ المدون عن مصر يبدأ من سنة 4241 ق.م[1]، في حين يقول برستد إن وادي النيل سكنه أقوام ترجع إلى ثمانية عشرة ألف سنة قبل الميلاد.[2]

ويقسم تاريخ مصر القديمة إلى ثلاث دول: الدولة القديمة والوسطى والحديثة، عاشوا حول نهر النيل منقسمين أقساما، ولكل قسم شعار ورئيس وإله خاص به، ثم اتحدت بعض الأقسام مع بعض مكونة مملكتان أحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب، ويعزى إلى الملك

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص91.

[2] – مصطفى زايد: موجز تاريخ ونظرية التربية، دار الخلدونية، الجزائر، 2012، ص37.

مينا أنه وحّد القطريين وأسس عاصمة له في منف وأعلن قانونا عاما أوحى إليه بعد الإله توت، ليبدأ عهد الأسرات في مصر القديمة[1].

1- سمات وخصائص المجتمع الفرعوني

- النظام الطبقي: إن من أهم الميزات التي تميز بها المجتمع المصري القديم هو النظام الطبقي الذي كان يسم وضعه الاجتماعي ويؤثر من خلاله في كافة النشاطات الاجتماعية داخل الدولة، ولم يكن هذا النظام الطبقي بالرغم من وجوده نظاما مغلقا على شاكلة ما كان موجودا عند الهنود مثلا وغيرهم، وإنما كان نظاما مفتوحا إلاّ من الانتساب لأسرة الفرعون.

واشتمل هذا النظام أربع طبقات كالتالي:

- الطبقة الأولى: وتشمل أفراد العائلة الفرعونية وكبار رجال البلاط، وتأتي على قمة الهرم الاجتماعي، ولقد كان المصريون يعتقدون في الفرعون أنه إله يدير شؤنهم، وقد جاء على لسان فرعون موسى في القرآن مخاطبا شعبه بقوله (أنا ربكم الأعلى)[2] وأنه من يدير الكون ويدبر لهم شؤونهم بقوله(ونادى فرعون في قومه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي)[3] كما أن الفرعون كان يمثل للمصريين مصدر المعرفة والحكمة، ولذلك جاء في عتابه على السحرة الذين آمنوا بما جاء به موسى عليه السلام قوله(قال ءامنتم به قبل أن اذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السّحر)[4]

- الطبقة الثانية: وتشمل الكهنة أو رجال المعبد كما يعرفون وبعض النبلاء وقواد الجيش، ولقد كان أفراد هذه الطبقة ذوو نفوذ كبير جدا في إدارة البلاد، كما أن كهنة المعبد كانوا يستأثرون بالعلم وباللغة الهيروغليفية كما أنه كانت لهم مكانة مرموقة في مجلس الفرعون، بتعبير أحمد مرسي كانوا يكونون الأرستوقراطية الاجتماعية والفكرية في مصر.

- الطبقة الثالثة: وتشمل كبار التجار وأصحاب المهن من الأثرياء وهم الذين يشكلون الطبقة المتوسطة.

---

[1] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص92.

[2] - سورة النازعات: الأية 24.

[3] - سورة الزخرف: الآية 50

[4] - سورة طه الآية 70

– الطبقة الرابعة: وهي الطبقة التي يتشكل منها بقية سكان مصر القديمة وتشتمل على الحرفيين والفلاحين والرعاة والعبيد وغيرهم من دهماء الشعب.[1]

مما يلاحظ على النظام الطبقي للمجتمع الفرعوني كما بينا أنه لم يكن مغلقا إلاّ طبقة الأسرة الفرعونية فلم يكن بالإمكان الولوج إليها، وأنه في داخل الطبقة الواحدة كانت توجد درجات، فالكهنة لم يكونوا كلهم درجة واحدة من حيث المركز أو من حيث الثراء، وكان التفاوت واضحا بين حياة الأشراف من الشعب والبقية، لقد كان هنالك تفاوت في الملابس والغذاء والسكن، وكيفية قضاء وقت الفراغ.

كما عرفت المرأة مكانا مرموقا ومنزلة رفيعة في المجتمع المصري القديم، وتساوت مع الرجال في الطبقة الواحدة التي ينتمون إليها، وكان لهم الحق في التملك والميراث وطاعة الزوج بل وحتى تبوئن عرش الفرعون، ومثال ذلك حتشبسوت الذي تولت حكم مصر ما بين 1580–1100 ق. م[2]

تعدد الآلهة: تميّز المجتمع المصري القديم بتعدد الآلهة، حيث عبد المصريون آلهة كثيرة تعددت بين الكواكب والحيوانات والإنسان وهنا الحديث عن الفراعنة الذين كان يعتقد بأنهم آلهة وهو الأمر الذي أدى إلى تحنيطهم وانتشار ثقافة القبور الكثيرة المنتشرة بين الأسر الفرعونية وبناء الأهرامات ليحفظوا جثثهم فيها والتي كشفت عنها الحفريات الأثرية، لأنهم كانوا يؤمنون بالبعث بعد الموت وخلود الروح وأن الأرواح تعود لتسكن الأجساد من جديد ومن الدلائل على انتشار ثقافة تعدد الآلهة ما قصّه القرآن عن واقعتهم مع السامري الذي اتخذ لهم عجلا من ذهب يعبدونه، قال تعالى:(فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى فنسي)[3]، وقولهم لنبي الله موسى (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)[4]

وعن هذا الواقع الذي كان يعيشه المجتمع المصري القديم يحدثنا مصطفى أمين في كتابة الشيق تاريخ التربية بأن المصريين مارسوا عبادة آلهة مختلفة منها:

---

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص45.

[2] – مصطفى زايد: مرجع سابق، ص38.

[3] – سورة طه: مرجع الآية، ص86.

[4] – سورة الأعراف: الأية 138

– عبادة القوى الطبيعية: وذلك لأنه كان للبيئة تأثير كبير في أفكارهم وعقائدهم الدينية، فقد تأملوا في الطبيعة حولهم فوجدوا الشمس والنيل قد خلقا مصر خلقًا، وأنه لولاهما لما كانت مصر ولا كان أهلها، فاتخذوهما إلهين، وتقربوا إليهما بالعبادة وتقديم الهدايا والقرابين، ويعد هذان الكائنان أقدم آلهة المصريين وأعظمهما شأنا، وقد كثرت آلهتهم بعد ذلك، فعبدوا الأرض والسماء والقمر والنجوم وكل كائن له تأثير ظاهر قوي في حياتهم وحياة بلادهم، وكانت الشمس أعظم آلهتهم على الإطلاق، ولذلك كثر عبادها واختلفت أسماؤها، فسميت رع، وأمون، وهور، وبتاح، وتوم، وأوزيريس، وتغنى الشعراء بتمجيدها وتعظيمها.

– عبادة الحيوان: حيث اعتقد المصريون أن الآلهة تحل في بعض أجساد الحيوان، فعبدوا من أنواعه ما رأوا أن روح الإله حلت فيه، عبدوا الثور والجعل والباشق والقط والكلب والتمساح، ولم تكن هذه الآلهة عامة بين الناس، بل كانت خاصة، لكل إقليم إلهه الخاص به، فبينما كان التمساح يعبد في طيبة ويتزلف إليه بأنواع القرابين، كان الناس يقتلونه ويطاردونه في جزيرة الفيلة.

– عبادة الأصنام: حيث مثّل المصريون آلهتهم على أشكال مختلفة، فمنها ما صورته صورة إنسان، ومنها ما صورته صورة حيوان، ومنها ما له رأس إنسان وجسد حيوان ومنها ما له رأس حيوان وجسد إنسان، وقد كانت أسماء هذه التماثيل تختلف باختلاف الجهات والأقاليم وإليك تمثال إله الشمس، فقد كان أهل منف يسمونه بتاح، وأهل طيبة يسمونه أمون، وأهل إدفو يسمونه حورس وأهل دندره يسمونه هاتور وقد كان شأن الإله يختلف عظمة باختلاف المدينة التي يعبد فيها، وأعظم الآلهة ما كان مقره قصبة الملك، ولم يكن المصريون يعتقدون أن هذه التماثيل مجرد رموز للآلهة، بل اعتقدوا أن الآلهة تحل فيها وتسكنها.

– عبادة الموتى: لقد عبد المصريون أرواح الموتى، وكانت هذه العبادة سائدة في عصر الأهرام، وكان المصريون إذا مات لهم ميت زينوا قبره بالكراسي والمناضد والسرر وأدوات الزينة والأسلحة والحراب والنقوش والتماثيل، وملئوه بصنوف الطعام والشراب واللباس، إذ كانوا يعتقدون أن آلهتهم لا يرضون عن الميت إلا إذا اهتم الأحياء بتكريمه عند وفاته، فاحتشدوا حول جنازته وقت دفنه، وملئوا قبره بنفيس الهدايا وعظيم الذخائر، كانوا يعتقدون أن الميت الذي يكرم هذا التكريم يرتفع إلى درجة الآلهة ويستحق العبادة والتقديس.[1]

[1] – مصطفى أمين: تاريخ التربية، وكالة الصحافة العربية، مصر، 2019، ص15–19

– عبادة الأشجار: عبد المصريون شجرة الجميز والنخلة، وقدموا للشجر قرابين من الخيار والعنب والتين، ثم ارتقت بعد ذلك هذه العقيدة وتقدمت في مسار الفلسفة حتى قررت أن الإله يحل في كل كائن حي، بل في كل جزئية من جزئيات الطبيعة، وأنه ذو مظاهر متعددة.[1]

– التوحيد: ولقد انتهت بعض العقول العالية في العصور الأخيرة من عصور الدولة إلى أن الآلهة التي تملأ المعابد والمقابر لم تكن سوى مظاهر لإله واحد، عالم بصير حي باق لا شبيه له، يحكم في السماوات والأرض ولا تدركه العيون، غير أن هذا التوحيد لم يكن سوى مذهب دان به بعض المفكرين وقصروه على أنفسهم، ولم يكن يوما من الأيام دينًا عامًا يدين به الشعب أو يمليه القساوسة على الناس.

– اخترا الكتابة: كذلك نجد أن من بين السمات والخصائص للمجتمع المصري القديم هو الكتابة واللغة المصرية القديمة التي تعتبر من أبرز الاكتشافات العلمية التي عرفها الإنسان عموما وحقّ للمصريين أن يفتخروا بها لأنها شكّلت عاملا مهما في الحفاظ على تاريخ الحضارة المصرية لأن التدوين وحده من يفعل ذلك، عكس حضارات أخرى ضاع كثير من تاريخها وموروثها بسب عدم وجود تدوين لذلك التاريخ وكذلك أدى عدم وجود تاريخ مدون والاقتصار على المرويات والشفويات إلى اختلاطه بعنصر الأسطورة والخرافة ويظهر ذلك جليا في الحضارات الهندية والصينية وغيرها

وأما الكتابة الهيروغليفية فهي كتابة تتركب من علامات وصور مختلفة لأنواع الحيوان والنبات وغيرهما من الأشياء المادية؛ واليونان هم من أطلقوا عليها لفظ هيروغليف، أي الحروف المقدسة، وقد بقيت هذه التسمية إلى اليوم، كل صور رمز لمعنى أو أكثر ثم دخل هذه الكتابة شيء من التنقيح والتهذيب والاختصار، فنشأت الكتابة الهيراطيقية التي كانت تكتب دائمًا من اليمين إلى اليسار على خلاف الخط الهيروغليفي فإنه كان يبتدأ به تارة من اليمين إلى اليسار، وأخرى من اليسار إلى اليمين من غير فرق، ثم دخل الكتابة الهيراطيقية شيء من التغيير والاختصار، فكانت الكتابة الديموطيقية، أي الكتابة العامية، وقد بقيت هذه الكتابات الثلاث مستعملة بين الناس، غير أن الأولى كانت خاصة بالنقش على المباني وبالشئون الدينية أما

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص96.

الوليدتان فقد كانتا تستعملان في التجارة وفي بقية الأمور الدنيوية، وفي نشر الأعمال الأدبية من تأليف وتصنيف.[1]

2- أهداف التربية المصرية القديمة

استهدفت التربية المصرية القديمة تنمية الأفراد تنمية ثقافية وتنمية مهنية.

كانت التربية تهدف إلى تأكيد سيطرة الفرعون ورجال الدين وإعداد الفرد ليوم الحساب الذي كانوا يعتقدونه.

- تعليم الأفراد وخاصة العبيد القيام بالخدمات والأنشطة المختلفة لخدمة المعابد والأسرة الفرعونية.

- تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد من خلال التعلم الذي يتيح العمل في بناء الأهرامات أو المعابد أو داخل قصور الفراعنة.

3- سمات وخصائص التربية الفرعونية

- كانت التربية المصرية أو عند المصريين القدامى تبتدأ من سن الخامسة أو الرابعة إلى سن السادسة أو السابعة عشرة.

- مدة الدوام المدرسي ست ساعات في اليوم.

- لم يكن هنالك نظام مسنون ومنهج موحد في التربية وإنما ترك الاجتهاد المعلم.

- كان المعلمون أو محترفو التعليم الابتدائي كما يسميهم مصطفى أمين يتميزون بالكثرة والوفرة أي أن المجتمع المصري كان مجتمعا متعلما وتشيع المعرفة بين طبقاته.

- كان التعليم والتربية خاصة الابتدائي مجانيا ومتاحا لأغلب الطبقات.

- كان التعليم العالي خاصة بطبقة الأشراف من الكهنة والأسرة الفرعونية ومقصورة على أبنائهم.

- كان التعليم العالي في الغالب يقدم في المعابد وداخل المدن الكبرى ويتولى أمره كبار كهنة المعبد.[2]

---

[1]- مصطفى أمين: تاريخ التربية، وكالة الصحافة العربية، مصر، 2019، ص11

[2]- نفس المرجع، ص22.

– كانت المدارس خاضعة للحكومة التي تمولها وتشرف عليها.

– كان التعليم المصري ذو طابع مهني وديني وهو ما جعل التربية تتضمن تدريبا عمليا مهنيا بعد سن الثالثة أو الرابعة عشرة.

– يتقاضى الطلاب في مرحلة التعليم والتدريب المهني منحا.

– سمح للطلاب بتغيير المهن التي كانوا يدرسونها ولم يجدوا أنها تناسبهم.

– يلتحق طلاب اللاهوت والمسائل الدينية بكليات المعابد الدينية بعد سن السابعة عشرة وتتوقف مدة الدراسة على الوظيفة الكهنوتية التي يعد الطالب لها.[1]

– سمح للبنت المصرية بنصيب من التربية: على عكس الثقافات الشرقية القديمة فقد كان للبنت نصيب من التربية والتعليم، أين كن يتعلمن القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، ولكنهن لم يتعدين في ذلك حدود التعليم الأولي، ولم يتذوقن طعم التربية العالية في حال من الأحوال، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هذا التعليم الأولي خير معين لهن على تربية أولادهن في المنازل في الأدوار الأولى من أدوار الحياة[2].

– سطوة الكهنة على التربية المصرية القديمة: إن أهم خصية من خصائص التربية المصرية القديمة والتي لا يمكن دون إدراك كنهها فهم تطور الفكر التربوي الفرعوني وهي سيطرة الكهنة على الشأن التربوي من أوله إلى آخره، أي من محتوى مواده وبرامجه إلى الإشراف على امتحاناته ونتائجه، ويكاد يتفق كل المؤرخون على أن سيطرة الكهنة على التعليم النظامي قد اعطاهم السيادة على العقل المصري القديم.

4- محتوى التعليمي في التربية المصرية القديمة

لقد ظهر تأثير الحياة الاجتماعية للمجتمع الفرعوني واضحا بشكل كبير على محتوى التربية عند المصريين القدامى وبخاصة الأسرة الفرعونية، فضلا على ارتباط عيشيهم وحياتهم الوثيق والشديد بنهر النيل، فكانت التربية في أهدافها ومحتواها وكأنها صيغت ليعكس محتواها هذا الواقع المعاش، وهو خدمة الأسرة الفرعونية وتسخير نهر النيل للفرد المصري القديم.

---

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص110.

[2] – مصطفى أمين: مرجع سابق، ص27.

وقد تضمن محتوى التربية تعلم الخط والكتابة الهيروغليفية والمواعظ الدينية والموسيقى والرقص والسباحة ومختلف صنوف الفنون التي تطورت كثيرا بسبب ارتباطها بالمعابد والطقوس الدينية.

كما تضمنت التربية المصرية أبرز العلوم الهندسية والرياضية كالطب والفلك والحساب والهندسة وذلك لحاجتهم إليها في بناء الأهرامات الشاهقة ومقابر الدفن وتحنيط الجثث وتشريحها وحساب الأعياد الدينية.

ويحدث (ول ديورانت) في موسوعته قصة الحضارة أنهم نبغوا في الجراحة وبشكل خاص في جراحة العظام، وأنهم عرفوا التخصص في مهنة الطب، فكان هنالك أطباء متخصصون في اضطرابات المعدة، وأطباء للعيون والمتخصصون في أمراض النساء والتوليد وأطباء للأسنان وكان بعضهم يختص بفن التحنيط.

كذلك تضمنت التربية المصرية اللغات الأجنبية وخاصة لغات تلك الحضارات التي بدأ يظهر بريقها في العالم في ذلك الوقت بغية الاستفادة من تجارب هذه الدول، حيث أنه في القرن السابع قبل الميلاد حدث انقلاب في وجوه التربية في مصر، وذلك لأن أبسمتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين أراد الانتفاع بحضارة الأمم التي أخذت في الظهور، وفاقت المصريين في الاختراع والابتكار فعقد حلفًا مع الولايات الإغريقية، وفتح مدائنه للتجارة الأجنبية، وعلم أولاده علوم الإغريق وفنونهم، فأثّر هذا في التربية المصرية، وصبغها بصبغة إغريقية، ولم يمض على ذلك غير يسير من الزمن، حتى كانت اللغة الإغريقية موضوعًا معدودًا في مناهج الدراسة المصرية.[1]

5- مراحل التربية في مصر القديمة

- المرحلة الأولى: وقد تكون هذه المرحلة أشبه بالتربية التحضيرية حيث كانت تسند إلى مؤسسة الأسرة، حيث كان الأطفال يظلون في حضانة أمهاتهم حتى سن الثالثة، يتعلمون القواعد الأولى للحياة باحتكاكهم بأفراد الأسرة ورفاق اللعب.[2]

[1] - مصطفى أمين: مرجع سابق، ص24.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص110.

– المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي كانت في الغالب تدوم من أربعة إلى عشر سنوات، وغالبا ما تبدأ من الأسرة عبر الوالدين الذين يقومان بدور المؤدب لولدهما، أو ترسل الأسر أولادها إلى منزل أحد المربين ليتعلم منه، أو يذهب به إلى نوع من المدارس كان يسمى بيت التعليم.

وكان منهاج الدراسة في هذه المرحلة الابتدائية يشتمل بالأساس على الدين وآداب السلوك ومبادئ القراءة والكتابة والحساب والسباحة والرياضة البدنية والرسم والإنشاد والجغرافيا

– المرحلة الثالثة: وتستمر من عشرة إلى خمسة عشرة سنة من حياة الطفل بعد أن يكون قد أكمل المرحلة الأولى ونجح فيها، وذلك بأن قد تعلم خلالها اللغة والكتابة والمخطوطات الدينية والطقوس الكهنوتية، ويمتحن في اقتباس أسلوب الكتابة.

– المرحلة الرابعة: وهي مرحلة التعليم العالي: وكان التعليم في هذه المرحلة بالأساس يتم داخل المعابد الدينية، التي كانت بمثابة الجامعات ومن أشهرها أون بعين شمس ومعبد الكونك في طيبة ومعابد مفيس ودافو وتل العمارنة، وكانت مدة الدراسة فيها تختلف من تخصص لآخر، كما كان يغلب عليها طابع الدراسة الفنية والمهنية، وذلك بغية اكتساب الصيغ اللغوية والقدرة على التعبير وحتى يتمكن المتعلم من كتابة النصوص القانونية والتجارية كتابة سليمة.[1]

ويذكر سعد أحمد مرسي أنه لم يدخل مرحلة الدراسة العليا إلاّ عدد محدود من الطلبة، وأنهم قد خضعوا لنظام صارم أشاع في نفوسهم خوفا مستمرا.

ومن أهم هذه المراكز مركز "أون" الشهير الذي اشتهر بعلوم الفلك والدين والفلسفة وتدريس الحكمة وآداب السلوك والطب

ولقد ازدهرت في مصر القديمة مؤسسات ومراكز علمية تقدم معرفة عالية جدا داع صيتها إلى الدول المجاورة وقصدها كبار الفلاسفة من اليونان والهنود والفرس، على شاكلة مركز "أون" الذي وصفه أحد الأدباء بالمركز المقدس، وقد ازدهرت جامعة أون القديمة هذه بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب في وقت واحد وفيها نشأ أول مذهب ديني لتفسير نشأة الوجود والتوحيد وانتسب إليها أكثر الفلاسفة والعلماء الذين وضعوا أسس الحضارة والفلسفات والتشريع وأنظمة المجتمع، ومنها خرج التقويم الشمسي

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص49

المربع الذي قسم السنة إلى 365 يوما وربع والتقسيم الكهنوتي المقدس الذي قسمها إلى 365 يوما و 5 ساعات و 49 دقيقة و 40,5 ثانية، وهو التقسيم الذي حيرت دقته وصحته علماء الفلك في العصر الحديث بوسائلهم الإلكترونية.

ولقد كان الطلبة في المعهد المقدس يقضون حياتهم كلها في خدمة العلم كعقيدة مقدسة وداخل المعبد يحرم عليهم الاتصال بأحد من خارج المعبد، كما كان يحرم عليهم إفشاء أسرار المعرفة التي تعلموها والعلوم التي يمارسونها، وقد انقسم علماء معبد "أون إلى قسمين قسم يعتبر من الكهنة المبجلين ورثة أنصاف الآلهة وهم الذين يلقنون العلم ويتخصصون فيه بالوراثة أبا عن جد، ويذكر عمر العالم منهم بعمر نسبه فتشير شهادة ميلاده إلى أن عمره خمسمائة عام أو ألفين وهكذا يعتبر هؤلاء الكهنة العلماء أمناء على أسرار مقدسات المعرفة بالمعبد، والبعض الآخر وهم العلماء المنتسبون أو الأمناء على أسرار المعرفة ويحملون لقب الكهنة الأمناء ويختصون عادة بالعلوم التطبيقية أي الواسطة بين أسرار المعرفة وما يكون منه من خدمة الشعب والمجتمع.[1]

6- طرق وأساليب التربية والتعليم

لم تخرج التربية المصرية عن منهج الثقافات الشرقية التي سبقت الإشارة إليها في مواضع كثيرة وذلك بالرغم من تفوقها في مواطن كثيرة ونبوغ علمائها خاصة في العلوم الهندسية والرياضية، إلاّ أن الطابع العام خاصة ما تعلق بالعلوم الأدبية والإنسانية وكل ما تعلق بعلوم بناء الإنسان لم يخرج عن تقاليد الشرق القديم:

1- استخدام أسلوب التقليد والتكرار في تعليم القراءة والكتابة: كانت طريقة تعليم هذه الكتابة أن يكتب المعلمون نماذج للأطفال يحاكونها، فيأخذ كل طفل قلمه ولوحه الخشبي ويجتهد في محاكاة النموذج الذي وضع له، حتى إذا ما قطع هذه المرحلة وأفلح، انتقل به المعلم إلى الكتابة على ورق البردي، فيملي عليه أبياتاً من الشعر، أو حكاية قصيرة، أو نبذا من كتاب ديني، أو فقرة من كتاب مدرسي، وقد يأمره بنسخ قطعة قصيرة أو طويلة من كتاب يعينه له، وبهذه الطريقة كان المعلمون يستطيعون أن يأخذوا الأطفال بجودة الخط وحسن الأسلوب معا،

[1] - مصطفى زايد: مرجع سابق، ص42.

وكان التلميذ يتعلم تلك الرموز عن ظهر قلب وينسخها وعندما ينتهي من تعلمها يكون قد عرف القراءة والكتابة تقريبا.

وقد عثر الباحثون على كثير من كراسات الخط التي كان التلاميذ يتعلمون فيها الكتابة عرفوها بما كان فيها من آثار إصلاح المعلمين، والباحث في هذه الكراسات يرى كل ورقة من أوراقها قد كتبت من وجهين، في أحدهما آثار أعمال التلاميذ تحسين خطوطهم، وفي الآخر مسائل حسابية ورسائل تجارية وكتب معاملات.

ويرجع بعض الباحثين اعتماد هذا الأسلوب لصعوبة تعلم اللغة المصرية القديمة والتي كانت تتكون بالأساس تتكون من رموز تصل إلى 500 وهو ما جعلهم يقضون أوقاتا طويلة في تعلم الكتابة الهيروغليفية[1]

2- استخدام أسلوب الحفظ والاستظهار: وهو من خلال الحفظ المتقن للنصوص واستظهارها.

أدى اتباع هذا الأسلوب إلى نوع من الثبات في التقاليد المصرية القديمة والحياة الاجتماعية، ووقع العقل أسيرا لقدسية الكلمات التي لو أخطأ المصري القديم فيها حقت عليه لعنة الآلهة وغضبها.[2]

3- أسلوب التمهين: وهو الأسلوب الذي كان معتمدا في تعلم المهن والحرف، حيث يلازم الطفل أو الشاب معلما وفي الغالب يكون من داخل الأسرة فيتعلم منه الحرفة التي يعمل بها ذلك البالغ الكبير.

4- استخدام أسلوب الشدة والقسوة والعقاب البدني في تربية الأطفال: وفي ذلك كتب مصطفى أمين (أما المعلمون فكانوا قساة القلوب غلاظ الأكباد، يرهقون تلاميذهم ويسومونهم سوء العذاب ولا يعرفون إلى الرحمة سبيلا، وكانت العصا أحب أدوات التأديب إليهم، ومما يؤثر عنهم في ذلك قولهم: "إن الطفل أذنه على ظهره، فهو لا يسمع إلا حين يضرب". وكثيرًا كانوا يلجؤون في اللمم إلى التوبيخ والتأنيب، وفي عظيم الجرم إلى الحبس، فكان من المألوف أن يقضى على المذنب من الطلاب بأن يلازم المعبد لا يغادره ثلاثة أشهر كاملة).[3]

---

[1] – مصطفى أمين: مرجع سابق، ص24.

[2] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص109.

[3] – مصطفى أمين: مرجع سابق، ص26.

– استخدام النشاطات اللاصفية في التعليم: اعتمد المصريون القدامى على الألعاب الشعبية والمشوقات الحسية في تعليم الأعداد وغيرها كما أخبر بذلك مصطفى أمين.

7– الآثار العلمية للتربية والثقافة المصرية القديمة

كانت الآثار العلمية للتربية والثقافة المصرية القديمة كثيرة ومستفيضة، فقد كتب المصريون في الدين والأخلاق وشئون الحياة العملية، وألفوا الكتب المدرسية والأغاني والأناشيد، وقد عثر الباحثون في النواويس على كتب كثيرة في الطب والسحر والزهد، وعلى القصائد والرسائل التي كتبت في أغراض مختلفة، ومن كتبهم الشهيرة التي وصلت إلينا كتاب الأخلاق وكتاب الموتى، أما كتاب الأخلاق فأقدم كتاب في العالم، ألفه (بتاح حوتب) أحد أبناء الملوك في الأسرة الخامسة سنة 3600 ق.م، وكان رجلًا حصيفًا مجربا عاش من العمر مائة وعشر سنين، ولقد رأى أن يخدم أبناء وطنه بما استقاده في حياته الطويلة من التجارب الواسعة، فوضع هذا الكتاب وضمنه جملة صالحة من الحكم والمواعظ والأمثال فاهتدى الناس بهديها وانتفعوا بها أيما انتفاع، أما كتاب الموتى فهو كتابهم المقدس، وفيه صلواتهم وأدعيتهم ومواعظهم وأخبار آلهتهم ومعتقداتهم الدينية وآراؤهم في الحياة والموت، وهو دليل الأرواح عند انتقالها من الدار الفانية إلى الدار الباقية. [1]

وأما الكتابات الأدبية فإن أقدم ما بقي منها هو نصوص الأهرام التي نقشت على جدران أهرامات الأسرتين الخامسة والسادسة، وهي موضوعات دينية ورعة.[2]

[1] – مصطفى أمين: مرجع سابق، ص11

[2] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص107.

وفي آخر هذا الفصل نقول بما قاله الدكتور سعد أحمد مرسي في كتابه تطور الفكر التربوي عن الدور الكبير الذي لعبته التربية الفرعونية في استمرار الحضارة الفرعونية، بقوله وهكذا كانت التربية المصرية حافظة للثقافة وعاملة على استمرار بقائها، وإذا كانت مصر قد حققت تقدما هائلا في ميادين مختلفة، فقد يرجع الفضل في ذلك إلى طبقة مختارة كان لديها من الوقت والتفرغ والبواعث ما أتاح لها فرص التفكير والإنتاج، بل إن التعليم النظامي كان في أيدي هذه الطبقة توجهه الوجهة التي تريدها، وبذلك سيطرت على عقول المصريين أجيالا طويلة، لقد رأى المصريون مجتمعهم على أنه من خلق الآلهة، ومن أجل هذا فهو أحسن المجتمعات، ولم يدر بخلدهم أن يعبثوا بالتغيير في هذا المجتمع وإلاّ غضبت الآلهة، ولذلك فشلت محاولة أخناتون في دعوته للتوحيد، وكان للبشرية أن تنتظر قرونا أخرى ورجالا أخرين لتظهر هذه الفكرة.[1]

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص112.

المحور الرابع

التربية في الحضارات والثقافات الغربية القديمة

اليونانية والرومانية

التربية في الثقافة والحضارة اليونانية القديمة

أولا- خصائص المجتمع اليوناني القديم

1- الأصول العرقية: يطلق لفظ الإغريق (Greeks) على مجموعة القبائل التي هاجرت في الألف الثانية ق. م من أواسط آسيا – الهند واستقروا في بلاد اليونان وما حولها، فالإغريق شعب آري أو هندى – أوربي ولفظ (هيلينية) نسبة إلى (هيلاس) وهى المنطقة التي تفصل بين وسط اليونان وشماله، وهى مركز تجمع الإغريق وفيها جبل (أوليمبيوس)[1]، فهم آريون أو هنديون أو أوربيون، وكانوا أربع قبائل كبرى مختلفة خلقا ولهجة الأيوليون والدوريون في الشمال والأخيون والأيونيين في الجنوب.[2]

2- جغرافيا اليونان: اليونان شبه جزيرة تمتد أصابعها وجزرها في البحر المتوسط بمناخه المعتدل الداعي إلى حرية الحركة، تتشكل من سلسلة جبال تتطلب مشقة وعملا وجهدا جسميا من أجل العيش عليها، وهي كلها عوامل تركت لها أثرا واضحا على محتوى التربية التي كان يتلقاها الفرد اليوناني ويتدرب عليها وعلى الحضارة الإغريقية بصفة عامة، ومن ذلك ما أشار إليه د. أحمد صبحي من أثر البعد الجغرافي في تحديد بعض خصائص الحضارة الإغريقية في النقاط التالية:

أ. إن الزيادة في الكثافة السكانية إلى الحد الذي لم تعد تتحمله الموارد الاقتصادية المحدودة التي توفرها البيئة الطبيعية اليونانية الصعبة دفع بعضهم إلى الهجرة نحو السواحل البعيدة، ومن ثم أقيمت المستعمرات الإغريقية على سواحل آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا.

ب. وعورة الاتصال البري بسبب الطبيعة الجغرافية الصعبة حال دون قيام وحدة قومية أو سلطة مركزية تبسط سلطانها السياسي على جميع المدن في أنحاء بلاد اليونان، فأصبح استقلال كل مدينة وانفرادها بطابع خاص، وهو ما يسمى بنظام البوليس أو دولة المدينة (City State) أهم طابع للحياة الإغريقية بل من أهم مقوماتها.[3]

---

1 – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص 22.

2 – نفس المرجع: ص 22.

3 – نفس المرجع، ص 21.

ج. قيام الحروب واستمرارها بين المدن الإغريقية، فضلا عن الظروف الاقتصادية الصعبة من جهة وعدم قيام سلطة مركزية تفرض الوحدة حتى عصر فيليب المقدوني وابنه الاسكندر من جهة أخرى، وإذا أضيف إليه أن المستعمرات البعيدة كانت أكثر استقراراً وأوسع ثراء، فإنه من الطبيعي نتيجة ذلك كله أن تنشأ الحضارة بين هذه المستعمرات لا في بلاد اليونان الأصلية.

د. لقد تركت هذه الجغرافية أثرا وتأثيرا حتى على الشخصية الإغريقية والحياة النفسية للفرد اليوناني وجعلت الفردية طابعا للرو اليونانية نتيجة التجزؤ أو التفتت الذي فرضته الظروف الجغرافية وصعوبة الاتصال البحري بخلاف ما كان قائماً في حضارات الشرق القديم حيث مكّن اتساع الوديان من قيام سلطة مركزية سياسية ودينية.

هـ .كان من الطبيعي لحضارة ناشئة في بيئة بحرية بأن تصبح التجارة البحرية من أهم مقومات الحياة الإغريقية، وأن يترتب على هذه الحضارة البحرية أعمال قرصنة وحروب ووجود أسرى أصبحوا رقيقاً، ثم جزءا من مكونات الأسرة الإغريقية وأصبح وجودهم من ضروريات حياتها، كما أصبحت بعض الأعمال كالحرف اليدوية مقصورة على الرقيق، الأمر الذي طبع الفكر الإغريقي بطابع احتقار العمل اليدوي والترفع عنه.

و. انعكس هذا العامل الجغرافي على النظام السياسي وحال دون قيام سلطة مركزية موحدة.[1]

أما الدكتور عبد المجيد شيخة فقد كتب عن تأثير هذا الواقع الطبيعي على الشخصية اليونانية بأن الحواجز الطبيعية أعانت على ظهور مجتمعات مستقلة تحميها السلاسل الجبلية من أعدائها وجيرانها، ومن ثم نمت المدن المستقلة وغلبت على السكان رو الاستقلال والسلوك الفردي، ولم يظهر في تاريخهم السياسي وحدة قومية باقية، وكانت ندرة الأرض الزراعية في الداخل واستحالة زيادة رقعة الأرض الصالحة للزراعة من العوامل الدافعة الى اشتغال الاغريق بالصيد والتجارة والقرصنة والغزو، وكان لطبيعة الأرض المتفاوتة وتعوّد الإغريق على التغيرات الموسمية المتطرفة تأثير كبير في اكسابهم القدرة على التكيف داخل نطاق واسع من الأقاليم الجغرافية والمناخية المختلفة، ويسر البحر اتصالهم بالبلاد المجاورة والإفادة من الحضارات والثقافات المتباينة.[2]

1 – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، 1995، ص 22–23.

2 - عبد المجيد عبد الثواب شيخة: مرجع سابق، ص 82.

3- تعدد أنظمة الحكم: فمن الناحية السياسية والتنظيمية اليونان دولة من عدة مدن أطلق على كل واحد منها اسم "مدينة دولة" ولكل منها نظامها وقوانينها وتشريعاتها وأطماعها[1]، وهو التعدد الذي انعكس عليه تعدد الأنظمة التربوية التي كانت موجودة عند الإغريق وذلك بحسب خصائص كل مدينة من المدن المشكلة لها، ونحن نعرف جيدا أن العملية التربية تتأسس على مجموعة أسس تختلف من مجتمع لآخر وأهمها الأسس الاجتماعية والسياسية، فبالنسبة للأسس الاجتماعية، فالتربية فأي مجتمع تستقي أهدافها ومحتوياتها ونظمها وما إلى ذلك من خصائص المجتمع التي توجد فيه، كما أن السياسة والفلسفة التربوية في أي بلد هي انعكاس للسياسة العامة لذلك البلد.

وتمثل اسبرطة وآثينا أهم مدن الإغريق وهما نوعين متمايزين من الثقافة الإغريقية، ما جعلهما في صدام مستمر من أجل إثبات وأحقية كل منهما في السيادة على الجزيرة اليونانية، وباءت كل محاولات التوحد بينهما بالفشل، وذلك بعد حروب امتدت من عام 431 إلى 404 ق.م.

4- تعدد الآلهة: إن بلاد الإغريق كغيرها من البلاد القديمة أو من الثقافات القديمة عرفت عشرات الآلهة للبر والبحر وللحرب والسلم والجمال وغير ذلك، وما يميز عبادة الإغريق عن ما سواهم هو أنهم لم يعبدوا الطبيعة وعناصرها وقواها المختلفة كما فعل غيرهم من الشعوب، وإنما عبدوا القوى المشخصنة للطبيعة والانسان[2]، وتأسس على ضوء هذا النظام الديني الذي كان شائعا عند اليونان ممارسات وطقوس اجتماعية وثقافية كان لها تأثير وانعكاس على الفكر التربوي الإغريقي ونلمس ذلك بوضح في فلسفة أفلاطون التربوية.

5- السفر والترحال المستمر: كان السفر والترحال من السمات البارزة المميزة للحياة الإغريقية القديمة، وهو الواقع الذي ربما فرضته ظروف البيئة الطبيعية كما أشرنا سابقا أو ربما لعوامل أخرى كالشخصية الإغريقية في حد ذاتها أو لعوامل الحروب التي كانت تشوب الجزيرة طول الوقت وأحيانا بغرض التجارة وحتى طلب العلم كما حدث مع معظم الفلاسفة الذين خرجوا في رحلات طويلة من أجل طلب العلم والتوسع في المعرفة في البلاد التي كانت تمثل قبلة العلم كالبلاد المصرية مثلا.

---

[1] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص115.

[2] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص84.

ثانيا– فضل الشرق على الحضارة اليونانية، أو الجذور الشرقية للتفكير الفلسفي اليوناني

إن هذا المطلب أو المبحث من بين أكثر المباحث التي تجادل فيها العلماء بين من يرى أنه لم يكن هنالك دور لحضارات الشرق في بلاد الحضارة اليونانية، وأن الفلسفة اليونانية ظاهرة فريدة أبدعتها العقلية والبيئة اليونانية دون أن يكون لها تأثر بمن سبقها من الحضارات، ومن هؤلاء مثلا يذكر إسماعيل على في كتابه التربية عند اليونان برتراندراسل والمؤرخ منرو وعبد الرحمن بدوي من العرب وغيرهم، ومن يرى أن للحضارات والثقافات الشرقية فضل ودور كبير في ميلاد العقلية اليونانية، وإننا نعتقد أن هذا الطر هو من يتوافق مع تطور الفكر البشري الذي يستند إلى التراكم ولم يثبت أبدا أن هنالك فكرا ولد من العدم أو ظهر نتيجة للصدفة وإنما دائما يقف وينهض على أكتاف السابقين، وفي هذا مثلا كتب إسماعيل علي "إن ما تستحقه الحضارة اليونانية من التقدير والاعجاب أمر لا ينبغي أن يخضع للجدل والمناقشة، فالفلسفة اليونانية بالفعل هي الانجاز الأكبر، وقد ألقت بظلها على الفكر الفلسفي عبر عصور التاريخ المختلفة وآثارها واضحة على الجميع سواء بالموافقة أو المعارضة، وهذا الانجاز الفلسفي اتسم بالإبداع والابتكار والسعة والشمول، والاستناد إلى الأسس العقلية والحجج المنطقية والعمق في التفكير مما يجعل البون بينه وبين أي جهد سابق بوناً شاسعاً ولكننا بدون أن ننكر على الفكر اليوناني أصالته، لابد من أن نعترف بفضل الشرق على الحضارة اليونانية بوجه عام، وخاصة أن اليونان أنفسهم قد اعترفوا بفضل الشرقيين عليهم ليس فقط في العصر السكندري، بل من قبل ذلك منذ هيرودوت الذي قال إن الدين والحضارة قد أتت اليونان من مصر، كذلك حين يذكر أفلاطون مصر فإنه يتحدث حديثا يفيض بالإعجاب والاحترام، وهو يروى في إحدى محاوراته عن صولون، عبارة الكاهن المصري الذي خاطب بها اليونان فقال لهم "أيها الاغريق إنكم أطفال: أطفال إن قورنوا بأمة عريقة في الحضارة كمصر"[1]

ويرجع سعيد إسماعيل علي على أن التأثير كان بسبب الصلات التجارية والاجتماعية بين تلك المناطق المختلفة، ويستأنس في ذلك بقول فيلسوف ألمانيا الأشهر (هيجل) أن الأصول الأولى للحضارة الإغريقية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب، وكان الاغريق يشعرون

[1] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص11.

تجاههم بشيء من الامتنان فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسج واستئناس الخيل، بل إن كثيراً من مدنهم الهامة قد أسسها أجانب[1].

ثالثا- تطور التربية في بلاد الإغريق القديمة

يقسم الباحثون التطور الذي عرفته التربية في بلاد الإغريق القديمة إلى ثلاث مراحل تعكس بالأساس المنحى التطوري الذي عرفته بلاد الإغريق بصفة عامة والعقل العلمي اليوناني بصفة خاصة، وكأن التطور التاريخي للفكر التربوي في العالم اختزل في التجربة اليونانية القديمة، من عملية عفوية تفتقر للتنظير العلمي إلى فلسفات ونظريات تربوية علمية تؤطر الفعل التربوي وتعطي للتربية معنا وهدف واضح ومقصود.

المرحلة الأولى- التربية الهومرية أو تربية ما قبل الفلسفة (ما قبل الحكمة)

العصر الهومري أو عصر الأبطال والبطولة، وهو العصر الذي سبق توحيد الجزر الإغريقية وظهور الدولة المدينة، وذلك قبل القرن العاشر وامتد الى حوالي 776 ق. م.

أولا- خصائص المجتمع الهومري

يصف الباحثون أو يذكرون لمرحلة العصر الهومري مجموعة من الخصائص يمكن أن نذكر بعضا منها حتى تتكش لنا الصورة:

1- مجتمع طبقي على شاكلة جل المجتمعات القديمة مكونا من الطبقة (الارستقراطية) وتشمل ملاك الأراضي، الطبقة المتوسطة وتشمل العمال والصناع، طبقة العبيد، وكانت معاملة السادة للعبيد على جانب من السماحة.

2- مجتمع قائم على الإيمان بتعدد الآلهة وتقديس الأسطورة: حيث كان عندهم البطل الخيالي (أوديسيس) مثالاً للحكمة والبطل (اخيليس) مثالا للشجاعة، (وكان لهم عدد من الآلهة، وقد شبهوها بالآدميين من حيث أنها تحارب وتأكل وتشرب وتقوم بكل أنواع النشاط الآدمي، إلاّ أنها خالدة لا تموت كما يموت الآدميون، وهي إلى جانب ذلك قوية تفوق قوتها قوة البشر، وقد انعكست هذه النظرة على التربية)

[1] - سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص13.

3- تستقي التربية الهومرية ملامحها وأهدافها من الإلياذة والأوديسة للشاعر هوميروس، وقد أشار بعض الباحثين الذين تناولوا هذه التربية بأن الفضائل والمثاليات التي امتدحها في قصائده الأسطورية قد أصبحت اهدافاً للتربية في اليونان حتى أواخر القرنين الخامس والرابع ق.م[1].

ثانيا- أهداف التربية في المجتمع الهومري

كانت التربية اليونانية القديمة في العصر الهومري تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية من وراء النشاط التربوي حتى لا نقول الفعل التربوي:

1- عبادة الآلهة وتقديسها.

2- إعداد رجل الحكمة ورجل العمل أو الشجاعة.

3- التربية الأخلاقية واقترنت القوة والشجاعة عندهم بالحكمة واللباقة وحسن التصرف.

4- التربية العملية التي تقتضيها ظروف بيئتهم وحتى يكونوا رجالاً أقوياء اشداء قادرين على العمل والتبصر والتصرف في الأمور[2].

5- تهدف إلى التربية المتوازنة، جسميا وفنيا وعقليا وخلقيا ونفسيا.

6- الوصول بالإنسان إلى مرحلة الحكم السديد بإخضاع الرغبات والشهوات وكبح جماحها.

ثالثا- الخصائص والملامح العامة للتربية الهومرية

- كانت التربية في المجتمع الهومري تربية تلقائية تعكس واقع الحياة والبيئة اليونانية ما قبل عصر الحكماء أو الفلاسفة، فهي تربية مورست بالطبيعة وفي الطبيعة ومن الطبيعة، وكانت هذه التربية تحصل بالتقليد والمحاكاة والممارسة وتبادل وتماثل الأدوار الاجتماعية والكل من أجل الكل في المجتمع.

حيث كان الاطفال الصغار يتعلمون الرقص ولعب الكرة وغير ذلك من الألعاب التي تناسبهم، أما الشباب فكانوا يتعلمون ويتدربون على التمرينات الرياضية كالجري والقفز وركوب الخيل والصيد ورمي الحربة والقرص والسباحة وسباق المركبات وغيرها وذلك من أجل بناء أجسام قوية وخلق جيل شجاع.

- تأثرت التربية الهومرية بالنظام الطبقي الذي ساد المجتمع، حيث توقفت تربية الأفراد على الطبقة التي ينتمون اليها، فأبناء الطبقة العليا (ارستقراطية) كانوا يعدون ويتدربون ليكونوا

[1] - محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص51.

[2] - نفس المرجع، ص 52.

حكماء أو لينخرطوا في سلك المقاتلين أو لتسلم المناصب والمهام الكبرى، وكانوا يتعلمون فنون الحرب والموسيقى ويتم تدريبهم من خلال مجالسهم النيابية وحروبهم وحملاتهم العسكرية أو بحضور مجالس الحكماء، أما أبناء الطبقات الفقيرة فكانوا يعدون لمهام الحياة الوضيعة كإعداد الطعام والملبس والمشرب والمسكن وغيرها من الأعمال التي كان الأفراد يتعلمونها في المنزل أو عن طريق التقليد.

– كانت التربية العملية من وسائل التربية عند الهومريين، حيث كان إعداد الأبطال يتم عن طريق الممارسة والمشاركة في أنواع النشاط المختلفة

– مثّلت أشعار هوميروس مرتكزا أساسيا للتربية العقلية والدينية، وإلى ذلك مثلا أشار أحدهم (بأن الكهنة كانوا يستخدمونها في التقرب للآلهة، ورجال الأخلاق كانوا يتخذون منها الأمثال، وكان رجال السياسة يستعينون بها في مناقشاتهم)[1]

رابعا– مؤسسات التربية الهومرية القديمة

مورست التربية الهومرية القديمة في مؤسسات مختلفة أتاحتها البيئة الطبيعية والاجتماعية للمجتمع اليوناني القديم:

1– الأسرة: وشكّلت محور وعصب التربية الهومرية القديمة ومرتكزها الأساسي خاصة وأن التربية الهومرية كما أشرنا سابقا تربية تلقائية قائمة على التقليد والمحاكاة الذي يتعلم من خلاله الصغار على باقي أفراد الأسرة البالغين.

2– القبيلة: وهي المؤسسة الثانية من حيث الأهمية يلجأ إليها الفرد بعد اكتمال نموه الجسمي واكتساب سمات المجتمعي الهومري داخل الأسرة، فيندمج داخل هذه المؤسسة الأكبر ليتعلم من شيوخها وكبارها ومجالسها ما يتطلبه منه المجتمع.

3– المعاهد الدينية: لقد سبق وأن بينا أن المجتمعي الهومري مجتمع قائم على تقديس الآلهة، ولذلك كان لزاما تنشئته التنشئة الدينية المناسبة التي تتيح له اكتساب التعاليم والممارسات الدينية، وكان يقوم على هذه المؤسسات بالأساس رجال الدين الهومريين.

[1]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 52–53..

4- ساحات الحرب: هي الأخرى كانت من بين مؤسسات التربية في المجتمع الهومري الذي كان يتميز بكونه مجتمعا عسكريا، وفي حروب مستمرة مع بقية البلدان مما جعله في حاجة دائما للمحاربين والمقاتلين الذين من شانهم الذود على حدوده.

5- ساحات وأماكن اللعب: وهي من أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمعات القديمة خاصة تلك التي لم تعرف بعد التربية المقصودة، أين كان اللعب يمثل المدرسة الأساسية والأكثر تأثيرا في نقل واكتساب القيم الاجتماعية التي يتمثّلها الصغار من خلال تمثل أدوار الكبار والتي هي أدوراهم التي سيشغلونها فيما بعد.

6- المجالس النيابية: وهي من وسائل التربية عند الهومريون، حيث ظهر فيها التدريب الفعلي على الحكم العملي الصحيح، ذلك أنه عن طريق المناقشات كان الحكم السديد يتكون، وكان العمل يحبذ ويصمم على تنفيذه، وبذلك أصبح المجلس النيابي وسيلة من وسائل التوجيه الاجتماعي والسياسي والحربي، كما أصبح في الوقت نفسه أهم معهد لتحقيق الأغراض التربوية.

خامسا- أساليب التربية الهومرية القديمة

لإن مورست التربية الهومرية في كل الأماكن التي أتاحتها البيئة الهومرية القديمة، فإن أساليب التربية فرضتها هذه الوسائل على المربين أو القائمين بالعمل التربوي أو التنشئة الاجتماعية بتعبير أدق، ووجدنا أن كل وسيلة هي التي تحدد الأسلوب التربوي المناسب لها، وأهم هذه الأساليب التي تماشت مع خصائص وأهداف التربية الهومرية ووسائلها نجد أسلوب التقليد والمحاكاة في تبليغ مضامين التربية، وأسلوب اللعب لتمثل الأدوار الاجتماعية، وأسلوب التربية بالمشاركة وذلك في الحروب والنشاطات اليومية لمجتمع القبيلة الهومري، وأسلوب الوعظ الديني الذي كان إما بهدف التربية الدينية لأفراد المجتمع أو لشحذ عزائم المحاربين، وأسلوب المناقشة أو النقاشات وهذا الأسلوب كان للفئة المتقدمة في العلم ويهدف إلى التربية العقلية التي كانت محصورة بين فئة قليلة فقط، وعن طريق هذه المناقشات كان الأفراد يتعلمون ضروب المهارات المختلفة ويمتثلون إلى قوة القانون.

سادسا– محتوى التربية الهومرية القديمة

– التربية الهومرية تربية تلقائية بالأساس في شكلها فكان إذا كل ما في الطبيعة وما يتطلبه التكيف والتعامل مع الطبيعة بأوسع معانيها محتوى للتربية الهومرية.

– التربية البدنية من تمرينات رياضية وبدنية.

– أشعار هوميروس: لقد كانت أشعار هوميروس أهم محتوى تعليمي في التربية الهومرية.

– الموسيقى والفن والأوزان.

– الأخلاق والتعاليم والأساطير والشعائر الدينية.

– القانون الاجتماعي.

– تكتيكات الحروب.

المرحلة الثانية– التربية اليونانية القديمة (التربية في الدول المدينة)

عرفت الجزيرة اليونانية خلال هذه المرحلة ظهور وتشكل المدن اليونانية خاصة أثينا واسبرطة، وانتقال المجتمع اليوناني إلى المرحلة المدنية والعقلية على المستويين السياسي والثقافي.

أولا– التربية في مدينة اسبرطة

1– خصائص المجتمع الإسبرطي

كانت اسبرطة في بداية أمرها قبيلة دورية نزحت من الشمال واستقرت في وادي "إيوروتاس" وألفت عددا من المجتمعات القروية، وبمرور الوقت استطاعت إحدى هذه القرى أن تنمو وتسيطر على باقي القرى مؤلفة مدينة دولة، وسميت هذه المدينة بإسبرطة وأصبح لها السيادة في لاكونيا.[1]

– الطبيعة الجغرافية الوعرة: كان لموقع اسبرطة في منطقة جبلية أثر واضح على توجه الإسبرطيين إلى الاهتمام بإعداد الأفراد القادرين على تحمل المشاق والتقشف والصلابة، والتكيف مع مواصفات البيئة الجبلية.

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص88.

– النظام الطبقي: تألف المجتمع الاسبرطي من عدة طبقات هي طبقة السادة الذين كانوا يشكلون الطبقة الارستقراطية في المجتمع، والطبقة الوسطى وتشمل الملاك والتجار والصناع وطبقة العبيد وكانت مهمتهم خدمة السادة، وقد نتج عن هذا النظام الطبقي حقد الطبقة الوسطى والعبيد على طبقة السادة المستغلين، وكان ذلك يتطلب من الدولة أخذ الحيطة والحذر للقضاء على ثورات العبيد المتكررة في الداخل وكان ذلك حافزاً على إعداد جيش قوي محارب يطيع الأوامر.

– الأخطار الخارجية: وهي الأخطار الذي نتجت كانعكاس لسياسة إسبرطة في التوسع وبسط النفوذ على الشعوب والعشائر المجاورة لها وفرض الضرائب عليها مما أثار هذه الشعوب والقبائل ضد اسبرطه، وأدى ذلك الى انشغال اسبرطة بحروب خارجية وثورات داخلية، وتطلب منها أن يكون لها جيشا قوياً مستعداً للحرب في كل الأوقات.[1]

– الطابع العسكري للحياة الاجتماعية في المدينة أو الكل من أجل الدولة: ولذلك وجدنا أن الحياة الاجتماعية داخل إسبرطة كلها مسخرة لخدمة نظام المدينة العسكرية، فتنظيم الأسرة والحياة العامة والخاصة للأفراد وغيرها هدفها الإعداد الحربي، ومن ذلك فرض القانون الاسبارطي الزّواج على كل شاب من أجل زيادة عدد المواطنين الصالحين للدفاع عن الدولة، ويقول المؤرخون إن التقاليد في اسبرطة كانت تقضي بعدم السما لأى أعزب فوق الثلاثين أن يحضر الحفلات العامة للفتيات والفتيان، وكان لا يسمح له إلا بلبس الثياب البالية الرثة والتجول في السوق بعيداً عن المجتمعات العامة، وعلى وجه العموم فإن الأعزب لم تكن له المكانة ولا الاحترام اللذان كان يتمتع بهما المتزوج.

ومن أجل ضمان المحاربين الأشداء ذوي الصفات الجسمية الصحية والسليمة كان الإسبرطيون يتخيرون لنطفهم في تكوين الأسر وانجاب الأطفال، بل إنهم عمدوا إلى سن مجموعة قوانين تخص معاملة المواليد الجدد من أجل هذا الهدف، ومن أهمها أنه أمر بأن يوقع المسئولون في الدولة الكشف على جميع المواليد الاسبارطيين بمجرد ولادتهم لاختبار قواهم وبنيتهم لاختبار صلاحيتهم للحياة أو عدمها، فمن كان مشوها أو ضعيفاً، فإنه يؤد حتى لا ينشأ بينهم ضعيف أو ذو عاهة فلا يفيد الدولة بشيء، عملا بنصيحة أحد فلاسفتهم "ليكورغ"

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 55.

الذي كان يقول بأن لا تبنى الجدران حول أسبرطة لحمايتها قائلاً: أن خير الجدران للحماية الدولة إنما هي التي تبنى من الرجال بدلاً من الحجارة.

بل إنه لم يترك للأفراد حتّى الحرية في التنقل والسفر وتم تقييد حركة السفر والتنقل من وإلى مدينة اسبرطة بقوانين صارمة هدفها كلها حماية الطابع العام العسكري للمدينة وللشخصية الاسبرطية، والتي قد تتغير أو يصيبها الانحراف جرّاء التأثر بالعادات والأفكار والنظم الاجتماعية الشائعة في البلاد الأخرى، ولم يكن يسمح للغرباء عن اسبرطة بدخولها إلاّ لأسباب قوية وبإذن من الدولة لنفس السبب.[1]

– الجيش هو العمود الفقري لمدينة اسبرطة: مثّلت المؤسسة العسكرية أي طبقة الجيش عماد السلطة في اسبرطة وذلك راجع للأهمية والدور الكبير الذي كان يقوم به في ضمان الحفاظ على أمن المدينة، فقوة الجيش من قوة المدينة وضمان استقراره وتطوره هو لصالح المدينة، وكان هذا الجيش هو المحور الذي صاغت اسبرطة حوله قانونها الأخلاقي.

2- خصائص التربية في مدينة اسبرطة

– الطفل هو ملك للدولة هذا أحسن أو أبلغ تعبير عن حالة الطفل الإسبرطي الذي كان مند أن يولد وهو فقط في خدمة الدولة ونظامها العسكري، نعم لقد كانت الدولة تمتلك الطفل مند لحظة مولده، وهي من تحدد له إن كان يستحق الحياة أم لا، من خلال مجلس المسنين الذي يقرر ذلك، وأي علامة أو دليل على ضعف الصغير أو مرضه أو اعتلاله يجعلهم يختارون له الموت على أن ينشأ مواطنا ضعيفا غير قادر على نفع الدولة ومشكلا عبئا لها، ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم في البيت لمدة سبع سنوات، ليرسل بعدها إلى مؤسسات تديرها الدولة ليتولى أمر الأطفال مدرب يعاونه بعض المساعدين، لينتقل الطفل من عضو في الأسرة إلى عضو في أسرة أكبر هي الدولة، مع نظام قاس لتدريبهم على الحرب.

– التربية الإسبرطية شأن خالص من شؤون الدولة وهذا التقليد الشمولي للدولة ذات الطابع العسكري ما زال سائدا إلى الزمن الحاضر، فكل شيء من الدولة وإليها.

[1] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص74.

– المبدأ الأساسي في التربية الإسبرطية هو البقاء للأصلح، فلا وجود للضعيف والمريض والمعتل.

– كان العقاب مسموحا ومعترفا به في التربية الإسبرطية، بل إن القسوة والعنف كان شعار التربية الإسبرطية

– خلت التربية الإسبرطية في الغالب من التربية العقلية: لم تسنح للطفل الإسبرطي فرص لتدريب العقل، فقد غطت التربية العسكرية على الجوانب الأدبية في مناهج التعليم.[1]

– التربية الإسبرطية تربية عسكرية بالأساس، أو هي تدريب مستمر للحرب، وذلك لأن سياسة إسبرطة تقوم على التفوق العسكري بنقل السيادة على بقية الشعوب، ويرجع نظام التربية الإسبرطية إلى المشرع « ليكرجرس» (في حوالي منتصف القرن التاسع ق. م) والنظام في مجمله « يهدف الى حفظ كيان الدولة وذلك بإخماد ثورات العبيد وصد العدوان الخارجي، وإعداد الفرد لمكانه في الدولة[2].

– تربية قائمة على الخشونة: لا يسمح للمواطن إلا بارتداء ثوب واحد في الصيف أو في الشتاء، والمعروف أن الاسبارطيين اعتادوا الحفاء، وعدم استعمال أغطية للرأس، تمادياً منهم في الخشونة والتقشف، وانتقل ذلك إلى معسكرات تدريب الشبان أين كان يتم تدريبهم تدريباً على تحمل المصاعب والآلام وتقوية أجسامهم وتعودهم على الشجاعة والصبر، فكانت تحلق شعورهم ويتركون حفاة عراة تقريباً وبعد سن الثانية عشرة كان لا يسمح لهم بالاستحمام، ولا بالنوم، ولم تستثنى البنت من هذا الطابع العسكري الخشن والقاسي في التربية بالرغم من السما لها البقاء في المنزل، فكان يطلب إليها أن تقوم ببعض الألعاب العنيفة، كالجري والمصارعة ورمى القرص، واطلاق السهام من القوس لكي تصبح قوية البنية صحيحة الجسم، صالحة في يسر للأمومة الكاملة.[3]

3- أهداف التربية في مدينة اسبرطة

[1]– سعد مرسي: مرجع سابق، ص121.

[2]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 54.

[3]– سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص79.

– تهدف التربية الإسبرطية إلى اعداد المواطن ليكون جندياً شجاعاً منضبطاً ومحترفاً لأعمال الحرب ومطيعاً للقانون والحكومة، ولقد كان هذا الهدف هدفا لجميع القوانين والتنظيمات الاجتماعية في اسبرطة، ومن ذلك مثلا أنه بالرغم مما أثر عن النساء الاسبرطيات من عفة واحترام فلم يتحرجن من الاتصال الجنسي بالرجال الأقوياء خارج نطاق العلاقة الزوجية وبخاصة إذا احتاجت الدولة إلى أطفال أقوياء لتدريبهم على أعمال القتال.[1]

– تربية الجنود الاقوياء الأصحاء، وتربية البنات بحيث يصبحن أمهات لجنود ابطال، ولذلك فقد اهتمت الدولة باختيار الزوجات للأزواج حرصاً على سلامة الطفل وقوته الجسدية.[2]

– تربية الأفراد على حياة التقشف التي يتطلبها النظام العسكري.

– كانت التربية تهدف إلى تمرين الأطفال على الطاعة.

4– مرحل التربية الإسبرطية

– المرحلة الأولى: مرحلة التربية الأسرية (1–7 سنة): ولقد أوكل للأسرة في هذه المرحلة القيام على تربية أبنائها الذين كشف الفحص الذي يقيمه شيوخ القبيلة للصغار صلاحيتهم للحياة، وكان النظام الاسبرطي يطالب الأم أن تربي طفلها بالقسوة وإبعاده عن حياة الترف والراحة حتى يشب قوياً صالحاً يتحمل مشاق الحياة التي سيهيأ لها في المستقبل وأن يكون قادراً على حماية البلاد من الثورات الداخلية والاعتداءات الخارجية. [3]

– المرحلة الثانية (7–18): وهي المرحلة التي تنتقل فيها تربية الأطفال من الأسرة لتكون على عاتق الدولة، أين يتم توجيه الأطفال إلى المعسكر العام للتدرب والتمرن على الألعاب الرياضية، وذلك في ظل نظام تأديبي صارم، ويدربون أيضا على تحمل المشاق والصبر وتجاهل الذات وطاعة الأوامر طاعة مطلقة عمياء، مع تقشف في الطعام واللباس وتقاسم كل الأعباء داخل المعسكر.

وفي ظل هذا النظام كان الأطفال يقسمون إلى مجموعات كل مجموعة تتكون من أربعة وستين طفلا، وكانت كل مجموعة تقسم إلى مجموعات صغيرة تتألف كل واحدة من اثنى عشر طفلا، وكانت كل مجموعة تضم الأطفال متقاربي السن، وكان على رأس كل مجموعة أحد

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص89.

[2]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 54.

[3]– سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص72.

افرادها ممن امتازوا بالشجاعة وأكثرهم قدرة على تحمل المشاق وكان يطلق على رئيس كل مجموعة اسم «الفتى الرئيس» وكان على الجماعة طاعته طاعة عمياء، وتحمل أي عقاب ينزله بهم ويتولى الإشراف على الأطفال وعلى المعسكر العام مدرس يسمى (بادونوموس)، يعاونه بعض المساعدين، ولم يكن يعفى من هذا النظام – الخدمة في المعسكرات العامة – إلا أبناء الملوك)

أما تربية الأطفال بعد الثانية عشرة من العمر فقد كانت تتم تحت سلطة المسنون والشيوخ الذين يتعهدون على الدوام ميادين تدريبهم ويراقبون باستمرار تطور شجاعتهم وعقليتهم «وكان هؤلاء الأطفال يقضون أوقاتهم في الصيد والقنص تحت قيادة الشبان المبرزين الذين يرأسون الفرق»[1]

وفي سن السادسة عشرة كان على الفتى أن يقتل واحداً من العبيد على الأقل حتى يثبت أنه انتقل إلى مرحلة الرجولة «وكان ذلك يتم بإرسال الفتيان في مهمات لتدريبهم على حرب العصابات، وكانوا ينسابون ليلا في الطريق يفتكون بكل عبد يقابلونه أو يشنون هجومهم على المزارع ويقتلون كل من قابلهم من الزراع»

أما البنات فكان يجري عليهن من التدريبات الشاقة ما يجري على الفتيان وذلك تحت إشراف أمهاتهن في الساحات العامة دون الإقامة في معسكرات عامة، وذلك لتقوية أجسامهن من أجل إنجاب أطفال أقوياء».

– المرحلة الثالثة (18–20 سنة): كان معظم الفتيان يدربون في هذه المرحلة على الأعمال الحربية وفنون الحرب واستعمال الأسلحة بصورة منتظمة وكانت تختبر قوة احتمال الشبان كل أسبوعين تقريباً، وبعد إتمام هذه التمرينات يصبح الفتى معلماً كاملاً ويلقى على عاتقه مهمة تعليم الصفار وتدريبهم على الأعمال الجمنازية إلى أن يبلغ سن الثلاثين.

وكان الفتى في سن الثامنة عشرة يلتحق بفرقة «الافيبي hbi» أو «الطالب الحربي cadet»، وكان يعقد لهم امتحان عسير لا يخلو من القساوة، وكانت هذه الاختبارات تختبر الفتيان في الدراسات العسكرية والعمليات العسكرية والأسلحة الحربية واستعمالها[2]

[1] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، 77.

[2] – نفس المرجع، ص78.

-المرحلة الرابعة (20-30 سنة): يلتحق الشباب في هذه المرحلة بصفوف الجيش بعد اجتياز امتحانات عسيرة وشاقة، وكان الشبان يرسلون إلى وحدات الجيش وفي الحصون على حدود إسبرطة حيث يقضون عشر سنوات جنوداً نظاميين يمارسون الحرب وقت نشوبها وفي هذه المرحلة كان يسمح للاسبرطي بالزواج وكان ذلك يتم باختبار واحدة من رفيقاته في ساحة الألعاب الرياضية وبعد اختيار الزوجة تحجب عن خطيبها حتى يبلغ سن الثلاثين، وهو من الرجولة الكاملة، وعندها يسمح له بالزواج وفي سن الثلاثين « كان الشاب يأخذ مكانه في مجلس أو ما شابهه من الهيئات التي تشرف على تسيير الأمور في الدولة» ويصبح مواطناً له كامل الحقوق إلاّ أنه على الرغم من ذلك، فانه يظل خاضعاً للنظام ومطلوبة للخدمة العسكرية حتى سن الستين.[1]

5- المحتوى التعليمي في التربية الإسبرطية

التربية الإسبرطية تربية عسكرية بالأساس ولذلك كان من الطبيعي أن يغلب على محتوى هذه التربية التركيز على المحتوى الذي من شأنه أن يخدم هذا النوع من التربية، ولذلك وجدنا أنّ أغلب محتواها يدور حول الإعداد البدني والجسمي للشباب والتدريب على فنون القتال وتكتيكات الحروب والمغازي، مثل الجري والقفز العالي ورمي القرص والملاكمة والتمرين العسكري والمصارعة، وحتى الأشعار والأغاني والأهازيج التي كان يتعلمها الأطفال والشباب الإسبرطي كانت بهدف شحذ الهمم ونشر الحماسة وإيقاظ الهمم أكثر من كونها موادا للتقدير الأدبي والفني، كما احتوى المنهاج التربوي أيضا على مختلف الأنشطة التي تعين على تعلم الصبر وضبط النفس وسرعة الادراك.

6- طرق وأساليب التربية الإسبرطية

لقد اعتمد الاسبرطيون على غير طريقة في تعليم أبنائهم مثل ممارسة النشاط تحت إشراف ممثلي الدولة وكبار الأطفال، وطريقة القدوة التي يقدم فيها المواطنون الموصوفون بالكمال إلى الأطفال باعتبارهم نماذج تحتذى وطريقة التقليد وطريقة الملاحظة كما استخدموا طريقة التلقين في تعليم الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية والخلقية.[2]

---

[1]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 55-57.

[2]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص98.

7- تقييم للتربية الاسبرطية

إن النظام التربوي الإسبرطي هو انعكاس لخصائص المجتمع الإسبرطي وهو وليد الحاجة التي كان يفرضها النظام العسكري الإسبرطي بالأساس، وككل التجارب الإنسانية استطاع هذا النظام أن يحقق له بعضا من النتائج الإيجابية التي احتاجها واقع الحياة الاسبرطية كما كان له كذلك انعكاسات سلبية على هذه الحياة:

ومن النتائج الإيجابية أن التربية الإسبارطية نجحت في تكوين أفراد امتازوا بالطاعة والتمسك بالتقاليد وحفظ الأوضاع على حالتها.

أما الأثار والنتائج السلبية فمنها أن الدولة في اسبرطة ضحت بالفرد وفكرت الدولة للفرد وعندما حلت الساعة تحتم فيها الفرد أن يفكّر لنفسه فوجد نفسه عاجزا، وهو الأمر الذي ينبغي أن يعيه المعاصرون ونحن لا ندرس تاريخ التربية إلاّ للعبرة من آثار السابقين لا للترف العلمي.

- نجد أن الخضوع للقوانين خضوعا أعمى دمغ حياة المجتمع الإسبرطي بجمود شديد

- كما أن التربية العسكرية التسلطية طبعت الأفراد بخصال كانت سببا في فشلهم وأفقدهم القدرة على التفكير أو التخيل الذي كان عندهم محدودا جدا لأنهم لم يتعودوا عليه عند مواجهة المشكلات ومحاولة حلها فالدولة لم تعطي للفرد فرصة لتحمل المسؤولية وكانت هي أي الدولة التي توجهه في كل شيء وترسم له الطريق وهو لم يكن عليه إلا الانقياد والانصياع للأوامر، بالمختصر جعلهم هذا النوع من التربية غير قادرين على التكيف مع تغير الظروف.[1]

- وقد ظهر أيضاً فشل النظام التربوي الاسبارطي في الانحلال الخلقي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الإسبارطي بعد الهزيمة في الحروب، فبعد أن ضعف مركز الحكومة وزالت الأحكام والروادع المفروضة، بدأ الاسبارطيون يظهرون معدنهم الحقيقي فأظهروا النهم والجشع، وتسابقوا إلى جمع المال واكتنازه، واستبد قويهم بضعفيهم.[2]

ثانيا- التربية في مدينة أثينا

[1] - سعد مرسي: مرجع سابق، ص123.

[2] - سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص83.

كانت أثينا المدينة الكبرى في أتيكا مثلما كانت اسبرطة المدينة الكبرى في لاكونيا، ويشبه تاريخ أثينا تاريخ معظم المدن الإغريقية من حيث خضوعها للملكية والأرستقراطية ولكن اشتغال أثينا بالتجارة قوّض الأسس التقليدية للأرستقراطية من خلال تقديم معيار جيد للتمييز الاجتماعي هو الثروة، فلقد أدى الاشتغال بالصناعة والتجارة إلى زيادة أهمية الثروة فأصبحت مساوية للأسس الأخرى للامتياز كنبالة المولد يقول بوري Bury: " في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد اعتمدت الحقوق السياسية في أثينا كلية على الثروة" وبالتالي أجبرت أرستقراطية المولد إلى إفسا الطريق لأرستقراطية الثروة وكان لتشريعات (صولون) وإصلاحاته السياسية والاجتماعية أثر كبير في تحول أثينا إلى الديمقراطية، فلقد ألغى منه استعباد أو استرقاق الفلاحين بسبب ديونهم، وحدد الملكية الخاصة ومنع تصدير الحاصلات الزراعية التي احتاجها الأهالي، وأجاز تعيين المزارع في بعض الوظائف، أما الإصلا العظيم الذي قدمه فيتمثل في فتح باب الجمعية الشعبية لجميع أفراد الشعب وجعل للشعب حق انتخاب الحكام والإشراف على سلوكهم، وفي النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت الوظائف الحكومية والسياسية عملاً يؤجر صاحبه مما شجع الفقراء والعاطلين على الانضمام للجمعية الشعبية، وفي الحروب الأثينية الفارسية غزت الامبراطورية الفارسية بلاد اليونان وعسكر جنودها قريباً من ميناء أثينا، واقتضى انقاذ أثينا تجهيز أسطول حربي لفك الحصار الفارسي ومن ثم اقنعت أثينا التجار بتحويل مراكبهم التجارية إلى مراكب حربية واستطاع هؤلاء التجار –غير المواطنين– إنقاذ أثينا من الحصار الفارسي وبعد الحرب منحت أثينا هؤلاء التجار الأجانب حقوق المواطنة مكافأة لهم على بلائهم في الحروب وهكذا كانت أثينا ديمقراطية في الوقت الذي كانت فيه اسبرطة رجعية محافظة.[1]

1- خصائص المجتمع الأثيني

– من أكثر خصائص المجتمع الأثيني التي انعكست بشكل صريح على التربية هو درجة الاعتزاز الكبير بالنفس التي كان يعطيها الأثينيون لأنفسهم وحضارتهم على أنهم أرقى سكان الجزيرة اليونانية وأعلى شعوبها حكمة وثقافة.

– المجتمع في مدينة أثينا مجتمع طبقي

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص90.

– المجتمع الأثيني مجتمع ديمقراطي: وقد تشكلت هذه الشخصية لديهم نتيجة لعدة عوامل أبرزها اختلاطهم بالغرباء، وهو الأمر الذي أدّى إلى اكتسابهم العديد من الخبرات وإلى جعلهم أكثر تسامحا في قبول الغرباء وآرائهم، كما أدى هذا الاختلاط أيضا إلى زيادة تجارتهم واتساعهم عن طريق البحر وهكذا اتجهوا أكثر فأكثر إلى النظام الديمقراطي، كذلك شكّل عدم اعتماد شبه الجزيرة على مورد واحد للإنتاج سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة عاملا للعدالة بين الطبقات، الأمر الذي مكّن لقيام الديمقراطية[1].

2- خصائص التربية الأثينية

ارتكزت التربية في أثينا عكس ما كان عليه الحال في اسبارطا على النهج الديمقراطي في التربية من خلال اشراك الأسرة في التربية، فقد قدمت أثينا الأسرة على أنها ركيزة في نمو شخصية الطفل وطلبت من الأسرة العناية بالطفل.

– كانت التعليم في مدينة أثينا تحت إشراف الحكومة وذلك مند تشريعات سولون عام 594 ق.م، أين تم التأكيد على ضرورة تعليم الأطفال وتحديد ساعات التعلم والشروط الواجب توفرها فيمن يقومون بمهن التربية وسن التمدرس وعدد التلاميذ لدى كل معلم، وذلك بعدما كان قبل القرن الخامس تقوم عليه مدارس خاصة، ولم تشرف الدولة إلاّ على تربية الأطفال بين السادسة عشرة والعشرين.

– يستمر دوام التعليم المدرسي في مدارس أثينا من طلوع الشمس إلى غروبها. [2]

– منحت التربية في أثينا التربية الأسرية أو الأسرة مساحة كبيرة في مشروعها التربوي.

– من أهم خصائص التربية الأثينية هو البيداجوج والذي ما زال تأثيره موجودا إلى عصورنا هذه، بل أصبح كل عمل تربوي من هذا القبيل يدعى بالبيداغوجي، وهو لقب أطلقه اليونان الأثينيون على ذلك العبد الذي عهدوا إليه بمرافقة التلميذ أثناء ذهابه إلى المدرسة والعمل على تقويم أخلاقه ومراقبة سلوكه وعاداته في الحديث والمشي والمجلس والمأكل ومعاملة الناس.

– كانت معاشات أو مرتبات المعلمون والمربون على عاتق التلاميذ وأسرهم.

---

[1] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص84.

[2] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص 126..

– كان التعليم وتربية الصغار يعقد في أثينا في كل مكان يتيح فرص التعليم ولو في الهواء الطلق البعيد عن الضوضاء، فالمهم عندهم هو وجود المربي والمتربي والمادة التعليمية. [1]

– تستمر تربية الطفل أو الفرد في أثينا من سنون حياته الأولى وتستمر طيلة حياته.

– عدم إلزامية التعليم: لم يكن التعليم في مدينة أثينا إجباريا ولم تتدخل الدولة في الانفاق على التعليم إلاّ في حدود طفيفة واقتصر تدخلها من حيث الانفاق على أبناء الشهداء فقط وبشكل خاص في المرحلة الأولى من الدراسة[2]

3- أهداف التربية في مدينة أثينا

– هدفت التربية الأثينية إلى تكوين تناسق بين رو مرهفة تحس بالجمال وتقدر الأدب وجسم رشيق قوي، أي تكوين رجل متكامل جسما وعقلا وخلقا

– هدفت إلى استخدام وقت الفراغ في نمو متزن للفرد ومثمر لإمكاناته الجسمية والعقلية والروحية. [3]

–بناء مجتمع المواطنة من خلال تزويد الشباب بأسس عقلية وجمالية وبدنية وعسكرية للمواطنة، وقد وجدت هذه الأسس الأربعة تعبيراً واضحاً لها في أنواع المدارس والمعلمين الذين ظهروا في أثينا، ولم يكن هنالك تغليب لأحدها على الآخر.[4]

4- طرق ووسائل التعليم في مدينة أثينا

– اتبع الإغريق في أثينا لتدريس القراءة الطريقة التركيبية، فيتعلم التلاميذ حروف الهجاء أولا ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات ثم يبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل، ثم على الشمع ثم على جلد رقيق مستخدمين قلماً من الغاب وخيراً مصنوعاً من الصمغ والصناج، كما كان يفعل قدماء المصريين، ولكن هؤلاء استخدموا ورق البردي، كما استخدموا لوحة العدد في تعلمهم مبادئ الحساب، وكانت الحروف هي المستخدمة بدلا من الأعداد، كما استخدمت الأصابع

[1] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص128..

[2] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 60.

[3] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص127

[4] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص92.

في عمليات العد داخل المدرسة وخارجها حيث يوضع أصبعان متجاوران للدلالة على رقم معين.[1]

– الجدال والمناقشة: وهي من أهم الأساليب التي ابتدعها اليونانيون وأثّروا من خلالها في الفكر البشري، ولقد جلس الآثينيون في ظلال الأشجار يتجادلون ويتناقشون في كل ما يهم دولتهم وطرقوا أبواب الأدب والفن والحكومة والسياسة والفلسفة، وكانت هذه الجلسات والمناقشات الممتعة فاتحة التفكير الذي نما وتطور وأثّر في الفكر العلمي.[2]

– نظام التلمذة(Apprenticeship) ، وفى هذا المجال سار الأثينيون على ما سارت عليه المجتمعات البدائية القبلية، فتركوا للآباء فرصة تدريب أبنائهم في حرفهم وصناعاتهم، وقد اتخذت التلمذة شكلاً منظماً وتخصصياً حينما انتقل الأطفال إلى تعلم مبادئ الحرف المختلفة في دكاكين أو ورش صغيرة، ومن المهارات التي كان التلميذ يحصل عليها عن طريق التلمذة، النحت والبناء والتجارة وعمل الأحذية والطب والقانون والفنون المنزلية والطهي، وبهذه الوسيلة كانت الفنون والحرف الضرورية لتوفير ما يحتاجه الشعب من أدوات ومواد تنتقل من جيل إلى جيل خارج المدرسة.[3]

5- محتوى التعليم في مدينة أثينا

لقد كانت مناهج الدراسة في مدارس أثينا تشمل الأخلاق والقراءة والكتابة والأدب والموسيقى ومبادئ الحساب البسيط وحساب الموازيين والمكاييل وحساب التقويم.[4]

كما درس التلاميذ بعض المعلومات الجغرافية من دراستهم لإلياذة هومر، أما الشعر فكان يستظهر ويسمع بمصاحبة الموسيقى.

كذلك تضمنت التربية الإثينية التمرينات الرياضية كرمي القرص والرمح والمصارعة والجري والرقص والسباحة وتدليك الجسم إلى جانب الأغاني الوطنية والشعر.[5]

6- مراحل التربية الأثينية

---

[1]– سعد مرسي: مرجع سابق، ص 128.

[2]– نفس المرجع، ص 130.

[3]– سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص99.

[4]– سعد مرسي: مرجع سابق، ص 97.

[5]– نفس المرجع، ص 127

1- مرحلة الأسرة: وهي المرحلة التي تتولى فيها الأسرة كما أشرنا سابقا تنشئة طفلها على المعايير الأخلاقية الأساسية للمجتمع الأثيني وتتعهده بكل عطف وحنان أثناء توليها هذه التربية.

2- مرحلة بناء الرو والعقل: بعد أن يتم الطفل اكتساب جميع المعايير الأخلاقية داخل مؤسسة الأسرة يرسل إلى المدرسين الذين يطلب منهم الإشراف على سلوكه قبل أن يشرفوا على تعليمه القراءة والموسيقى، وإذا ما تمكّن الطفل من معرفة الحروف الأبجدية وتمكّن من الفهم والكتابة، درج إلى تعلم الشعر ومفاخر قومه حفظا ودراسة، فإذا انتهى من تعلم الشعر انتقل إلى تعلم الموسيقى وطرق استخدام الآلات الموسيقية، والهدف كما هو واضح من هذه المرحلة هو بناء الرو المرهفة والذوّاقة.

3- مرحلة بناء الجسم: فإذا ما أتم الطفل بناء الرو انتقل إلى تحقيق الهدف الثاني من التربية الأثينية وهو بناء الجسم، أين يرسل الطفل إلى أستاذ الألعاب الرياضية ليتعلم ويتدرب على مختلق الفنون والألعاب البدنية والرياضية التي من شأنها بناء وتكوين جسمه تكوينا صحيا وسليما يصبح من خلاله قادرا على الدفاع عن الدولة.

4- مرحلة تعلم القانون: بعد إتمام الطلاب دراستهم يتوجهون إلى دراسة القانون والذي كان إجباريا من طرف الدولة حتى يعرف كل مواطن ماله وما عليه وحتى يعيش حياة واقعية مرسومة لا حياة خيالية.[1]

7- التطور التاريخي للتربية في مدينة أثيـــــــنا

يفرق أو يقسم المؤرخون التطور التاريخي الذي مرت به حركة التربية والتعليم في مدينة أثينا إلى عدة مراحل متباينة حتى استقرت على ذلك النموذج العقلاني التي أصبحت تعرف به التربية في أثينا

المرحلة الأولى- التربية الأثينية المبكرة

وهي أول مرحلة أو أول شكل عرفته التربية في اليونان وتدرجت من خلاله وعبره إلى باقي المراحل اللاحقة:

[1] - سعد مرسي: مرجع سابق، ص 130.

1- هدف التربية الإثينية المبكرة

- كانت أهداف التربية في هذه المرحلة تؤكد على أهمية بلوغ الكمال الفردي، وكان الكمال الفردي يعني النمو الكامل للإنسان عقلا وبدنا وخلقا.[1]

- كما كانت التربية تهدف إلى خدمة صالح الدولة وحماية معابدها ومرافقها واحترام أحكامها وقوانينها وتقديس تقاليدها الدينية والاجتماعية[2].

2- محتوى التربية المبكرة

كان الطابع الاجتماعي هو الطابع الغالب على محتوى التربية الإثينية المبكرة، لأن بناء المجتمع الجديد في مقابل الكيانات اليونانية الأخرى كان يتطلب ذلك، كما استخدمت التربية البدنية من أجل تنمية الرشاقة والتدريبات العسكرية كالعدو والمصارعة والملاكمة والرمي بالقوس وقذف الرمح واستخدام الآلات الحربية وكذا التربية الأخلاقية التي كانت تدور وتؤكد على فضائل الأبطال الهومريين وخدمة الدولة، كما احتوت التربية على الموسيقى والرقص والشعر كوسائل للنمو العقلي والخلقي والشخصي، كما تضمنت هذه التربية أيضا القراءة والكتابة للصغار وحفظ مختارات من أشعار الأبطال[3]

3- المؤسسات القائمة بالتربية المبكرة

- الأسرة: لقد تركت أمور التربية في هذه المرحلة إلى الأسرة بشكل خاص في حين تولت الدولة الإشراف العام فقط، ولقد كانت الأسرة تعهد إلى أحد العبيد الموثوق بهم ليقوم بتربية الأطفال الصغار والإشراف على سلوكهم وآدابهم.

- المدرسة: أما المدرسة فقد كانت المسؤولة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة والموسيقى والتدرب على الألعاب المختلفة.

- المؤسسات العامة داخل المجتمع: لقد كانت جميع أنشطة الحياة في أثينا ذات دور تربوي كبير فالشباب يتعلمون الكثير من اجتماعات الجمعية العمومية حيث يستمعون إلى ما يدور من مناقشات وفي المحاكم يرون القوانين تفسر والعقوبات توقع، وفي المسر يشاهدون الكوميديا

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص99.

[2] - محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 59.

[3] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص101.

والتراجيديا، وفي موسم الألعاب الأولومبية يتعلمون الكثير عن الحياة في أثينا لأن تلك المواسم كانت مناسبات للمباريات الرياضية والأدبية والعلمية والفلسفية لا تختلف عن سوق عكاظ وذي المجاز وغيرها عند العرب.

4- طرق التعليم وأساليبه في التربية المبكرة

- فهم الأثينيون التربية باعتبارها قيادة للنمو وليست إحداثا له ولذلك لم يفضلوا تدخل المربي في إحداث النمو وقصروا عمله على التوجيه فقط، فالطفل يتعلم وفقاً لرغباته وقدراته وإمكاناته ولا يرغم على تعلم ما لا يرغب فيه باستثناء المجال الاجتماعي والخلقي، ولذلك فقد تعلم الطفل الأثيني الكثير عن طريق القدوة والتقليد، إذ تعلم القراءة والكتابة والموسيقى والرياضة البدنية عن طريق تقليد أساتذته، وجاء معظم تدريبه عن طريق إشراكه في الأنشطة العامة للحياة الأثينية وتعلم الطفل الأثيني القواعد الخلقية في العصور الأثينية المبكرة عن طريق التلقين والإيحاء فالمربي يخبر الطفل أو يوحي إليه بأن هذا حسن وذاك سيء، وهذا خير وذاك شر هذا مقبول وذاك غير مقبول، و هذا مقدس وذاك مدنس، و يعاقب الطفل على انتهاكه للقواعد الخلقية.

المرحلة الثانية- التربية الأثينية في عصر الازدهار:

عصر الازدهار هو العصر الذي ظهر فيه المفكرون المبدعون في كل مكان في بلاد الإغريق، بفعل المناخ الذي تشكل داخل مدينة أثينا وبخاصة توفر فضاء الحرية والتشجيع اللازم للتعبير عن المواهب، ويعرف العصر الذي نمت فيه العبقرية اليونانية بعصر (بركليز) وهو عصر وقعت فيه تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعقلية كان لها آثارها البالغة على التربية الأثينية، فالحرب الفارسية التي بدأت في عام 490 قبل الميلاد وانتهت في عام 479 قبل الميلاد أدت إلى جعل أثينا زعيمة للعالم اليوناني بعد انتصارها على الفرس في موقعة سلامي .Salamis. وكان الفضل في إحراز هذا النصر راجعاً إلى طبقة التجار الذين حولوا مراكبهم التجارية إلى مراكب حربية وأبلوا بلاء حسناً في القتال، وقد ترتب على هذه الحرب منح طبقة التجار وغيرهم ممن اشتركوا في الحرب حقوق المواطنة الأثينية وسمح لهم بالاشتراك في تدبير أمور الدولة وأصبح لكل منهم الحق في الكلام في الجمعية العمومية وانتخاب القادة الزعماء، وجاءت القيادة في العالم الأثيني لمن حظى بالتأييد الشعبي، ولذلك انتصر صاحب

البلاغة والفصاحة على الأرستقراطي بحكم المولد، ولما كانت طبيعة الحياة في بلاد اليونان توجب على كل مواطن القيام بأعبائه السياسية والاجتماعية والثقافية كان من الضروري إعداد الطبقات الجديدة للحياة الأثينية وتحمل مسؤوليات المواطنة، وهنا ظهر السوفسطائيون لإعداد هؤلاء الناس للحياة والعمل في ظل المجتمع الأثيني من خلال تقديم برنامج مختصر لتعليم حقوق المواطنة ومسؤولياتها، وتقديم ما احتاجه الفرد من فنون الخطابة والكلام الجيد ولقد اقتضت طبيعة الحياة في عصر بركليز) تنمية القدرة على الكلام الجيد لأن الأثيني كان مضطراً إلى الدفاع عن نفسه في المحاكم واعتمدت المناصب السياسية على القدرات اللغوية.[1]

1- أهداف التربية الأثينية في عصر الازدهار:

-هدف التربية في عصر الازدهار هو البلوغ إلى الكمال من أجل النجا الفردي لا من أجل الصالح العام

وأكد السوفسطائيون أن اللذة هي هدف جميع الناس وأن مصلحة الفرد أهم من مصلحة الدولة وأن السلوك التلقائي أفضل من السلوك الأخلاقي.

2- محتوى التربية في عصر الازدهار

- كانت المشكلة الخلقية أهم القضايا التربوية في ذلك العصر التي شكلت مضمونا للتربية، وانبر لها الفلاسفة والعلماء يناقشونها ويقدمون الأطروحات والرؤى حولها، أما السوفسطائيون فقد ناقشوا المشكلة الخلقية وحسموها بطريقتهم، فكان أساس الأخلاق عندهم فردياً وعقلياً، وبالتالي علموا الناس أن الفرد هو الذي يحدد أهداف حياته ومعايير سلوكه وخدماته للدولة، وأما سقراط وأفلاطون وأرسطو فقد انبروا لمقاومة أفكار السوفسطائيين وسلموا بإمكان تعليم الأخلاق وبالتالي تحدثوا عن التربية الخلقية، فقد دافعوا عن الحياة الفاضلة التي ينسجم فيها الصالح الفردي والصالح الاجتماعي.

- التربية العقلية: كان التدريب العقلي في عصر بركليز أكثر منه في أي عصر مضى، فلقد زاد السوفسطائيون الدقة العقلية من خلال عنايتهم بالدلالات اللغوية ومفاهيم الألفاظ، واستطاع سقراط أن يقدم نظاماً للتدريب العقلي يكشف عنه منهجه المعروف، وقصر أفلاطون التدريب الفعلي على أبناء الطبقة الحاكمة، ووصف أرسطو طريقة الاستقراء، ولقد أدت العناية بالعلوم

[1]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص103.

العقلية إلى إغفال التدريبات البدنية والعسكرية وآثر الشباب الاستماع إلى المناقشات وحضور دروس العلم والأدب.

– التدريب المهني: وكان للسوفسطائيين فضل العناية بالتدريب المهني نظراً لقيامهم بتدريب الخطباء البلغاء وأصحاب الكلام المقنع، والمحامين والسياسيين وأصحاب الحرف الأخرى، ودعا أفلاطون إلى أنواع من التدريب المهني تناسب طبقات المجتمع كالحكام الفلاسفة والجنود والعمال. [1]

3- المؤسسات التعليمية والتربوية في عصر الازدهار

حدثت خلال هذا العصر التغيرات الكبرى على مستوى المدرسة الثانوية، فالمدارس الثانوية في العصور السابقة كانت معنية بالتدريبات البدنية والعسكرية، وفي هذا العصر اهتمت بالدراسات العقلية والأدبية، وتهافت الشباب لتلقي تلك الدراسات على أيدي السوفساطائيين، ولم يكن للسوفسطائيين مدرسة وإنما كانوا يعرضون أبحاثهم ودراساتهم في أماكن خاصة أو في الملاعب والشوارع والأسواق، أما سقراط فكان يجوب الأسواق ويعلم الشباب الجدل والفضيلة والحكمة على قارعة الطريق وفي أي مكان يمكن أن يلتقي فيه بالشباب، أما أفلاطون فقد علم تلاميذه في الأكاديمية التي أنشأها، وأرسطو في الليسيوم، وعلم ايزو قراط تلاميذه في مدرستين مدرسة أنشأها في شيوس ومدرسة في أثينا، ومما هو جدير بالذكر أن مدارس ايزو قراط كانت محاولة للجمع بين محاسن المدارس السوفسطائية ومدرسة أفلاطون، فلقد أعلن ايزو قراط رفضه للمدارس السوفسطائية لأنها معنية بالخطابة والنجا السياسي فقط وهذا لا يكفي لإقامة نظام سياسي مستقر، كما رفض ايزوقراط مدرسة أفلاطون لأنه يدعي تعليم الحكمة ويقضي الأطفال حياتهم في مدرسته ولا يبلغون إليها، مما يضطرهم إلى اتخاذ قراراتهم على أساس من المعرفة الشائعة لا الحكمة، وكان هدف ايزوقراط إعانة الشباب على الحصول على المناصب السياسية من خلال تعلم الخطابة والجدل مع العناية بالصالح العام، وفيما بعد التقت تلك التيارات جميعاً في جامعة أثينا ثم في جامعة الإسكندرية. [2]

4- طرق التعليم في عهد الازدهار

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 104.

[2] – نفس المرجع، ص 106

ظلت الطرق المتبعة في المرحلة الابتدائية كما كانت في العصور الماضية، وفي المراحل الأعلى قدم السوفسطائيون طريقتي المحاضرة والمناقشة، وقدم سقراط طريقته المعروفة التي تستهدف حفز الطلبة على التفكير بأنفسهم بلوغاً إلى الحقيقة. [1]

المرحلة الثالثة- التربية الأثينية المتأخرة:

يؤرخ لفترة المرحلة المتأخرة أو المرحلة المختلطة بتمكن فيليب المقدوني من توحيد اليونان القديمة في الإمبراطورية الهيلينية، حيث أصبحت الإسكندرية العاصمة السياسية والثقافية في مصر وليس أثينا، وتم بعدها نشر الثقافة اليونانية على يد الاسكندر المقدوني تلميذ ارسطو ولم يمضي قرن على موته حتى اصطبغت عادات الشرق وتقاليده بالصبغة الإغريقية.[2]

1- أهداف التربية في العصر المتأخر

حدثت تغيرات كبيرة في العادات الخلقية والمبادئ الدينية والسياسية بعد عصر بركليز مذهب المثل الأعلى الذي أوجب إعداد الشباب لخدمة الدولة والولاء للمدينة وحلت محله نسبية أخلاقية، ونزعة فردية ذاتية مبتذلة، وكان انهزام الأثينيين على أيدي المقدونيين ضربة قاصمة للعواصم القديمة والفضائل المدنية ولم يستطع الأثينيون الاجتماع على مثل أعلى وكان لهذا الاختلاف أثره البالغ في قلة كفاءة نظامهم التعليمي، وسادت الاتجاهات العامة التي دعا إليها السوفسطائيون، وبالتالي أصبح لكل فرد هدفه الذي يحرص على تحقيقه بالطرق التي يراها مناسبة، ولم تشترك تلك الأهداف الفردية إلاّ في محاولة البلوغ إلى المكاسب الذاتية وشغل مناصب السلطة ووسيلتهم في ذلك هي الفصاحة والبلاغة والكلام الجيد. [3]

2- خصائص ومميزات التربية في العصور المتأخرة

- بدأت الاخلاق وفلسفة الحياة الأخلاقية تنفصل عن مظاهر النشاط السياسي.
- أصبح طلب العلم امراً دولياً شائعاً، ولم يعد مقصوراً على شعب بعينه، أو مقتصرا على مكان أو زمان بعينه.
- كما أصبح طلب العلم مصطبغاً بالصبغة الفردية، حياة العزلة والابتعاد عن الواجبات وعن مظاهر النشاط الاجتماعي، وبدأ الفرد يبحث عن اسمي غايات حياته في حياة العزلة أكثر

[1] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص107.

[2] - محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 75.

[3] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 108.

من أن يجدها في أشكال النشاط الاجتماعي وتم ذلك من خلال تحرير الحياة العقلية من التقيد بالقيم الاجتماعية.

– الاهتمام بإعداد العقول المشبعة بروح البحث والاطلاع، وذلك بتوفير المعامل والمكتبات والامكانيات اللازمة للبحث.

– ظهور انواع خاصة من المدارس والمعاهد العلمية مثل مدارس الفلسفة والخطابة والبلاغة والجامعات.

– غزو الافكار اليونانية والثقافة الاغريقية لكثير من بقاع العالم.

– اصبحت الدراسات النظرية في هذه الفترة أكبر قيمة، وأدخلت تجديدات على الموسيقى جعلها أكثر لباقة لتكون هواية للتسلية، وأصبحت التربية على وجه العموم تعنى بجميع النواحي الكمالية التي تساعد على شغل أوقات الفراغ والتمتع بالحياة.[1]

– امتاز هذا العصر بتقدم الابحاث وظهور العديد من النظريات خاصة في مجال الفلك والجغرافيا شكلت فيما بعد منطلقات ومبادئ للعديد من الأبحاث والدراسات العلمية الدقيقة.

– لم تكن حالة المرأة أفضل في هذه المرحلة من غيرها من المراحل السابقة، حيث ظلت مستعبدة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ومحرومة من أبسط حقوقها، واقتصر دورها على إدارة منزلها، ولم يسمح لها بشغل بعض الوظائف كالتمريض إلاّ في حالات محدودة.

– لم تختلف نظم التربية في هذه المرحلة عما كان متبعا في الفترات السابقة.

3– محتوى التربية في العصر المتأخر

كانت الخطابة هي محور التربية في هذا العصر، حيث كانت الخطابة الأداة الضرورية للإعداد للحياة في القرن الرابع قبل الميلاد وأصبح الكلام المنمق هدف كل متعلم، وتنافست الخطابة مع الفلسفة، وكانت الغلبة للخطابة ومن ثم زاد الاهتمام بالدراسات الأدبية وتحليل اللغة والأدب والتدريب على فنون الكلام، وفي القرن الثالث قبل الميلاد حدث تغير كبير في التربية العسكرية حيث اختزلت فترة التدريب إلى عام واحد بدلاً من عامين وألغى الطابع القسري في التدريب العسكري، وفتحت الكلية الحربية أبوابها لاستقبال أبناء الأجانب بعد أن كانت وقفاً على المواطنين في العصور السابقة. [2]

[1] – محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 76.

[2] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 109.

المرحلة الرابعة- التربية الأثينية الدولية (جامعة الإسكندرية)

أسس البطالسة جامعة الاسكندرية عام 32 ق. م بعد موت الاسكندر المقدوني (ت 323 ق. م)، ولم يحاول اليونانيون القضاء على الثقافة أو اضطهاد الكهنة أو طلاب العلم المصريين ولكنهم عملوا على نشر الثقافة اليونانية في مصر جنباً الى جنب مع الثقافة المصرية القديمة.

وقد أدت جامعة الاسكندرية خدمات جليلة للتقدم العلمي والثقافي، فقد قامت بإعداد وتدريب الدارسين والباحثين، وتخريج الاساتذة، وفي ذلك يقول المؤرخ «ساندز» أنها ملأت مدن العالم وجزره بعلماء النحو والفلاسفة وعلماء الهندسة والموسيقيين والرسامين والمدربين والأطباء وأفراد يمتهنون مهناً أخرى كثيرة، وقد اشتهرت جامعة الاسكندرية بمكتبتها العامرة، واشتغل فيها اقليدس (حوالي عام 290ق.م) مؤسس الهندسة الاقليدية، والذي نشر كتابه المعروف "مبادئ علم الهندسة" وارخميدس (حوالي 100 ق. م) صاحب "قانون الطفو"، وأبولونيوس الذي نشر كتابه عن القطاعات المخروطية، وقد اهتمت الجامعة بالآداب والعلوم والنقد والدراسات المقارنة والنحو والفلسفة والمنطق.

وقد استضاف المكتبة لفترة سبعمائة عام أفضل المثقفين الذين لم يجتمع مثلهم في مكان واحد حتى عصرنا الحالي، وقد ذكر المؤرخون أن مكتبة الاسكندرية قدمت أربع خدمات كبرى للتقدم الثقافي والحضاري، ومن هذه الفوائد ما يلي:

1- أنها كونت كثيرا من العلماء والباحثين والمعلمين من مختلف الأقطار.

2- إن علماءها قاموا بالبحوث المختلفة التي أعانت الفكر الانساني.

3- إنها حفظت الأجيال التالية إنتاج المفكرين والكتاب والشعراء القدامى.

4- جمعت بين العلماء من مختلف الأمم والأجناس ومنهم اليونانيون والمصريون والهنود واليهود والسريان.[1]

ثالثا وأخيرا: سقوط الإمبراطورية اليونانية

[1] - محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 81.

كان من نتائج تربية آثينا في عصورها القديمة أن اكتمل نمو الفرد وظهر التقدم القومي بصورة لم ير التاريخ لها مثيلا من قبل، وقد بلغ هذا العصر ذروته أيام بركليس وبدأ اتجاه نمو تمجيد الفردية إلى درجة أدت فيما بعد إلى أن أصبحت الدولة في خدمة الفرد.

كما كان من نتائج علو شأن أثينا أن قامت المنازعات بينها وبين اسبارطة التي اعتبرت نفسها حتى ذلك الوقت ذات المكانة الأولى في اليونان فقامت بين أثينا واسبارطة حروب طويلة (حروب البلوبونيز) والتي انتهت سنة ٤٠٢ ق . م . وكانت هذه الحروب سبباً في بدء انحلال الأمبراطورية اليونانية[1]

[1] – سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص89.

– الفلاسفة الإغريق وميلاد الفكر التربوي

بالرغم من المحاولات الكثيرة التي سبقت الحضارة اليونانية وما قدمته من جهود في مجال التربية والممارسة التربوية بشكل عام، إلاّ أنه لا يمكن اعتبار الميلاد الحقيقي للفكر التربوي والانشغال العلمي بالتربية واعتبار الفعل التربوي شغلا فلسفيا ومدارا للبحث إلاّ خلال هذه الفترة وما قدّمه الفلاسفة اليونان فيها من إضافات جادة ومسائلات ومطارحات حقيقية للعملية التربوية ومحاولة التنظير لها بشكل علمي، وإن أهم هذه المدارس الفلسفية أو من تصدرت المشهد يمكن ذكر السفسطائيون وسقراط وأفلاطون وأرسطو.

أولا– السفسطائيون

نعم لقد كان السفسطائيون هم أول من تصدّر لمشكلات النظرية التربوية التي تمخضت عن القلق الاجتماعي، وكانوا من أشد المهاجمين للنظم القديمة وكان سلاحهم في ذلك التفكير في إطار احتياجات الأفراد الذين ذهبوا إليهم طالبين العلم والمعرفة.

وقد جذب طريق السفسطائيون الشباب المتحمس وهرعوا إليهم لما اتسمت به آراؤهم من حرية وانطلاق ولما أضفوه على الفرد من تمجيد واعتزاز، فقد عملوا على تحرير العقل من الجهالة والرو من الخوف والجسم من الوهن، لقد عملوا على نمو الانسان ككل.[1]

وبالرغم من أنه يعاب عليهم بأنهم كانوا لا يثبتون على مبادئ وأنهم كانوا يدافعون عن وجهة النظر التي تتناسب مع مصالحهم، ومن الغضب الشديد الذي أبداه المحافظون وكبار السن على ما ابتدعوه من فكر جديد وطرق جديدة في المعرفة، إلاّ أن أفكارهم قد شكّلت بحق ما يمكن أن نطلق عليه الصفعة التي أيقظت النيّام من نومهم أو من غفلتهم، وأول الطريق فكرة أو كلمة وقد بدأ هذا الطريق الفلاسفة السفسطائيون بطريقتهم الجديدة في تنبيه العقل.

وكان السفسطائيون يعلمون الحساب والهندسة والفلك والتاريخ الطبيعي والنحو والبيان والتاريخ والأساطير والمنطق والسياسة والأخلاق وفقه الدين والرسم والموسيقى والتكتيك الحربي، ولكنهم ركزوا على البيان، أما بقية المواد وغيرها فكانت تهدف إلى مد المتكلم بحصيلة من المعلومات تفيده في مناقشاته، ولم يعلم السفسطائيون المنطق حرصاً على معرفة الصدق

[1] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص 138..

والحق ولكن للفوز في مناظرة أو مناقشة كلامية وهذا ما سمى بالسفسطة وكانوا ينكرون وجود الموجود أو الحقيقة الموضوعية، وأن رأي الفرد هو الصدق الوحيد، أليس الإنسان هو مقياس الأشياء؟[1]

ثانيا- سقراط (469-399 ق.م)

نشأ سقراط في خضم الصراع الذي كان حاصلا بين السفسطائيين وخصومهم، ويعد سقراط حسب الكثير من أعظم فلاسفة أثينا في القرن الخامس، وهو الذي نشأ نشأة متواضعة متجها بفكره صوب الحماسة للديمقراطية، وقد رأى مند الوهلة الأولى الحاجة إلى تربية من نوع ممتاز، تربية إنسانية متجهة إلى الإنسان ويكون موضوعها الرئيسي الجوهر الروحي للإنسان، ولكنه لم يقصد من هذا ما قصده السفسطائيون بقولهم إن الإنسان مقياس كل شيء، ولكنه قصد إلى القول بوجوب أن تكون المعرفة مستقلة، أي أن عقل الإنسان يجب أن يبحث في الأشياء باستقلال وحرية كاملة، وأن يحكم كل ما هو موروث فلا قيمة للأفكار أو العقائد من حيث هي قديمة أو حديثة، ولكن تتأتى قيمتها من حيث أنها تعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الأشياء.

ولقد كان سقراط يتبع في ذلك منهجا فلسفيا يبدأ بادراك الإنسان لنفسه، أي يبدا البحث بادراك الإنسان لذاته لكى يعلم الفرد هل لديه علم صحيح أو أن ما عنده إن هو إلا علم مشوه، أو أنه جاهل تماماً، وكان سقراط يعمل على أن يثبت لمتحدثيه أنهم جهلة، ومن الجهل تتكون النقطة الأولى للبحث الفلسفي و يظهر سقراط جهله بالموضوع، ثم يلقى أسئلة قد تظهر لهم أنها ساخرة ولكنها تنتهى بإثبات أنهم إذا علموا شيئاً فهو غير صحيح، وكثيراً ما كان يثبت للمتحدث أنه يناقض نفسه، ومن الركائز التي ترتكز عليها قوة سقراط أنه في محاولته للبحث عن الحقيقة حاور غيره ممن ادعوا العلم وباستخدام طريقته اكتشفوا أنهم لا يعلمون، ولكنهم يدعون العلم، أما هو فيعلم أنه جاهل أو هو يعلم بأنه لا يعلم وهذا علم صحيح.

وكان سقراط يستعين بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات إلى المعاني أو الأحكام العامة، كما أن سقراط آمن بأن الإدراك الحسي هو أساس المعلومات جميعاً ولأن هذا الإدراك مختلف باختلاف الأفراد، فان المعلومات التي تجيء عن طريقه مختلفة، فنحن لا نعرف عن الحقيقة إلاّ الصور المختلفة التي تقدمها لنا الحواس ولذلك اتجه سقراط إلى بناء تحصيل المعرفة على

[1] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص 139.

العقل لا على الحواس معارضاً بذلك آراء السفسطائيين، ويرى سقراط أن العقل عامل مشترك عند جميع الناس، وما دام العقل أداة المعرفة فالحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس جميعاً يرونها بمنظار واحد هو العقل، الذي لا مختلف إدراكه في شخص عن آخر وكان رأي سقراط هذا هو الأساس الذي نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية.

ويذكر أن سقراط انصرف عن البحث فيما يتصل بالطبيعة والآلهة مؤثراً أن يدرس الإنسان نفسه أولا ثم يدرس المتصل بالإنسان وكان يرى أن عقل الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى البحث في الطبيعة والإلهيات، ورأى سقراط أن الإنسان لا يمكنه أن يعلم الخبر إلاّ إذا عرف ماهية الخبر أي عرف الإدراك العقلي للخير، فالعمل الأخلاقي مؤسس على المعرفة ويجب أن يصدر عنها ... بل إن الفضيلة والعلم شيء واحد فيستحيل أن تعرف الخير معرفة صحيحة ولا تعمله، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرفه فيكفي في نظر سقراط أن يعلم الإنسان ما الفضيلة حتى يكون بمنجاة من فعل الرذيلة، وكل عمل شر إنّما يصدر عن الجهل بالفضيلة لأن الإنسان لا يسعه إذا عرف الخير أن يفعل شراً.

وانتهت حياة سقراط بمحاكمته بعد أن اتهم بإفساد الشباب وحكم عليه بالموت وأعدم بإلزامه شرب السم. [1]

ثالثا- أفلاطون (429 ق.م)

يمثل أفلاطون إحدى أبرز الشخصيات الفكرية في تاريخ الفلسفة اليونانية أو تاريخ الفكر اليوناني بصفة عامة، من خلال جودة الفكر وخصوبة المعرفة التي كان يشتغل بها أفلاطون، ومن خلال الأثر الكبير الذي استطاع أن يتركه من بعده ليصل تأثيره إلى الأجيال المعاصرة، ويظهر ذلك واضحا في كتابات المعاصرين وآرائهم الفكرية، التي نجد لكثير منها أصولا لفلسفة أفلاطون.

ويقع الفكر التربوي وموضوعاته ضمن القضايا الفكرية التي عمل عليها أفلاطون وقدّم لها فلسفة أو قل نظرية تربوية مرتكزة على فلسفته التي كان يراها وينادي بها، وهي النظرية التربوية أو الفكر التربوي الذي بناه أفلاطون نتيجة لذلك المناخ الذي كانت تتيحه بيئة أثينا، ذلك المناخ الذي فطره السوفسطائيون كما أشرنا سابقا ونضج مع سقراط أستاذ أفلاطون وأحد

[1] – سعد مرسي: مرجع سابق، ص 140-141.

أكثر الذين أثّروا في فكره، فما كان يدور من نقاشات وموضوعات حول الأخلاق والفلسفة والفضيلة شكّلت كلها منبّهات ومحرّكات عقلية لعقل أفلاطون، كما ساهمت تلك الأسفار والرحلات التي استمرت 12 سنة خاصة رحلته إلى الإسكندرية وما كانت تمثله من ثقل علمي في ذلك الزمان خاصة مكتبتها التي سبقت شهرتها، كل هذه العوامل صاغت لنا شخصية أفلاطون وفكره التربوي.

وأسس أفلاطون الأكاديمية ليمارس فيها تعليم الشباب الطموح وينشر الفلسفة والمعرفة أربعين عاماً، وفى خلال هذه المدة كتب أفلاطون في كل ما كان يثير قلق الناس المعرفي، عن تحسين النسل والشيوع والاشتراكية، ومساواة المرأة بالرجل في الحقوق جميعاً، والحريات في القول والرأي والعلاقات الجنسية، وتأميم الثروة وغيرها، وقد صاغ كتبه في أسلوب الحوار متخذاً من سقراط بطلا في الكثير المكتوبة، مازجاً بين فلسفته وفلسفة سقراط حتى لا تستطيع أن تميز بينهما في كثير من المواضع[1].

- نظرية أفلاطون في التربية

لا يمكن فهم نظرية أفلاطون التربوية دون فهم آرائه وأفكاره الفلسفية خاصة تلك التي كانت تصف الروح البشرية أو الشخصية، وآراؤه عن المجتمع البشرى وعن الفرد والمجتمع والعلاقات بينهما، وهي النظرة التي على أساسها أعطى نظاماً لتدريب الأفراد على النحو التالي:

أولا: يجب أن يخضع المسؤولون عن الحكومة في المدينة لنظام تربوي يتكون من خمس مراحل هي:

١- من الميلاد إلى سن السابعة عشرة : وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين ويربى فيها الأطفال على أيدى أخصائيين في دور الحضانة العامة بعيداً عن الوالدين، وفى الحضانة يهتم المشرفون بالنمو الجسمي للأطفال مستغلين اللعب والرياضة في ذلك، وخلال القسم الثاني يتعلم الأطفال القراءة والكتابة، ويتدربون على التذوق الموسيقى الذي شمل الموسيقى واللغة والأدب بالمفهوم الحديث، وإلى جانب ذلك يتعلم الأطفال والغلمان العلوم والتمرينات البدنية، وتخضع (المناهج) التي يدرسها المتعادون لرقابة الدولة خضوعاً كاملا في محتواها وشكلها.

[1] - سعد مرسي: مرجع سابق، ص 144.

٢- من سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة إلى سن العشرين: وفى هذه المرحلة يدرب الشباب تدريبات عسكرية وجسمية عنيفة

3- المرحلة الثالثة من سن العشرين إلى الثلاثين: ويدرس فيها الشباب العلوم كالحساب والهندسة والفلك وغيرها هذا إلى جانب دراسة الموسيقى

4- المرحلة الرابعة من سن الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين: وتتميز بطريقة المناقشة والحوار في دراسة عن العالم وطبيعة الخير

5- المرحلة الخامسة من سن الخامسة والثلاثين إلى سن الخمسين: وفها يعين الناجحون في المرحلة الرابعة في مناصب حكومية.

وفى سن الخمسين يختار المبرزون في المناصب الحكومية لرفعوا إلى المناصب الحكومية العليا.

ثانيا: يجب أن يخضع أصحاب الإرادة إلى نظام تربوي خاص بهم، ولكنه مع ذلك لا يجد أفلاطون مانعاً من خضوعهم للمنهج الدراسي لأصحاب العقل والتفكير حتى نهاية المرحلة الثالثة، ويلو أنه من الضروري لطبقة الجند دراسة عسكرية تؤهلهم للمناصب الحربية، فالمهم فيهم نوع من الشجاعة، وقدرة على تقبل أوامر وتوجيهات أصحاب العقل؛ وإلا فقد يندفعون إلى أعمال يثيرها الطمع لتحقيق مكاسب اقتصادية خاصة به، وبذلك يصبحون مصدر خطر دائم في مجتمع متمدن.

ثالثاً: يجب أن يخضع أصحاب الشهوات إلى نفس نظام التربية في المرحلة الأولى والثانية وسوف تساعدهم هذه التربية على الخضوع لطبقة الجند وبالتالي لفئة المفكرين، كما أن تربيتهم سوف تساعدهم في اتجاهاتهم الاقتصادية، وينتظر أفلاطون من نوع التربية الذي يخضع له أصحاب هذه الطبقة أنه سوف يكبح جما شهواتهم[1].

رابعا- أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٣ق.م)

نشأ أرسطو مع فيليب أبى الاسكندر الأكبر المقدوني أين كان أبوه طبيباً لملك مقدونيا، وقد ترك أرسطو مقدونيا إلى آثينا في السابعة عشرة من عمره ليلتحق بأكاديمية أفلاطون ويتتلمذ عليه مدة عشرين سنة، وبعد وفاة أفلاطون ترك أرسطو أثينا إلى آسوس حتى دعاه

[1]- سعد مرسي: مرجع سابق، ص 149.

فيليب ليقوم على تربية ابنه الاسكندر وكان ولياً للعهد، وعندما اعتلى الأسكندر عرش مقدونيا عاد أرسطو إلى أثينا وأنشأ فيها مدرسته التي سميت الليسيه lyccum نسبة إلى المكان الذى انشئت فيه، كما سمى أتباعه بالمشائين لأنهم أخذوا عنه عادة المشي أثناء تعليمه، وبعد موت الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م. في بابل وهو في أوج نصره العسكري، تحطم ذلك السياج المتين الذى كان يحمى أرسطو من أعدائه الحاقدين وخصومه المغرضين، فانتهزوا الفرصة وأغروا به العامة والجماهير واتهموه بالإلحاد وأنه لا يؤمن آلهتهم ولا يقدم إليهم القرابين، ولما اشتد هياج الجماهير ضده غادر آثينا قائلا إنه يخشى من جناية الآثينين على الفلسفة مرتين أولاهما بالعدوان على سقراط وثانيهما بالعدوان عليه، ولم يلبث أن مرض بعد هربه من آثينا بعام أو بعض عام شاكياً من معدته، ثم عاجلته المنية سريعاً في العام التالي من هربه أي في سنة ٣٢٢ ق.م. وكان قد بلغ الثالثة والستين.[1]

- الفكر التربوي الأرسطي

يتفق أرسطو مع أستاذه أفلاطون في كثير من الآراء التربوية، فقد أورد أرسطو في كتابه (السياسة) عن العلاقة بين الدولة والتربية، ويظهر في كتاباته متأثراً بأفلاطون، وينظر كلاهما إلى التربية على أنها من مهام الدولة ولذلك فلم يعجبهما عدم وجود نظام تربوي عام موحد في آثينا، وطالبا بثورة شاملة في طرائق تربية الأجيال الصاعدة الآثينية، كما يتفق أرسطو مع أفلاطون في أن تربية الرجل الحر ترتكز على عاملين بدنيين، أولهما جسم صحيح سليم وثانيهما تكوين عادات مناسبة، بل أن أرسطو يرى أن التربية عن طريق تكوين العادات الصالحة يجب أن تسبق تربية العقل وعن طريق العادات تنقش قيم الحياة النبيلة في عقول الصغار منذ بواكير طفولتهم، واهتم أرسطو كما اهتم أفلاطون بتنمية العقل إلى جانب تنمية الجسم، والتنمية العقلية انعكاس القوة الإلهية ولذلك فان سعادة الإنسان توجد في إيمانه مع هذه القوة العليا، والإيمان البشرى لقوة الإله كفيلة بتمكينه إصدار القرارات الحكيمة في مختلف سبل الحياة

ومع أوجه الاتفاق بين أرسطو وأفلاطون فان هناك جهات ظهر التعارض فيها بينهما واضحاً، فبينما كان تفكير أفلاطون في الاتجاه المثالي نجد أرسطو أكثر ميلا للواقع، وإذا كان

[1]- سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص157.

أفلاطون قد هام في سحب اليوتوبيا من خلال محاوراته العديدة فان أرسطو كتب ما أقنع رجل العصور الوسطى بآرائه فنسج حولها مشاكله الفلسفية.

ذهب أفلاطون إلى القول بأن الوجود يتكون من حس وفكر أو مادة ومثل، أما أرسطو رأى أن الصورة والمادة كل لا يتجزأ، وبينما كان أفلاطون يرى أن الحقيقة مركزها في النظام الروحاني السماوي أي في عالم المثل وليس في عالم الواقع الذي هو مظهر لعالم المثل فإن أرسطو يرى أن الحقيقة توجد في عالمنا الواقع، وإذا كان أفلاطون تصوّر أن عالم الحس لا يفهم إلا بالعالم الآخر الإلهي فإن أرسطو يرى أن على الإنسان أن يعمل عقله فيما بين يديه، وأن عالمنا يفهم من ذاته، وأكد ضرورة الاستعانة بالمنطق وفهم الإنسان كانسان لا كمخلوق إلهى.

بحث أفلاطون عن الحق في الخيال وفي عالمه المثالي الذي تصوره، بينما عاش أرسطو على الأرض يبحث عن الحق، وفي الوقت الذي لم يثق فيه أفلاطون في الحواس رأى أرسطو أنها يمكن أن تكون آلات تستخدم لمعرفة بعض الحقائق الأولية.

وبيّن أرسطو بأنه يجب على التربية أن تعتمد على نمو صحي سليم للمتعلم مما جعله يقول بأن الغذاء المناسب والتمرينات الرياضية أساسيان، ولكنه رأى أيضاً أن نمو الفرد يتحدد إلى حد كبير بالعوامل الوراثية الجسمية والنفسية فما يطلق عليه طبيعة صحية وهو مزيج من الفطري والمكتسب، كما أنه يتعرض في مناسبات كثيرة إلى ضرورة اعتماد التربية على طبيعة الفرد وأن تعمل على تنمية قدراته ويرى بأن الهدف من كل فن تربية استكمال نقائص الطبيعة.

كما أوضح أرسطو أيضا بأن كل فرد ذي طبيعة صحية ينزع إلى التقليد، والتقليد أساس الفنون الجميلة كما ينزع هذا الفرد إلى الحياة التعاونية مع غيره من الناس، ويدفع الإنسان إلى هذه المسالك محرك أساسي هو رغبة الطبيعة في السعادة، وحيث أن السعادة تخرج من ثنايا حياة منتجة متزنة فاضلة، فإن الفرد الصحي سيهتم أصلا بتحقيق القيم النبيلة، واهتمام الفرد بتحقيق حياة منتجة وسعيدة يثير قدراته وطاقاته لا من حيث عمقها فحسب ولكن في مدارها واتساعها، ولهذا فإن الفرد يحاول تثقيف نفسه ويتصل بعناصر البيئة المحيطة ليعمل على نمو طاقاته وبتفاعل هذه الطاقات يضمن الفرد نموا كاملا. [1]

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 166..

ورأى أرسطو أن التربية يجب أن تخدم النظام السياسي القائم وأن تكون من مهام الدولة وأن تتفق مع طبيعة المتعلمين، وذلك أن أرسطو يؤمن بأن التربية علم مبنى على مبادئ عامة ذات صبغة عالمية معترف بها، ولذلك فهو يعهد بالتربية إلى مسؤولية الدولة.

كما وضع أرسطو تقسيما لمراحل التربية التي سماها بالتربية (النظامية) والتي بيّن أنها تنتهي عند سن الحادية والعشرين، وأنها تقسم إلى أربع مراحل:

– المرحلة الأولى تنتهي في سن الخامسة: والتربية فيها طبيعية وتشتمل على حركات بدنية تلقائية مع اهتمام بحماية الأطفال من المؤثرات اللاأخلاقية.

– المرحلة الثانية من سن الخامسة إلى السابعة: وفيها يلاحظ الأطفال الأنشطة التي سيمارسونها فيما بعد، ويبقى الطفل في البيت خلال هذه المرحلة ولكن تحت إشراف مديري التربية في الدولة.

– المرحلة الثالثة: فتنتهي قبيل سن المراهقة وفها يتعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والتمرينات الرياضية والموسيقى، ويهتم أرسطو بالرياضة والموسيقى على أساس أنهما يهيّئان للفرد حياة منسجمة متزنة سعيدة، والمهم في هذه المرحلة التدريبات وتقليد السلوك الطيب وتكوين العادات الخلقية السليمة.

– المرحلة الأخيرة: وهي مرحلة (النفس المنطقية) فيبدأ فيها المتعلمون بسنوات ثلاث يتعلمون خلالها دراسات ذات طابع عقلي مثل العلوم والفلسفة والآداب والعلوم السياسية التي يرى أنها سيدة الدراسات كلها ويدخل فيها علم النفس، ويرى أرسطو أنّ ملكات الفرد تنمو في ثنايا هذه الدراسات. [1]

– أثر آراء أرسطو التربوية

كانت آراء أرسطو كنزاً ثميناً للفكر التربوي والفلسفات التربوية تأثر بها كثير من المفكرين مثل توماس الأكويني وغيره، بل إن آراء أرسطو كانت الأساس الذي بنى عليه منهاج التعليم في أواخر العصور القديمة، كما أن مناهج المدراس الثانوية والمعاهد العليا اليوم تظهر دلائل على تأثير أرسطو، فان تصنيف الكتب في بعض مكتبات الجامعات القديمة في أوروبا يتبع تقسيم أرسطو للمعرفة، و نعرف أن الفنون العقلية الحرة السبعة التي درست في معاهد العصور الوسطى و استمرت إلى القرن الثالث عشر ومازالت مؤثرة إلى اليوم مستمدة من أعمال أرسطو

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 168.

وتشتمل الفنون العقلية السبعة: على النحو والمحاورة والبيان والموسيقى والحساب والهندسة والفلك. [1]

- خلاصة حول التجربة اليونانية القديمة في مجال التربية

لا بد من الإشارة إلى أن هذه الفترة من تاريخ الفكر التربوي قد أعطيت لها مساحة كبيرة داخل التناول العلمي، وذلك طبعا راجع بالأساس لاشتغال العقل الغربي الأوروبي على هذا الجانب، بغية إظهار تفوق الرجل الأوربي وأن الحضارة الغربية لا تعدوا أن تكون امتدادا للحضارة الإغريقية، فالجوانب الإيديولوجية نعتقد أنها كانت أكثر العوامل المؤدية إلى إبراز الفترة الإغريقية، وإلاّ فالإغريق ليسوا إلاّ تلاميذه عند الشرق الذين سبقوهم بقرون وكانوا أبرع منهم في مسائل عدة.

وعلى الرغم من الحكم السابق الذي أوقعناه على الفكر اليوناني إلاّ أننا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور إسماعيل علي على أن التربية عند اليونان فيما قبل الميلاد ليست مجرد مرحلة تاريخية تماثل ما شهدته مجتمعات أخرى، إذ هي (علامة حضارية) ضخمة على طريق التقدم، فهي فارقة بالنسبة لما قبلها، موجهة ومؤثرة على ما بعدها ولعل أهم ما يميز هذه التربية هو هذا الطابع (التنظيري) الواضح للمسألة التربوية في كثير من جوانبها، صحيح أن التربية (سلوك) و(عمل) وأن أي سلوك وأي عمل لابد أن يقوم على موقف فكرى و(تصور)، سواء كان ذلك شعوراً به أم لا، لكن فضل فلاسفة اليونان أنهم جعلوا هذه التصورات موضع تأمل وتفكير، وموضع بحث ومناقشة[2]، وطبعا ذلك كله من خلال استفادتهم القصوى لما وجدوه من فكر وعمل وعلم لدى غيرهم من الشعوب وخاصة الشعوب الشرقية التي سبقتهم إلى ذلك.

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 169.

[2] – سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، مرجع سابق، ص5.

التربية في الثقافة والحضارة الرومانية القديمة

تقع إيطاليا على نفس خط العرض الذي تقع عليه بلاد اليونان وعلى ذلك فظروفها الجغرافية والمناخية شديدة الشبه بظروف بلاد اليونان، ولذلك فقد دخلت إيطاليا التاريخ المدون حوالى سنة ٣٠٠٠ ق. م، في نفس الوقت الذى دخلت فيه اليونان ذلك التاريخ تقريباً، وقد بدأت موجات الهجرة في عصور ما قبل التاريخ إلى إيطاليا، من أوربا ومن آسيا الصغرى، ومن شواطئ البحر الأدرياتيكي، وكانت هذه الهجرات تأتى في صورة قبائل وكانت هذه (القبلية)، هي المحور الذي دارت حوله الأيديولوجيا الرومانية، والذى وجه الحياة في إيطاليا أكثر من ثلاثين قرناً وتنمى تلك القبائل – التي هاجرت إلى إيطاليا – إلى جنسيات ثلاث رئيسية هي الجنسية الإيطالية وقد نزحت قبائلها عبر جبال الألب ثم انحدرت إلى أواسط إيطاليا ومن الإيطاليين القبائل اللاتينية Latins وغيرها.

أما الجنس الثاني فهم: الاترسكانيون Etruscans وكانوا قبائل من أصل غير معروف، إلاّ أن بعض المؤرخين يرجحون أنهم نزحوا من آسيا الصغرى وكان الاترسكانون أكثر مدنية من الإيطاليين في كثير من النواحي وبخاصة النواحي العلمية والفنية، والجنس الثالث هم اليونانيون الذين نزحوا من اليونان إلى جنوبي إيطاليا وصقلية حوالى القرن الثامن قبل الميلاد، واستوطنوا تلك المناطق وكانوا على درجة من المدنية التي أفادت الإيطاليين إلى حد كبير.

وقد استمرت موجات الهجرة إلى إيطاليا من هنا وهناك بحيث لم يأت القرن الثامن قبل الميلاد، حتى كانت القبائل الاترسكانية قد سيطرت على الساحل الغربي لإيطاليا فما فوق نهر التبير وسيطرت القبائل اللاتينية على الجزء الأوسط من الساحل الغربي وسيطرت القبائل الامنية على السواحل الجنوبية والشرقية كما سيطرت قبائل إيطالية أخرى على الجهات الشمالية، وكان هذا الاستقرار الذى تمتعت به الجنسيات الثلاث في جزء من أرض إيطاليا القديمة، منشأ المدن المستقلة City – states الإيطالية، وبداية (الصراع القبلي) بين الجنسيات المختلفة للسيطرة على كل إيطاليا تماماً كما حدث في بلاد اليونان من قبل.

وكانت (روما) التي أسست سنة ٧٥٣ ق. م، «عاصمة القبائل اللاتينية ومركزاً لها، وقد تحولت الحياة فيها من الملكية الاستبدادية فصارت جمهورية أرستقراطية في غضون القرن السادس ق. م، حيث ثارت على الملكية في حوالى عام ٥٠٩ ق. م، وتخلصت من حكم

الملوك نهائياً ثم حدث بين روما وبقية المدن الرومانية المستقلة ذلك الصدام الذى كان لابد أن يحدث، و تمكنت روما في القرنين الرابع والثالث (قبل الميلاد)، من هزيمة المدن الإيطالية العظمى الأخرى في شبه الجزيرة وتمكنت في عام ٢٧٥ ق. م، من توحيد كل إيطاليا تحت حكمها، وذلك بعد حروب بين روما وبين القبائل الموجودة في هذه المدن، استمرت قرنين ونصف قرن تقريباً وانتهت بتغلب روما في النهاية فأصبحت بذلك أولى مدن إيطاليا وسيدة الموقف فيها على العموم.

ولم يكتف الرومان بتوحيد إيطاليا في الداخل، بل اتجهوا إلى الخارج و تمكنوا من السيطرة على صقلية وكورسيكا وساردينيا وإسبانيا وذلك في عام ٢٠١ ق.م، ثم وجهت جيوش روما اهتمامها ضد الممالك الهلينية حتى أخضعت اليونان وآسيا الصغرى وسوريا ومصر، وكل مالك البحر الأبيض المتوسط تحت سيطرتها، وبذلك بدأت روما – منذ سنة ٢٧ ق . م – تدخل عهدها الامبراطوري، القديمة الذي ابتلعت فيه كثيراً من أنحاء العالم القديم، وورثت كثيراً من الحضارات.[1]

كانت هذه السلسلة الطويلة من النجاح المتصل للجنس اللاتيني، بدءاً من نجاحه في السيطرة على المدن المستقلة الرومانية الأخرى وقهر الجنسيات الأخرى غير اللاتينية وانتهاء بنجاحه في تحقيق امبراطورية عظمى، تشمل معظم أنحاء العالم القديم في ذلك الوقت – كان هذا النجاح هو الذى جعل الرومان، الذين كانوا من أصل لاتيني يشتهرون باعتقادهم أنهم أعظم الأجناس البشرية وأنبلها وبأنهم خلقوا للسيادة والتحكم، وعلى ذلك فقد حاربوا غيرهم من القبائل والأجناس واستعبدوا من انتصروا عليه، وكانوا يطمعون في الثراء ويحبون المال فامتازوا بأعمال السلب والنهب والقسوة إلى حد كبير.

إن هذه النظرة الجنسية أو العنصرية الضيقة كانت هي المحرك الأيديولوجي للرومان قروناً طويلة في العصور القديمة بحسب الدكتور عبد الغني عبود.

[1] – عبد الغني عبود: دراسة مقارنة لتاريخ التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، 129–130.

أولا- خصائص المجتمع الروماني القديم

ساهم في تكوين شخصية الفرد الروماني في العصور القديمة بالأساس مجموعة من العوامل التي يجب تبيينها حتى تنكشف الغيوم عن تلك الشخصية الفريدة التي تصورها الأفلام في هوليود اليوم بشكل خا جدا قوامها ذلك الرجل القوي البنية الغليظ الذي يرتدي دائما بزة عسكرية ويحمل سيفا ودراعا ليغزوا بهما العالم:

1- عوامل أسرية متمثلة بالأساس بالسلطة المنزلية التي يتربى عليها الطفل الروماني مند الصغر وكأنه يتهيأ نفسيا لدور سيقوم به فيما بعد، أساساها الطاعة والخضوع والانقياد فهي تربية عسكرية منزلية. [1]

نعم لقد كانت الأسرة أعظم المؤسسات التعليمية في الحياة الرومانية المبكرة وكان أعظم أفرادها يقومون بتربية أبنائهم على الوطنية والقوة والشجاعة، ويذكر المؤرخون أن الأطفال والشباب تعلموا المهارات والاتجاهات المناسبة لحياتهم اللاحقة من الأنشطة الأسرية في المزرعة والمتجر والمعسكر[2].

2- كان للدين عند الرومان أثر كبير في الحياة الخاصة والعامة، وقد كانت المعتقدات الدينية الأولى للرومانيين شبيهة بمعتقدات الشعوب البدائية، ولكن الرومانيين كانوا يتميزون عنهم بتأكيد الروابط العائلية وتأكيد النظم الدينية العائلة.

كما كان الفكر الديني الروماني القديم شبيهاً بالفكر الديني اليوناني القديم، فكلاهما فكر ديني وثنى وقد أصبح هذا التشابه ملحوظاً بدرجة أكبر في القرن الثاني قبل الميلاد، حينما أصبح الأثر اليوناني قوياً فقد اتخذ الرومان كثيراً من آلهة اليونان، واتخذت مبانيهم ومعابدهم وتماثيلهم الطابع اليوناني[3].

---

[1]- عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، 86.

[2]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 132.

[3]- عبد الغني عبود: مرجع سابق، 132-133.

ولقد كان للدين دور وأثر يعزز دور الأسرة، حيث أن الروماني كان يعيش محاطا بالآلهة من كل جانب، ولقد تعاظم هذا الدور بشكل أكبر بعد تبني روما الديانة المسيحة وأصبحت هي من تحمل لواء التبشير بها والدعوة إليها.

3-الطابع الإلزامي والمقدس في تعليم القوانين مند الصغر: حيث كان الطفل الروماني يتعلم القراءة في قوانين الألواح الإثني عشر وعن طريقها كان يعتاد مند صغره على أن ينظر للقانون نظرة إلى شيء مقدس لا تنتهكه حرمة.[1]

4- الرومان ذو شخصية عملية قائمة على المنفعة: حيث كان كل شيء لديهم يهدف إلى غاية عملية والمنفعة عندهم فوق كل اعتبار آخر، وهمهم أن يكونوا جنودا ومواطنين مطيعين قادرين على التضحية

ثانيا- العوامل المؤثرة في التربية الرومانية القديمة

لقد كان لشكل التربية التي ظهرت داخل الإمبراطورية الرومانية عديد العوامل التي أثّرت في ظهورها وتبلورها يذكر الباحثون منها:

- وصول تأثير الفكر اليوناني إلى روما القديمة: وإلى ذلك مثلا يشير عبد الله عبد الدايم إلى أن التقاليد الرومانية القديمة المتصفة بالغلظة والشدة ونبذ الفكر المرهف لم تدم طويلا تحت تأثير وصول التيارات الفكرية اليونانية، فدخلت العناية بالآداب والفنون إلى روما حوالي نهاية القرن 3 ق.م وغيرت من التربية القاسية التي كانت سائدة في العصور الأولى وأخذ الرومان بدورهم بالكلام الجميل وشغفوا بالجدال المرهف وفتحت المدارس لديهم وحتى الآباء تركوا العناية بتربية أبنائهم وسلموهم للمربين كما كانت تقتضي عادات أثينا.[2]

ولقد كان وجود اليونانيين بين الرومان - سواء كمواطنين هاجروا إلى إيطاليا، أو كأسرى حرب في العهد الامبراطوري - أكبر حافز إلى الاهتمام بالتعليم، وكان أكثر المعلمين شهرة

[1] - عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 86.

[2] - نفس المرجع: ص 86.

هم اليونان الذين أتوا إلى روما أولا كأنداد سياسيين ثم كعبيد، ثم أصبحوا مواطنين رومانيين، بعد أن منحوا حق المواطنة.[1]

ثالثا– الخصائص العامة للتربية الرومانية عبر عصورها المختلفة

– لم ينظر الرومان أبدا إلى التربية كعمل حكومي تقوم به الحكومة ولم تكن هنالك مدارس عامة ولا أساتذة رسميون في زمن كوانتيلياك وهو ما أعطى للفعل التربوي حرية كبيرة ومن ذلك أنه كان لكل أستاذ منهجه الخا في عصر أوغسطس.[2]

– في البداية كانت المدارس خاصة ولم يكن الحضور فيها إجبارياً، ولم تتدخل الدولة في اختيار المعلمين أو تحديد المقررات الدراسية وفي عصر الإمبراطورية اهتمت الدولة بالاتفاق على التعليم والتحكم فيه ووحدت أجور المعلمين وسنت تشريعات تعفي المعلمين من الضرائب العامة والخدمة العسكرية. [3]

– تتميز التربية الرومانية القديمة خاصة بعد عصر أوغسطس بأن التربية أصبحت خطابية، هدفها تكوين خطباء يجيدون فن الخطابة وزخرفة الأسلوب، وأهم من مارس هذا الفن "كوانتيليان" وكان له كتاب في ذلك هو "المؤسسة الخطابية" وقد عقدت له الحكومة كرسي باسمه هو كرسي البلاغة[4]، وكتابه هذا قد كتبه في صورة رسالة في الخطابة أراد بها أن يعارض الأسلوب المتصنع الذي كان يلجأ إليه سينيكا "Senèque" وأن ينادي بالبساطة في الأسلوب إلا أنه في بعض مواضعه أشبه برسالة في التربية، ذلك أن المؤلف يبدأ بالحديث عن الخطيب المقبل منذ أن يكون في المهد، ويقدم النصائح إلى مرضعته، ولا يستحيي من أن يتدنى إلى التفصيلات الصغيرة، ويساير تربية تلميذه خطوة فخطوة.[5]

---

[1] – عبد الغني عبود: مرجع سابق، 144.

[2] – عبد الله عبد الدايم: مرجع سابق، 88.

[3] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 137.

[4] – عبد الله عبد الدايم: مرجع سابق، 89.

[5] – نفس المرجع، 89.

– انتشار أماكن التعليم: كان من نتائج توافد الأساتذة اليونان إلى روما والحاجة المتزايدة إلى إقامة مجتمع ثري ومرفه، أن أخذ التعليم يزداد اتساعاً، حتى إذا جاء القرن الأول بعد الميلاد رأينا الحياة الفكرية والثقافية الحقة تنبت في أرجاء الامبراطورية الرومانية، وتتخذ طابع الثقافة الموحدة، ورأينا الشبيبة يتبعون في أنحائها مثلاً أعلى واحداً، وان يكن هذا المثل الأعلى، صنعياً وبالياً، ألا وهو تكوين الخطيب القوي البارع.

– من أبرز ما يميز التربية الرومانية في عهودها الأخيرة أخذها بمبدأ التعليم الرسمي الحكومي فلقد أنشأ الأباطرة المتأخرون تعليماً رسمياً تشرف عليه الدولة وتحتكره، وتحرم في إطاره قيام التعليم الخا والمدارس الخاصة[1].

– كانت التربية الرومانية في مراحلها الأولى تدريبا عمليا على شؤون الحياة اليومية وبالتالي اشتملت على التدريبات البدنية والعسكرية والمهنية والمدنية والخلقية والدينية مما جعل الألعاب الرياضية كالمشي والجري والمصارعة والملاكمة حظيت باهتمام لا يقل عن التدريبات العسكرية، كما اشتملت التربية الرومانية أيضا التدريب على عادات النظافة والسلوك الخلقي الفاضل والتدريب على أعمال الزراعة والرعي ورعاية الحيوانات والتدريب الاجتماعي على العادات والتقاليد والمعتقدات والأساطير الرومانية.[2]

رابعا– أساليب التربية وطرق التعليم في الحضارة الرومانية

– الجمود والتقليد: وهو الطابع الذي يعزوه عبد الغني عبود إلى ذلك الجمود الذي طبعت به حياة الرومان بسبب نظرتهم الجنسية الضيقة، والتي حالت بينهم وبين (التكيف) السريع للفكر الجديد، فقد كانت صورة المثل الأعلى الراشد في روما، تعتمد على القيم السائدة في حياة الزراعة والجندية في البيئة الزراعية وكان هذا المثل يفرضه نظام التربية في الأسرة وطقوس عبادة الآلهة، سواء آلهة الأسرة، أو آلهة الدولة، كما كانت تشكله القوى الاجتماعية المألوفة والفضائل التي أعجب بها الرومان.[3]

[1]– عبد الله عبد الدايم: مرجع سابق، 101.

[2]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 130.

[3]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، 143.

فطريقة التقليد هي الطريقة الأساسية في التربية الرومانية القديمة، ولذلك شاع بين الرومان وخاصة داخل الأسر رواية القصص والأساطير التي تحكي مغامرات البطولات وذلك من أجل أن يتأثّر بها الصغار ويقومون بمحاكاة ما فيها من مآثر وتقليد هذه الشخصيات.

– الحفظ والاستظهار خاصة في تعلم القوانين الإثني عشر.

– استخدام العقاب كأسلوب في التربية

– التربية من خلال اللعب، حيث يذكر بعض الباحثين أن اللعب بأنشطة الكبار أحد الطرق التي يتم بها إعداد الصغار للدخول في عالم الكبار. [1]

خامسا– مراحل تطور التربية في الحضارة الرومانية القديمة

اختلف مؤرخو التربية في تقسيم التاريخ التعليمي لروما منذ تأسيس مدينة روما عام 753 ق.م إلى إغلاق المدارس الوثنية على يد الامبراطور جستانيان عام 529 م. فإيباي وأررد، يقسمان التاريخ التعليمي لروما إلى خمس فترات، الفترة الأولى تمتد من تأسيس روما عام 753 ق.م إلى عام 275 ق.م حيث كانت التربية الرومانية تربية إترسكية ولاتينية، والفترة الثانية تمتد من عام 275 ق.م إلى عام 132 ق.م وتلك هي فترة نمو الثقافة الرومانية وإنشاء المدارس العليا على أساس إغريقي والفترة الثالثة تمتد من عام 132 ق.م إلى عام 100 ميلادية وكانت هذه الفترة هي العصر الذهبي للأدب الروماني وتأسيس مدارس النحو اللاتيني والطب والقانون وتحول الدولة الرومانية إلى إمبراطورية رومانية، والفترة الرابعة تمتد من عام 100م إلى عام 275 م وهي مرحلة الإنفاق العام على التعليم والمرحلة الخامسة والأخيرة تمتد من عام 275م إلى 529م وهي مرحلة ظهور الملوك الطغاة والانحلال المدارس الوثنية على يد الإمبراطور جستانيان، ويقسم سعد مرسي أحمد ومحمد منير مرسي التاريخ التعليمي لروما إلى أربعة أقسام أو أربع مراحل المرحلة الأولى هي مرحلة الثقافة الوطنية والمرحلة الثانية هي مرحلة التحول أو الانتقال إلى المثل الإغريقية والمرحلة الثالثة مرحلة المعاهد والمؤسسات التعليمية والمرحلة الرابعة هي مرحلة انحلال الإمبراطورية الرومانية، وأما عبد المجيد عبد التواب شيخة فيقسم التاريخ التعليمي لروما إلى مرحلتين كبيرتين هما المرحلة الرومانية الخالصة وتمتد منذ تأسيس مدينة روما عام 750 ق م حتى ضم الولايات الإغريقية إلى روما عام 146

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 133..

ق.م والمرحلة الثانية هي المرحلة الرومانية الإغريقية وتمتد من عام 146 ق.م إلى إغلاق المدارس الوثنية على يد الإمبراطور جستانيان عام 529م.[1]

أما الدكتور عبد الغني عبود فيرى أن هناك عصوراً أربعة مرت بها بلاد الرومان في هذا التطور التاريخي وهي:

(أ) عصر التكوين الذي يمتد من القرن العاشر أو الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد وفيه ساد العنصر اللاتيني على غيره من العناصر أو الجنسيات التي كانت تسكن إيطاليا وأصبح لإيطاليا شخصيتها المتميزة كبلد موحد.

(ب) عصر الانتقال الذي يبدأ من القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وينتهي في القرن الأول قبل الميلاد وفيه استطاعت روما فرض سيطرتها على مستعمراتها بالخارج، وتكوين امبراطورية واسعة.

(ج) عصر الازدهار الذي يبدأ من القرن الأول قبل الميلاد وينتهي في القرن الثاني الميلادي، وفيه كانت الامبراطورية مسيطرة تماماً على مستعمراتها وكانت أحوالها مستقرة، وكان الأمن مستتباً فيها مما انعكس على ألوان النشاط المختلفة بها، وأدى إلى ازدهارها تماماً ويمكن اعتبار هذا العصر هو العصر الذهبي.

(د) عصر الانحلال الذي يبدأ من القرن الثالث الميلادي، حيث بدأ خطر المسيحية يشتد عليها، وينتهي بسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية، في القرن السادس الميلادي وانهيار حضارتها، وبقيت الامبراطورية الرومانية الشرقية ذات الطابع الشرقي حاملة شعلة الحضارة ردحاً من الزمن حتى تلاشت تلك الحضارة بالتدريج. [2]

المرحلة الأولى: التربية في عصر التكوين أو المرحلة الرومانية الخالصة

وهي المرحلة التي يسميها سعد مرسي أحمد بمرحلة عصر المواطنين وهي المرحلة التي كانت تتميز بالخصائص التالية:

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 128.

[2]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، 137.

1- خصائص التربية في عصر التكوين

- الطابع القبلي لبنية المجتمع الروماني: كانت إيطاليا تضم جنسيات متعددة وكان أبناؤها يعيشون حياة قبلية، لا تجمع بينهم وحدة وطنية ولا يطبعهم طابع قومي عام، وإنما يسود كل جزء من أجزائها تلك النظرة التي أتى بها المهاجرون إليه.

- تفشي الأمية بين أفراد الإمبراطورية الرومانية: كانت حضارة أبناء إيطاليا في هذه الفترة المبكرة محدودة أيضاً، ومن المرجح أن القراءة والكتابة لم تكونا معروفتين في إيطاليا القديمة، حتى القرن العاشر قبل الميلاد أي إلى حين دخول اليونانيين بحسب بعض الباحثين[1]، ويشير سعد مرسي إلى هذا بقوله إن التربية في هذا العصر عند الرومان لم تختلف عن تربية أطفال الأقوام التي لم تعرف الكتابة والقراءة.[2]

- الأسرة هي الوحدة الأساسية في التربية الرومانية القديمة: ظل المنزل في روما لعدة قرون، قبل تأسيسها سنة ٧٥٣ ق. م، هو المؤسسة الوحيدة المتصلة مباشر بتربية الصغار، وكانت كل أم رومانية قديمة تعتنى بأبنائها بنفسها وكان الطفل يتعلم على يد أمه أولا، ثم على يد أبيه تلك الصفات الأسرية والاجتماعية كالاقتصاد وضبط النفس واحترام النفس والتقوى والشجاعة والولاء للدولة

- نقل القيم التربوية يتم عبر التقليد والمحاكاة أو منهج الخبرة الشخصية: حيث كان الطفل الروماني يصبح المرافق الأساسي لأبيه، الذى كان يأخذه إلى مكان عمله في الزراعة، وميدان تدريبه العسكري وعلى ذلك كان الغلام الروماني يدرب في مدرسة الحياة، ليتحمل المسئوليات التي ستلقى عليه فعلا بعد ذلك كان الرومان على وجه العموم، يقدرون التعليم عن طريق الخبرة الشخصية في الحياة ويعتبرونه أفضل وأنفع من التعليم المدرسي[3] ويبين مرسي هذه الخاصية بقوله كان الأطفال الرومان يتعلمون عن طريق الاحتكاك المباشر بمناشط الحياة الاجتماعية وأنه لم تكن هنالك مدارس، وإنما كانت روما كلها مدرسة كبيرة تعلم الأحداث فيها الحياة بالحياة ذاتها، فكانت الحياة هي التربية والتربية هي الحياة.

---

[1] - عبد الغني عبود: مرجع سابق، 139.

[2] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 177.

[3] - عبد الغني عبود: مرجع سابق، 139.

– تميزت التربية أيضا في هذه الفترة بغلبة الطابع الديني الذي أثر على تربية الأفراد فنشأوا وعاشوا في فضائل وعادات خلقية سليمة. [1]

2– اهداف التربية الرومانية في عصر التكوين

استهدفت التربية الرومانية الخالصة أو التربية في عصر التكوين إخضاع الفرد للدولة وخلق أمة من المحاربين الأشداء ذوي الاحساس القوي بالواجب والمسؤولية ويقول وايلدز (Wilds): "كان هدف التربية الرومانية المبكرة تدريب الرجال ليكونوا نشطين وأكفاء في الحياة اليومية، ومنتصرين في الحروب وحكماء في السياسة، ومحترمين للآلهة، ويقول براوننج Browning 1914: "كان هدف التربية الإغريقية تنمية الحياة الداخلية للإنسان إلى أقصى درجة ممكنة، وتقول فتحية حسن سليمان: لقد كان الرومان قوماً عمليين وواقعيين بعيدين عن الخيال والفلسفة، وامتازوا بتفضيلهم العمل على القول، وقدروا الأشياء حسب قيمتها النفعية.

3– محتويات التربية في عصر التكوين

كان محتوى التربية الرومانية في هذا العصر عملياً وخلقياً، حيث تعلم الأطفال طبيعة العمل والحياة في المجتمع وحقوق المواطنة وواجباتها والعادات والتقاليد والمثل العليا المرعية من خلال الأغاني لانتفاء وجود الكتب في البداية التي يتعلم منها الأطفال، يقول وايلدز Wilds استظهر الأطفال وغنوا المواويل الأسطورية التي تعظم السمات التي أعزها الرومان، والأغاني الدينية والقوانين الإثني عشر، فلقد حددت تلك القوانين العلاقات العامة والخاصة، والحقوق الإنسانية في ظل السيادة الرومانية وحقوق الملكية، والواجبات المختلفة ومن أشهر تلك الواجبات واجبات الأبناء نحو الآباء، وواجبات الزوجات نحو الأزواج، وواجبات العبيد نحو الأسياد واجبات الإنسان نحو أخيه الإنسان في الوفاء بالنقود والمعاملات المختلفة.

– ولقد تلقى الشباب الروماني تدريبات بدنية وعسكرية، وكان الهدف من التدريبات البدنية تقوية الأجسام استعداداً للحرب.

– ولقد تعلم الأولاد الأعمال المهنية المناسبة لمكاناتهم الاجتماعية من ملاحظة آبائهم وأبناء[2]

– وتلقت البنات تدريبهن في البيت على أداء الأعمال المنزلية من طهي وغزل وصناعة ملابس، فضلاً عن الواجبات الخلقية والوطنية.

---

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 177.

[2] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 131.

– لم يكن للقراءة والكتابة مكان في المحتوى التعليمي إلا بعد الاتصال بالإغريق.

المرحلة الثانية: التربية في عصر الانتقال أو عصر فترة التحول (210م – 55 ق.م)

1– خصائص التربية في عصر الانتقال

وهو العصر الذي قامت فيه روما بدور الناقل للثقافة، فعن طريقها وصلت فنون وعلوم وديانات اليونان والشرق إلى كل أنحاء أوربا وخاصة الجزء الشمالي والغربي منها، وبهذا النقل الحضاري من مجتمع إلى المجتمعات التي ضمتها الامبراطورية الرومانية تم (التفاعل) الفكري والحضاري بين الحضارات القديمة لأول مرة في ذلك التاريخ القديم وبدأ وصول تلك الحضارة إلى مناطق كثيرة.

وقد ظهر هذا التأثر مع بدايات حصر التوسع الخارجي، فقد اهتم الاسكندر الأكبر بنشر المعرفة اليونانية بين حضارات حوض البحر المتوسط، فعمت الحضارة اليونانية تلك المنطقة، وامتدت شرقاً في آسيا حتى وصلت إلى الهند، وامتزجت الحضارة اليونانية بحضارات الشرق وأصبحت اللغة اليونانية شائعة في هذه البلاد، وقد احتفظت أثينا بفعل هذا العمل بمكانتها كمقر للثقافة العالمية حتّى بعد أن فقدت اليونان مكانتها السياسية وأصبحت جزءاً من الامبراطورية الرومانية.[1]

وأهم ما يميز هذه الفترة دخول مدارس الخطابة والنحو اليونانية الى روما، وأصبح هدف التربية هو إعداد الخطباء والفصحاء الكاملين، وقد كان الأثر اليوناني ملحوظاً أولا في النواحي الدينية وإلى حد ما في القانون، وقد وصف الشاعر الروماني «هوراس» هذه الفترة: «لقد أصبحت روما المنتصرة أسيرة لليونان، كيف لا وقد تغلغلت الثقافة اليونانية في ربوع روما»[2]

ويذكر المؤرخ توينبي أنه "وبعد استيلاء رومية على بلاد اليونان زاد الامتزاج بين اليونانيين والرومانيين وبخاصة بعد أخذ ألف يوناني رهينة، وكان هؤلاء علماء وأعياناً في بلادهم، واستطاع الرومان الاطلاع على الآداب والعلوم اليونانية وحاولوا تقليدها.

واستطاع إغريقيون آخرون فتح مدارس خاصة في روما لتعليم اللغة والأدب الإغريقي، وفي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أصبحت الثقافة الإغريقية مكوناً أساسياً في تربية

[1]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص 141.

[2]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص111.

الرومان، وفيما بعد سافر الشباب الروماني إلى المراكز الثقافية في أثينا لدراسة الفلسفة والبلاغة، وأصبح من العادات الراسخة أن يكمل أبناء الأغنياء تعليمهم العالي في بلاد الإغريق والتأكيد على ضرورة دراسة الرومان للتاريخ والفلسفة والقانون باعتبارها مقومات أساسية لتحقيق المثل العليا الرومانية" وفي القرن الأخير من عصر الجمهورية امتزج الأدب الإغريقي بالأدب اللاتيني وأصبحت الثقافة ثقافة رومانية إغريقية – إغريقية المحتوى ورمانية التنظيم ولم تختلف الثقافة والتربية في العصر الامبراطوري عنها في العصر الجمهوري.[1]

2- محتوى التربية في عصر الانتقال

في التعليم الابتدائي تمثلت محتويات التربية في القراءة والكتابة والحساب واستخدمت القوانين الاثنا عشر مادة لتعليم القراءة والكتابة، وفي المرحلة الثانوية كان النحو المادة الأساسية وكان النحو دراسة للأدب واللغة والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، وكانت الخطابة والبلاغة والمناظرة الدراسات الأساسية في التعليم العالي، وفيما بعد زاد الاهتمام بالإعداد المهني في القانون والفلسفة والطب والعمارة والميكانيكا.[2]

ولقد أهملت التربية الرياضية في عصر الانتقال وإلى ذلك يشير سعد مرسي بقوله إن ثمة ظاهرة واضحة في عصر الانتقال وهي إهمال التربية الرياضية في المدارس، بل إن كونتيليان قال إن الرقص لا يجب أن يدرس للأطفال، ولا يجب أن يختلط مدرسو التربية البدنية بالتلاميذ. [3]

3- طرق التدريس في هذه المرحلة

استمر الاعتماد الشديد على طرق وأساليب الفترة السابقة بالاهتمام بالحفظ والاستظهار وتقليد الكبار في تعليم الحروف الهجائية والنحو والبلاغة، وأضيف العقاب البدني، كما استمر تعلم المحاماة بالتلمذة المهنية في ساحة المحاكم[4]وكانت اللغة اليونانية هي اللغة المعتمدة في التعليم.

4- مدارس اللغة والخطابة:

---

[1]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 134.

[2]- نفس المرجع، 136.

[3]- سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 183..

[4]- نفس المرجع، 179.

ويذكر بول مونرو أن مدارس اللغة كانت على نوعين: مدارس لتعليم اللغة اليونانية ومدارس لتعليم اللغة اللاتينية، وكان أهم عمل في هذه المدارس دراسة علم اللغة، وكان علم اللغة يشتمل على دراسة العناصر وكان يطلق على المدرس (فيبا) اسم الأديب أو اللغوي، وقد غلب على هذه المدارس الاتجاه العملي للعقلية الرومانية والنزعة القانونية والطبيعة المنظمة، أما مدارس الخطابة فكانت تشبه مدارس السفسطائيين أو مدارس البيان الإغريقية، فهي تعد الفرد للحياة المباشرة في روما، حيث أن الرومان وجدوا في فن الخطابة تطبيقاً عملياً لكل مظهر من مظاهر الثقافة الراقية، وكان الخطباء يقومون بالوظائف التي يقوم بها الآن الخطباء والمحامون ورجال الجامعة.

5- مراحل التعليم في عصر الانتقال

يتفق المؤرخون على أن الأولاد والبنات كانوا يذهبون إلى المدرسة في سن السادسة أو السابعة لتعلم القراءة والكتابة والحساب وفي سن الثانية عشرة يدرسون النحو الإغريقي واللاتيني، وفي السادسة عشرة يدرسون البلاغة والخطابة والقانون الروماني والفلسفة.[1]

ويبين الدكتور عبد الغني عبود أن هذه المراحل التعليمية كانت تتم عبر التنظيم والسلم التالي:

- المدرسة الابتدائية أو الأولية Ludus، التي أنشئت كبديل لنظام البيداجوج، الذي كان شائعاً عند اليونانيين، وكان البيداجوج- (المدرس) يشرف فيه على تعليم القراءة والكتابة، تعليم الأخلاق وقد ظهرت هذه المدرسة عندما دعت الحياة في المجتمع الروماني إلى تعليم الشعب القراءة والكتابة، ومن ثم اختلفت كل الاختلاف عن المدرسة الأولية اليونانية التي كان همها تكوين الجسم والعقل والروح، تكويناً متزناً.

وكانت مدة الدراسة بهذه المدرسة خمس سنوات، تمتد من السابعة إلى الثانية عشرة، وكان الطفل يتعلم فيها إلى جانب القراءة والكتابة الحساب والقوانين الاثنا عشر والأخلاق.

- المدرسة الثانوية أو مدرسة اللغة أو النحو Grammar School وقد أنشئت لتعليم اللغة والأدب الإغريقيين، وقد أنشئت على يد مدرسين يونانيين ثم حل محلهم مدرسون رومان، وأضيفت إلى اللغة اليونانية اللغة اللاتينية والأدب اللاتيني بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا،

[1]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 134.

وبعض العلوم الثقافية الأخرى، وكانت مدة الدراسة بهذه المدرسة أربع سنوات، تستمر من الثانية عشرة إلى السادسة عشرة.

– المدرسة العالية أو مدرسة البلاغة Rhetorical School وكانت وظيفتها إعداد الخطباء، وكانت الدراسة فيها تمر بمراحل ثلاث هي: الدراسة التمهيدية لفن الخطابة، وأنواع الخطب، والتدريب العملي على إلقائها – باستخدام المنطق والحجج والبراهين المقنعة حسب غرض كل خطة.

وكانت المدرسة العالية، هي نهاية نظام التعليم الروماني في هذه المرحلة، إلاّ أن القادرين كانوا يرسلون بأبنائهم إلى بعض البلاد، ذات الجامعات العريقة، كمصر وأثينا ورودس، ليتلقوا دراسات عليا في الفلسفة والخطابة.[1]

المرحلة الثالثة: التربية في عصر الازدهار أو العصر الإمبراطوري

ويعرف هذا العصر بعصر التربية الرومانية الهيلينية يمتد هذا العصر زهاء ثلاثة قرون، قرن منها قبل الميلاد وقرنان بعده، وقد كان الاقبال على الثقافة اليونانية في هذا العصر كبيراً، وفيه سادت المدنية الاغريقية وعمت مبادئها ايطاليا والعالم القديم.

وأهم ما يميز هذا العصر هو الازدهار واستتاب الأمن بعد اكتمال بسط الإمبراطورية سلطانها على أغلب المناطق، وهو الاستقرار والازدهار العام الذي انعكس على المدارس ونظام التعليم فانتشرت في كل مكان في الامبراطورية الرومانية، وتنوعت الدراسة في المدارس العالية، وأدركت الدولة أهمية التعليم فتدخلت بصورة أوسع في نظام التعليم وبدأ هذا التدخل في صورة «رعاية وحماية عدد من الأباطرة والسلطات البلدية للمعلمين ونتيجة لذلك حدث تقدم عظيم في نشر التعليم في كل المستويات في القرن الثاني بعد الميلاد في كل أنحاء الإمبراطورية.

– كذلك بدأت الكنيسة تتدخل في هذا العهد في مجال التعليم، وكان إنشاؤها للمدارس أول الأمر بهدف توفير نوع من التعليم لمن سيعملون بالخدمة الدينية فيها فما بعد، ثم تطور هذا التدخل الكنسي إلى إنشاء مدارس الحوار الديني لتدريب القساوسة تدريباً أكثر دقة للخدمة الدينية بوجه عام.

[1] – عبد الغني عبود: مرجع سابق، 145..

وكانت الكنائس تدير هذه المدارس بنفسها وكانت هذه المدارس هي أساس المدارس الكاتدرائية التي انتشرت في الغرب في العصور الوسطى بشكل واسع وبالإضافة إلى هذه المدارس، وضع في هذا العصر أساس (مدارس الرهبنة) التي انتشرت في العصر التالي بشكل واسع.[1]

ولقد كان هذا التحول إلى الثقافة النصرانية ضرورياً لإكمال الثقافة الرومانية الإغريقية المعنية بالحياة الدنيا بعناصر الثقافة النصرانية المعنية بالحياة الأخرى، وبالتالي ظلت الثقافة الإغريقية مكوناً أساسياً في منهاج التربية الرومانية على امتداد تاريخ الامبراطورية.[2]

ويبين لنا الدكتور سعد مرسي جملة من الخصائص التي ميزت التربية الرومانية في هذا العصر بما يلي:

– أصبحت أشكال المدارس في هذا العهد ثابتة ووطيدة الأركان.

– استمر أثر التربية الأسرية في تربية الطفل الروماني لتشكل خاصية ملازمة للتربية في الثقافة الرومانية على الرغم من اقتصارها في هذا العصر على الناحية الأخلاقية

– أهم ما يميز هذه الفترة هو الزيادة الكبيرة والانتشار الواسع للمدارس التربوية

– بقاء الطابع الشكلي والسطحي على الأساليب التربوية والتعليمية.

– ظل ارتباط التربية بحاجات المجتمع مستمرا في هذا العصر على غيره من العصور التاريخية للإمبراطورية الرومانية

– ما يميز هذا العصر أيضا هو أنه نمت الروح الوطنية ونما الأدب اللاتيني مع مناهضة للآداب الإغريقية

– شهد أواخر هذا العصر ازدياد الاهتمام بالنواحي الشكلية والمظهرية وتحولت الموضوعات التي يكتب فيه الطلبة إلى أمور لا ترتبط بالمجتمع وظروفه وحاجاته، كما تسرب الإهمال إلى التربية الخلقية. [3]

---

[1]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص 151.

[2]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 134.

[3]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 184.

2- مراحل التعليم في عصر الازدهار

ذكر بعض الباحثين أن التعليم في عصر الازدهار كان على النحو التالي:

1 – التعليم الاولي من سن 12 سنة وكان المنهاج يشتمل على القراءة والكتابة والحساب.

2- التعليم الثانوي من سن 12 إلى 16 سنة، وكانت تسمى مدارس النحو واشتمل المنهج على الصرف والنحو والأدبيات.

3 – التعليم العلمي من سن 16 18 سنة وكانت تسمى مدارس الخطابة واشتمل المنهج على النحو والخطابة والجدل والحقوق.

4 – التعليم العالي «الجامعي» من سن 20 – 25 سنة، وقد اشتمل المنهج على الحقوق والطب وفن البناء والرياضيات والخطابة والنحو.[1]

المرحلة الرابعة: مرحلة الانحلال أو عصر اضمحلال الامبراطورية الرومانية

لقد ظهرت مجموعة من العوامل خلال تاريخ الإمبراطورية الرومانية أدت الى انحلال الحضارة والثقافة والامبراطورية الرومانية ومن هذه العوامل:

1- استبداد الحكومة الملكية وما نتج عن ذلك الفساد والانحلال واستنزاف ثروات الشعب

2 – فساد طبقة الموظفين الى أبعد مدى، وتحديهم لسلطة الامبراطورية بشكل علني.

3- فساد طبقة القضاة وانتشار الرشوة

4- الضرائب الباهظة التي فرضت على الشعب الروماني من قبل موظفي الضرائب حتى وصلت الى ثلاثة امثال ما كانت عليه.

5 – ازدياد اعداد افراد الطبقة الارستقراطية الفاسدة، وتقلص اعداد افراد الطبقة الوسطى، وقل عدد المزارعين

6 – فساد الاخلاق والانغماس في الملذات.

7- تشويه الدين المسيحي من طرف رجال الكنيسة وظهور الرهبانية التي أعاقت الفكر.

أثّرت هذه العوامل وما انعكس عليها من آثار على وضع التربية، حيث لم تعد التربية عامة لجميع طبقات المجتمع بل أصبحت مقصورة على الطبقة العليا (الارستقراطية» المستولية على زمام الامور، وقد انصب اهتمام التربية نتيجة ما سبق من عوامل على الثقافة الظاهرية

[1]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، 112.

الادعائية واختفى عنصر الابداع والابتكار، وأصبح الاهتمام منصباً على اتقان الناحية الشكلية اتقاناً مصطنعاً.

أما الأدب فقد غلب عليه الطابع التقليدي، وخضعت الأفكار لمجرد تنميق الشكل أو الصورة ولم يكن هناك أثر للابتكار في الأسلوب أو الأفكار واختفت دراسة الفلسفة من المدارس كما قل الإقبال على دراسة القانون. [1]

وعموما يلخص الدكتور سعد مرسي أبرز خصائص التربية في عصر الانحلال في النقاط التالية:

– غلبة وطغيان النواحي الشكلية على التربية، ومن ذلك مثلا يشير سعد مرسي إلى أن البيان والبلاغة أصبحت أهدافا لا وسائل لتحقيق أهداف سامية أو عملية، وطغى المظهر على المضمون واهتم المدرسون بتحفيظ القواعد اللغوية والإمعان في التعقيد.

– خفت تدافع الجماهير الرومانية على مدارس التعليم وخاصة مدارس الخطابة بسب الطغيان والتسلط العسكري أو قل الاستبداد العسكري الذي ميّز الأباطرة والقياصرة الرومان في أواخر عهود الإمبراطورية

– أصبح التعليم لدى الكثير من طوائف الشعب من أجل ملأ الفراغ ومن أجل المباهاة.

– تخلت الأسرة عن التربية الأخلاقية لصالح المدرسة واتهم المدرسون بالانحلال الخلقي

– اقتصر تعلم الأخلاق على حفظ الحكم والمواعظ وكتابة موضوعات إنشائية عن الخلاق.

– ويشير سعد مرسي إلى أن المدارس الابتدائية اختفت في هذا المرحلة من تاريخ التربية الرومانية ويرجع ذلك إلى احتمالية أن الطبقة الشعبية التي كانت تلج هذه المدارس أصبحت في حالة من البؤس والاستغلال والذل لا تسمح بي فر التعليم

– كان التعليم وكل المدارس تحت سيطرة الدولة ولم تعد هنالك مدارس خارج إدارة الدولة، تنظيما وإشرافا وتعيينا للمدرسين. [2]

[1]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، 113.

[2]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، 185.

خلاصة التجربة الرومانية التربوية

بالرغم من تأثير الثقافة اليونانية في المجتمع والحضارة الرومانية إلاّ أنه من النادر وجود عقل علمي مفكر كالذي كان موجودا في اليونان كأفلاطون وأرسطو خاصة ما تعلق بالعقول الفلسفية أو المنشغلة بالفكر " ذلك أن الرومان لم يتذوقوا في يوم من الأيام العلوم المنزهة عن الغاية والأبحاث التأملية الخالصة، ولم يتفوقوا إلاّ في مجال العلوم العملية، كالقانون أما بقية المعارف التي تستند إلى مبادئ فلسفية وإلى معارف الطبيعة البشرية، لم تكن تهز الرومان ولا تثيرهم"[1]

وعن شيشرون مثلا الذي يعتبر أعظم مفكر روماني، يعلق عبد الله عبد الدايم عن مساهمته في الفكر التربوي، ولئن كان خطيبنا الشهير يصيح "أية خدمة نقدمها للجمهور اليوم أحسن وأجل من تعليم الشبيبة وتكوينهم" فإنه يكتفي في سبيل هذه الغاية الكبرى بخطب فلسفية جميلة فيها من فصاحة القول والتشدق باللفظ أكثر مما فيها من الجدة والابتكار.[2]

إن التربية الرومانية في الجملة كانت دون التربية اليونانية بكثير، وكانت تربية نفعية خالصة وواقعية، تهدف إلى دمج الفرد بمجتمعه وإلى تكوينه كمواطن ويسودها الإخلا لعادات الأجداد وتقاليدهم. [3]

[1]– عبد الله عبد الدايم: مرجع سابق، 88.

[2]– نفس المرجع، 88.

[3]– نفس المرجع، 100.

المحور الخامس

التربية في ظل الحضارة العربية الإسلامية

التربية عند العرب قبل الإسلام

إن الحديث عن التربية عند العرب قبل ظهور الإسلام يقودنا إلى تمييز نمطين من التربية، الأول ذلك الذي كان يحدث داخل المجتمعات البدوية والآخر داخل المجتمعات الحضرية:

1- عند عرب البدو: إن طبيعة الحياة البدوية القائمة على الترحال وعدم الاستقرار جعلت التربية في خدمة هذا النمط من العيش سواء في أغراضها أو أساليبها، وكان للعائلة الدور الأساسي في تربية الناشئة، فكان الغلام يتمرن على أعمال آبائه ليسلك طريقهم في كسب العيش وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن، وينشأ على قيم ومفاهيم خلقية تشكل بمجملها دوافعه للسلوك والنشاط، وتخدم وحدة القبيلة وتضامنها واستمراريتها في ظل الظروف القاسية والحياة الصعبة.

وكان تعلم أساليب الصيد والقتال والنزال وركوب الخيل وإعداد آلات الحروب جزءا من تدريبه اليومي المعتاد، إضافة إلى تعلم بعض المبادئ العملية على الأفلاك والنجوم لتساعده في التعرف على طرق البادية والسير فيها ليلا ونهارا، والطفل البدوي كان يحاكي أباه في أقواله وأفعاله وعاداته وتقاليده ويسير في الطريق التي سار فيها أبوه ليكسب معيشته ويلبس كما يلبس، ويعيش في خيام كما يعيش، ويميل إلى الحياة الحرة والخلاء ويتمرن على الحراسة ليلا وصد الأعداء وقتل الوحوش التي تقترب من مساكنهم.

أما الفتاة فكانت تتدرب على دورها في تقليد أمها ومساعدتها في أعمالها في حياكة وغزل الصوف ودبغ الجلود وطحن الحبوب وإعداد الطبخ

ويمكن القول بأن جل ما يتعلمه الناشئة إنما كانوا يتعلمونه في ظل القبيلة ولخدمتها وبتقليد الكبار وتحت رعايتهم، أما تعلم اللغة والشعر فكان يتم تعليمها عن طريق الاستماع إلى الشعراء الذين يتبارزون في الأسواق، فتحفظ الناشئة عيون قصائدهم وتتعلم فرض الشعر بمحاكاتها.

كانت التربية عملية مشتركة في المجتمع يقوم بها عدة أفراد ومن مواقع مختلفة، فالأب والأم والجد والجدة والأعمام والأخوال والإخوة الكبار يشاركون في تأديب الأطفال والغلمان والشباب من أبناء القبيلة والعشيرة وكان الشبان يتأثرون بعادات آبائهم وأبناء عشيرتهم ويحاكونهم في تصرفاتهم وأعمالهم ويجعلونهم قدوة لهم، يقلدونهم ويقتدون بهم، حتى يصيروا مثلهم بالمحاكاة والتقليد

2- عند عرب الحضر: إن حياة الحضر التي كان يعيشها العرب سمحت لهم بأن يتعلموا أنواعا من المعارف والمهن، وأن يهتموا بتدوينها وتعليمها كما اشتغلوا بالهندسة والرسم وفن البناء والحساب والطب والزراعة والآداب، ويذكر بعض الباحثين أن العرب عرفوا مستويين من التعليم على الأقل، التعليم الابتدائي والتعليم العالي، وكان لكل من هذين النوعين مؤسساته ومعاهده الخاصة به، وكان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة، كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ

والحقيقة التي يجب ذكرها هو أن العرب جميعهم بدوهم وحضرهم عرفوا في الواقع الكتاتيب ودور العلم قبل الإسلام (وأن الكتابة العربية كانت في الجزيرة العربية ومشارف الشام قبل البعثة النبوية) [1]

التربية في ظل الحضارة الإسلامية الزاهية
(من دولة المدينة المنورة إلى 1492م)

لقد اجتمعت عوامل كثيرة ساهمت بشكل كبير في تبلور الفكر التربوي الإسلامي وفي تطوره من ناحية أخرى، نجد آثارها مبثوثة في ذلك الرصيد العظيم الذي خلفه مفكرو الإسلام خلال حقب مختلفة من هذه الحضارة وإن كانت تتفاوت درجات ذلك الأثر من مرحلة إلى أخرى بحسب الوضع الذي كانت تمر به هذه الحضارة، فعوامل كالسعي وراء نشر الدين الجديد، وإقامة المجتمع المسلم، وخصائص هذا الدين من خلال مصادره غير الوضعية، والبيئة الاجتماعية التي انطلق منها والتي سبقت الإشارة إلى بعض خصائصها في العنصر السابق كلها كانت عوامل ساهمت في بلورة الفكر التربوي الإسلامي.

أو- خصائص التربية الإسلامية:

إن أهم ما يمكن أن نميز به التربية الإسلامية على غيرها من صنوف التربية التي ظهرت خلال الحقب التاريخية هو المصادر التي تنطلق منها هذه التربية والتي جعلتها دون تلك الأشكال جميعا، وتختلف عليها في المبادئ والأهداف:

1- الربانية: والمقصود بها أن أحكامها وتوجيهاتها مصدرها الأصلي هو الوحي من عند الله.

[1]- أبوطالب محمد سعيد ورشراش أنيس عبد الخالق: علم التربية العام، مرجع سابق، 75-76

2- الشمول والتكامل: أي أنها شاملة لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته ومعاده ومتكاملة بين ما هو فطري ومكتسب ومستوعبة للزمان والمكان ولا تفصل بين الدين والدنيا وتخاطب البشر جميعا وتحاول التوفيق بين مطالب الروح والجسد وصالحة لكل زمان ومكان.

3- التوازن: فهي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر، بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فعندما أمر الله تعالى بالأخلاق الفاضلة حذر الإنسان من الرذائل، وشرع له الطرق والسبل لإقامة ذلك التوازن، فأباح له مثلا الزواج وتعدد الزوجات إلى أربع، وحذره من رذيلة الزنا، ووضع لها حده في الشرع.

4- الثبات والمرونة: في التوجيه الإسلامي ثوابت لا يمكن تغيرها أو تبديلها أو حذفها وهي القواعد الكلية والمبادئ العامة والأحكام الجزئية التي ورد فيها نص، فإنها لا تتغير ولا تتبدل، كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد المظالم إلى أهلها، وحرمة السرقة والغش، والربا وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه، فإن هذا كله لا يدخله التغيير أو التبديل.

ولكن المرونة تظهر في القدرة على وضع الحلول التي تطرأ في حياة الناس" والسر في مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان، أن الإسلام جاء بقواعد كلية وقيم ومبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ثم وجه العلماء للنظر والاجتهاد في المسائل والحوادث الجزئية التي تستجد في إطار هذه القواعد والمبادئ.

5- الواقعية: واقعية التوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة للأعيان من خلال الحقائق الموضوعية، المتوافقة مع الفطرة البشرية، ومع القدرات الإنسانية، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولامع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان.

ففي دائرة الأخلاق مثلا تجد أن الإنسان يحب من يتصف بالمواصفات الأخلاقية الفاضلة، فتراه يحب الأمين الصادق العفيف الورع الخلوق، وينبذ الإنسان البذيء المنافق، النمام، والتوجيه الإسلامي في هذه الدائرة الخلقية؛ وفي جميع شعب الحياة، يوجه الإنسان إلى السمو الأخلاقي الواقعي الذي يطمح إليه ويرغبه الإنسان بفطرته السليمة، فالإنسان في واقعه يحب العدل والأمانة والإسلام يأمر بذلك [2]

ثانيا- الأهداف العامة لفلسفة التربية الإسلامية:

[2]- خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2000، 45-54.

تتمثل الأهداف العامة التي ترمي إليها الفلسفة التربوية الإسلامية فيما يلي:

1- إحسان علاقة المرء بربه ودينه.

2- توعية المرء برسالته نحو الكون والحياة من حوله بما في ذلك الدعوة إلى العلم والإبداع والكشف عما في الطبيعة من توازن وكشف أسرارها والاستفادة منها.

3- إعداد الإنسان لأداء واجبه نحو نفسه.

4- تهيئة الإنسان للنهوض بواجبه إزاء أسرته ومجتمعه المحلي.

5- إحكام علاقة الإنسان بمجتمعه الإسلامي

6- توثيق علاقة الإنسان بعصره.

7- تقوية علاقة الإنسان بالبشرية كلها، فالرسالة الإسلامية رسالة عالمية موجودة للبشرية كلها ومن ثم فعلى المرء المسلم أن يستهدف دائما الكشف عن روحة متسقة مع الروح الإنسانية الشاملة.

8- ترسيخ علاقة الإنسان بالآخرة وجعله واعيا بأن الدنيا ما هي إلاّ دار عمل وسعي وعبادة وفناء أما الآخرة فهي دار البقاء وهي امتداد للخلود البشري الذي لا يفنى ولا يتبدد بالموت وهي عنوان العدالة الإلهية في أحكم أوضاعها حيث هي دار الثواب والعقاب. [3]

ثالثا- التطبيقات التربوية للفلسفة الإسلامية:

1- المنهج الدراسي في الفلسفة الإسلامية: للمنهج الدراسي في الفلسفة الإسلامية خصائص تميزه على باقي المناهج الدراسية للفلسفات التي توصف بالوضعية، نذكر منها:

1- غلبة الغرض الديني والخلقي واصطباغ محتوى المنهج الدراسي بالصبغة الدينية، فكل ما يمارس وما يدرس في إطارها يتم في إطار الدين، والأخلاق وفي ضوء الكتاب والسنة والسلف الصالح.

2- اتساع اهتماماته وشمول محتوياته، حيث يهتم بتنمية وتوجيه كافة جوانب شخصية المتعلم، الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية والروحية.

3- يرتبط المنهج الدراسي في التربية الإسلامية باستعدادات المتعلمين وميولهم وقدراتهم وحاجاتهم والفروق الفردية بينهم وارتباطه بالبيئة الثقافية والاجتماعية التي يطبق فيها وبحاجات المجتمع الإسلامي ومشكلاته المتطورة وتغيره وتجدده حسب مقتضيات الحياة المتطورة والمتغيرة والمتجددة باستمرار وترابط مقرراته وتدرجها المنطقي المتمشي مع النمو المستمر للمتعلم.

---

[3] - مصطفى النشار: في فلسفة التعليم، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2009، 86-87.

4- خاصية التوازن النسبي بين محتويات المنهج من العلوم والفنون أو المقررات والخبرات وأوجه النشاط التعليمية المختلفة. فالمنهج في التربية الإسلامية كما يمتاز بشمول اهتماماته ومحتوياته فإنه يمتاز أيضا بتوازنه النسي بين هذه الاهتمامات والمحتويات، مما يجعله يهتم بتحقيق النمو الشامل والمتكامل والمتوازن لكل من الفرد والمجتمع، ويهتم بجميع العلوم والفنون والأنشطة التربوية النافعة في شيء من التوازن المعقول الذي يحفظ لكل علم وكل فن وكل نشاط ما يستحقه من الاهتمام والرعاية، وذلك بقدر ما يعود من ورائه من نفع على الفرد وعلى المجتمع.

5- خاصية الاهتمام بالفنون الجميلة، والنشاط الرياضي البدني، والتدريب العسكري، والعلوم التقنية والتدريب المهني، واللغات الأجنبية، ولو على أساس فردي وبالنسبة لمن لهم استعداد وموهبة لمثل هذه الأمور ولهم رغبة في دراستها والتدريب عليها. وهذه الخاصية في الواقع لا تقرر شيئا جديدة وإنما تؤكد وجود الخاصيتين السابقتين: خاصيتي الشمول والتوازن فهي تؤكد أن الشمول والتوازن في محتويات المنهج ليسا قاصرين على العلوم النظرية، سواء أكانت نقلية أم عقلية، بل يتعديان هذه العلوم النظرية إلى جميع الفنون الجميلة وأوجه النشاط الرياضي البدني والتدريب العسكري وإلى العلوم التقنية والتدريب المهني في شتى المهن والصناعات والحرف وإلى اللغات الأجنبية، وإلى غير ذلك من الأمور والأشياء التي تعتبرها المناهج الحديثة ضمن محتوياتها.

2- طرق التدريس في الفلسفة الإسلامية

من خلال رجوعنا إلى كتب التربية الإسلامية، يتبين لنا أن الطرق والأساليب التي تستعملها التربية الإسلامية في عمليات التدريس والدعوة والإقناع والإرشاد والتوجيه متعددة متنوعة، تختلف باختلاف أغراض التعليم ، وباختلاف العلوم والمواد الدراسية، وباختلاف الدروس والموضوعات وباختلاف مرحلة النمو والدراسة للمتعلم، وباختلاف مستوى نضج المتعلم الجسمي والعقلي والعاطفي والاجتماعي ومدى استعداده وتقدمه وسابق معلوماته وخبراته ومستوى وعيه وثقافته، وباختلاف عرض المعلم من تدريسه ومقدار معلوماته وخبرته السابقة، فالتدريس للحفظ غير التدريس لتحقيق الفهم أو لتنمية المثل والاتجاهات والأذواق والاهتمامات وطرق تدريس العلوم النقلية واللغوية غير تدريس العلوم الطبيعية والفنون [4]

3- الخصائص العامة لطرق التدريس في التربية الإسلامية:

[4]- عمر التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، 407

1- اصطباغ هذه الطرق والأساليب غاية ووسيلة بروح تعاليم الإسلام وأخلاقه الفاضلة، فالمربي المسلم، سواء أكان أبا أو معلما أو واعظا أو داعية، يستوحي أهداف طريقته ومبادئها وأساليبها ووسائلها من الإسلام وأخلاقياته ويحاول تطبيقها في جو إسلامي كامل

2- مرونة هذه الطرق وقابليتها للتطور وللتكيف حسب الظروف والأحوال ووفق طبيعة المتعلمين وللاختلاف باختلاف العلوم والمواد الدراسية والموضوعات واختلاف أعمار المتعلمين واختلاف قدراتهم ومستويات نضجهم.

3- حر هذه الطرق على ربط: النظر بالتطبيق، والتعلم بالعمل، والرواية بالدراية، والحفظ بالفهم، والإملاء بالاجتهاد، والمحافظة على التراث بالتجديد والابتكار، والاهتمام بتنمية الذاكرة والمحافظة على نشاطها بالاهتمام بقوة الفهم والقدرة على التفكير، وتأكيد الدور الإيجابي للمدرس بالاعتراف بدور المتعلم وبأهمية استغلال النشاط الذاتي له في كسب العلم والمهارة، فطرق التربية الإسلامية كانت موفقة تمام التوفيق في الجمع والربط بين هذه المتقابلات جميعا وغيرها.

4- نبذ المختصرات في التعليم واعتبار هذه المختصرات من دواعي الإخلال بتحصيل الملكات العلمية النافعة وتمكنها.

5- تأكيد حرية الطالب في النقاش والمجادلة والمناظرة في حدود الأدب والاحترام فكان للطالب الحرية المطلقة في إبداء رأيه أمام أستاذه، وفي الاختلاف مع أستاذه في الرأي أو الفكرة إن كان له من الأدلة

الصحيحة ما يؤيد موقفه.

6- في الوقت الذي تحترم فيه حق المتعلم في الحرية واحترام شخصيته ورأيه والمشاركة في العملية التربوية، فإنها في الوقت نفسه تعلى من شأن المدرس وتضعه في موضع القيادة والسيادة الفكرية والروحية وتعطيه حق الاحترام والتقدير وحسن الإنصات إليه من تلاميذه وحق اختيار الطريقة التي يراها مناسبة لمادته وطبيعة تلاميذه. (5)

4- الأهداف العامة لطرق التدريس في التربية الإسلامية:

ترمي طرق التدريس في التربية الإسلامية إلى تحقيق الأهداف العامة التالية:

[5]- نفس المرجع، 428-429

– مساعدة المتعلم على تنمية معارفه ومعلوماته وخبراته ومهاراته واتجاهاته، وعلى الأخص مهارة التفكير العلمي الصحيح والاتجاه المتمثل في حب العلم والرغبة في طلبه والكشف عن حقائقه والشعور باللذة والمتعة في طلبه

– تعويد المتعلم على الحفظ والفهم والتفكير السليم ودقة الملاحظة ودقة الإدراك الحسي، وعلى الجد والنشاط والصبر والمثابرة في طلب العلم، وعلى الشجاعة والمبادأة والأصالة والاستقلال في الرأي

– تيسير العملية التعليمية على المتعلم وجعلها تحقق أكبر قدر ممكن من النتائج المرغوبة، وتوفر في الجهد والطاقة المبذولين فيها وفي الزمن والإمكانيات اللازمة لها. [6]

وفيما يلي يمكن ذكر أبز طرق التدريس في الفلسفة الإسلامية:

1– الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية: وهي طريقة يبدأ البحث فيها عن الجزئيات للوصول إلى قاعدة أو حكم عام، فيأتي المعلم بالعديد من الأمثلة والجزئيات ثم يحاول عن طريق المقارنة بينهما وتحديد الصفات المشتركة بينها أن يستخلص قاعدة عامة تنطقي على جميع الجزئيات التي أتي بها والتي لم يأتي بها.

2– الطريقة القياسية: وهي عكس الطريقة الاستقرائية، حيث أن الانتقال يتم من العام إلى الخا ومن الكليات إلى الجزئيات

3– طريقة المحاضرة: وتعتمد على الإلقاء بشكل أساسي المسبوق بتحضير لمادة تعليمية معينة

4– طريقة الحوار والمناظرة: وتقوم على أساس الحوار والنقاش بالأسئلة والأجوبة للوصول إلى حقائق لا تحتمل الشك ولا النقد ولا الجدال.

5– كما اشتهرت التربية الإسلامية بمجموعة من الطرق التي كانت شائعة خاصة في العصور الأولى للحضارة الإسلامية نذكر منها: طريقة الحلقة والرواية والسماع والقراءة والإملاء والحفظ والدراية والرحلة وغيرها.

رابعا– مؤسسات التربية الإسلامية:

اعتمدت التربية في ظل الحضارة الإسلامية على العديد المؤسسات التي رمت من خلالها تحقيق أغراض هذه التربية، غير أن مؤسسة المسجد تعد أبرز هذه المؤسسات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالإسلام مند فجره الأول، والسبب أن الدين هو محور هذا التربية، فكان المسجد إلى جانب الأدوار الدينية في تعليم الدين الجديد مارس دوره في نشر وإشاعة المعرفة بين أفراد

[6]– نفس المرجع، 430

المجتمع المسلم، ثم ظهرت الأشكال الأخرى كالمدرسة والزوايا والرباطات والمستشفيات والجامعات والمعاهد الكبرى بعد تطور الدولة الإسلامية وخاصة بعد دخول غير العرب في الإسلام واحتكاك العرب بغيرهم من الشعوب والثقافات.

خامسا- الإبداع العلمي والفكري للحضارة الإسلامية

لقد ترك العرب تراثا فكريا وتربويا ضخما أثّروا به بشكل مباشر في التمهيد للحضارة الغربية ذات الطابع العالمي اليومي، ودلّت أعمالهم هذه من كتب ومؤلفات ونظريات وتحقيقات لأعمال يونانية وفارسية وحتى بعض الأدوات التي استطاعوا أن يخترعونها في مجال الفلك ورصد النجوم والعقاقير الطبية والأدوات العلاجية وغيرها على قوة ومتانة الفكر التربوي الذي كان موجودا داخل الحضارة الإسلامية، وكنماذج لهاذا التأثير يخبرنا غوستاف لوبون عن الحسن ابن الهيثم وما شكّلته كتبه في علم البصريات من مصدر للمعرفة الأوروبية في علم الميكانيكا، ونفس الحال يقال على علم الكمياء الذي كان فيه للمسلمين فتوحات عظيمة تجلت فيما اكتشفوه من المركبات المهمة كالكحول وزيت الزاج الحامض الكبريتي وماء الفضة الحامض النتري وماء الذهب وما إلى ذلك، وما اكتشفوه من أهم أسس الكمياء كالتقطير، والحديث عن تطور الفكر التربوي عند المسلمين في مجال الكمياء يقودونا لا محالة للحديث عن واحد من عباقرة المسلمين الخالدين وهو جابر بن حيان، الذي يشير لوبون أن عدد غير قليل من كتبه نقل إلى اللغة اللاتينية، وأن كتابه الاستتمام نقل إلى اللغة الفرنسية سنة 1672 ما يدل على دوام نفوذه العلمي في أوروبا مدة طويلة.[7]

ولم تقتصر التربية الإسلامية كما يخيل أو يشاع عند البعض على العلوم النظرية والنقلية وإن كانت العلوم التي حقيقة برع فيها المسلمون أي ما براعة ولكن إذا عرفنا السبب زال العجب، ذلك أن الحضارة الإسلامية بالأساس ذات منشأ ديني يشكّل القرآن الكريم وما تعلّق به من علوم جوهر هذه الحضارة فالدافع الديني الذي هو خدمة الإسلام ومصادره هو الذي جعل الفكر التربوي في البداية يعطي أهمية بالغة للعلوم النقلية كعلوم اللغة والقرآن والمنطق والفقه وغيرها، غير أن هذا لا يحجب أن العرب والمقصود بهم هنا المسلمون أهملوا أمر التطبيقات الصناعية والفنية مع قيامهم بمباحثهم النظرية كما يشير لوبون، فقد كان لصناعات العرب تفوّق عظيم بفضل معارفهم العلمية، من استغلال لمناجم الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب، كما أنهم كانوا ماهرين في الدباغة، وفي فن تسقية الفولاذ، وأنه كان لنسائجهم

[7]- جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار فرس، القاهرة، دت، ص 460.

وأسلحتهم وجلودهم وورقهم شهرة عالمية، وأنه لم يسبقهم أحد في كثير من فروع الصناعة إلى عصرهم.[8]

– **تفوق العرب في العلوم الطبية:** يعد الطب ومختلف العلوم الطبية من أكثر العلوم التي اهتم بها العرب وبرعوا فيها، وبيّنت جودة الفكر التربوي الذي سلكوه في تعلمها وتعليمها، ولقد نال الأطباء العرب ومؤلفاتهم شهرة امتدت حتى بلغت آفاق الأمم في العصور الوسطى وما بعدها، وكانت وحدها منهجا تربويا لمختلف المدارس والجامعات في الشرق والغرب زهاء الثلاث قرون أو يزيد، ومن هؤلاء الإمام الرازاي المولود في 850م والمتوفى سنة 932م الذي كانت بحوثه حول الحصبة والجذري معول الأطباء زمنا طويلا، وكان كتابه في أمراض الأطفال أول كتاب بحث في الموضوع خاصة من خلال الطرق الجديدة التي وضع للعلاج، وغيرها من مؤلفاته كالحاوي الذي جمع فيه صناعة الطب، وكتاب المنصوري، وهي الكتب التي ترجمة أغلبها إلى اللاتينية وطبعت عدة مرات ولا سيما في البندقية سنة 1509م وفي باريس سنة 1528م وظلت جامعات الطب في أوروبا كما بيّن غوستاف لوبون تعتمد على كتبه زمنا طويلا وأن كتبه مع كتب ابن سينا كانت أساسا للتدريس في جامعة لوان في القرن 17 الميلادي.[9]

ولم يكتفى الأطباء المسلمون على نقل ما عند الإغريق بل أخضعوه للبحث العلمي وهو من خصائص فكرهم التربوي الذي لا يقبل قبول الحقائق دون تمحيصها أو عرضها على سلطان العقل، ومن ذلك ما كان يقوم به علي بن العباس الذي عاش في أواخر القرن العاشر من الميلاد في كتابه الملكي المشتمل على الطب النظري والطب العملي والذي استند فيه إلى مشاهداته في المشافي لا إلى الكتب وأظهر فيه أغاليط أبقراط وجالينوس وأريباسيوس وغيرهم وابتعد فيه كثيرا عن مبادئ الطب اليوناني في معالجة المرضى، وترجم إتيان الأنطاكي كما يشير لوبون الكتاب إلى اللاتينية سنة 1127م وطبع في مدينة ليون 1523م.

والحديث عن نبوغ المسلمين في الطب دون أدنى شك لا يمكن أن يمر دون العروج عن ابن اسينا الذي هو أشهر العقول الطبية الإسلامية تأثيرا في الفكر التربوي الطبي، ويمثل كتابه القانون خلاصة الخلاصة في علم الطب إلى زمانه، اشتمل على علم وظائف الأعضاء وعلم الصحة وعلم الأمراض وعلم المعالجة والمادة الطبية ووصفت فيه الأمراض بأحسن مما وصفت به في الكتب التي ألفت قبله، ونقلت كتب ابن سينا إلى أكثر لغات العالم وظلت مرجعا عاما للطب ستة قرون كما يقررون، وأساسا للبحث الطبية في جامعات أوروبا إلى القرن 18.

---

[8]– نفس المرجع، 461.

[9]– نفس المرجع: 474.

وأما أبو القاسم القرطبي المتوفى سنة 1107م فقد برع في الجراحة وآلاتها التي ضمّن رسوما دقيقة لها في كتبه، وأهم اكتشافاته كانت وصفه لسحق الحصاة في المثانة والتي عدّت من اختراعات ذلك العصر، ولقد ذكر بعد علماء أوروبا بأن كتب أبي القاسم كانت المصدر العام الذي تستقي منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر، وترجم إلى اللاتينية عدة مرات آخرها سنة 1861م.[10]

ومن دلائل تطور الفكر التربوي الطبي عند المسلمين في عصورهم الزاهرة هو مناهجهم التربوية في علم الطب التي سبقوا بها غيرهم في هذا المجال وشكّلت تمهيدا للحضارة الغربية، فطلاب الطب في البلاد الإسلامية كانوا يتلقون دروسهم في قاعات المرضى وليس من بطون الكتب، أي أن تعليم الطب كان تعليما تطبيقيا داخل المستشفيات، كما وضع العرب مشافي خاصة ببعض الأمراض كالمجانين وغيرها، كما كان العرب يقدمون علم الصحة أو الوقاية على العلاج أو كوقاية استباقية من المرض وهو ما نجده في كتبهم ومؤلفاتهم التي عنيت بهذا الفن وإن كان الكثير منهم قد استلهموها من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا أشار غوستاف لوبون بأن العرب كانوا يعتمدون كثيرا على علم الصحة في معالجة الأمراض، وعلى الوسائل الطبيعية، وليس غير ذلك أمر الطب القائم على المداواة الطبيعية التي استقر عندها العلم الحديث كما يظهر أن الطب العربي في القرن العاشر للميلاد لم يؤدي إلى وفيات أكثر مما يقع في هذه الأيام.[11]

- اشعاع الفكر التربوي للحضارة الإسلامية على الإنسانية

إن الحضارة الإسلامية هي حضارة عالمية وهذا ما قرره الإسلام مند البداية معلنا أن خطابه للإنسانية كافة وهو ما يحتّم على المسلمين تبليغه لكل البشر، ولقد كان المجال التربوي والعلمي من المجالات التي اشتغلها العلماء عليها في نشر هذا الدين من جهة في التأثير في باقي الشعوب التي وصلوا إليها إما بالرحلات والأسفار وإما بالتجارة كما وقع في بلاد الصين والهند أو من خلال الفتوحات الإسلامية كما وقع في الأندلس وجنوب فرنسا وإيطاليا وغيرها من البلدان، أو من خلال عوامل أخرى سبقت الإشارة إليها كقدوم الأوروبيين بأنفسهم إلى حواضر البلدان الإسلامية من أجل التعلم كما هو حاصل اليوم مع شعوب العالم في ذهابها إلى

[10] – نفس المرجع: 476.

[11] – نفس المرجع: 475.

جامعات أوروبا وأمريكا، كما أن للحملات الصلبية التي قادتها الكنيسة على العالم الإسلامي والقدس بالأساس جزء من التأثير الذي حصل للفكر التربوي الإسلامي على الفكر الأوروبي من خلال التأثر الذي وقع للمسيحيين بما وجدوه داخل البلاد الإسلامية، ويحدثنا غوستاف لوبون عن بعض من التأثير الذي حصل للفكر التربوي الإسلامي على غيره من الشعوب قائلا (أن المسلمين كانوا ذوي صلات مستمرة بالهند والصين، وأنهم نقلوا إليها قسما كبيرا من المعارف العلمية، وأن البيروني المتوفى سنة1031م اتحف الهندوس، في أثناء سياحته في بلادهم، بمختارات مهمة من كتب العلم)[12]، ويضيف متحدثا عن الصين بأن علوم العرب دخلتها على أثر الغارة المغولية، وأن الفلكي الصيني الشهر كوشو كينغ تناول رسالة ابن يونس في الفلك سنة 1280م وأذاعها في بلاد الصين.

وأما بالنسبة لبلاد الغرب وهو واحد منهم فيشير إلى أن تأثير العرب في الغرب عظيم وأن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها وبالأساس تأثيرهم العلمي الذي كان عظيما جدا.

وسنعود بشيء من التفصيل إلى الدور الذي لعبه الفكر التربوي الإسلامي في بزوغ نجم الحضارة الغربية التي نؤمن بأنها إنسانية وليست أوروبية وإن كانت قد وجدت على أرض أوروبا إلاّ أنه ساهم ويساهم فيها كل من هم على كوكب الأرض إلى اليوم على اختلاف اعراقهم وأجناسهم ودياناتهم، وأن الحضارة التي تسمى بالغربية اليوم ليست إلا مرحلة أو حلقة طبيعية من حلقات تطور البشرية وتعاقب الحضارات وأنها لم تكن لتوجد لولا الحضارات التي سبقتها ومنها الحضارة العربية الإسلامية.

فعوامل كالسعي وراء نشر الدين الجديد وتبليغ قيمه وتعالميه لباقي الشعوب الأخرى جعل المسلمين يخالطون ويختلطون ويحتكون ويتعرفون ويتفاعلون مع ثقافات أخرى، خاصة تلك الشعوب التي سبقت الحضارة الإسلامية في بزوغها كالحضارة الفاريسية والصينية والهندية وخاصة حضارة الإغريق، وينهلون منها الشيء الكثير ويضيفون منه إلى تراث الحضارة الإسلام بعد تنقيحه وتصويبه وهو ما تجلى في عبقرية العديد من مربي الإسلام كالفرابي وبن سيناء والكيندي وغيره واستفادت منه الإنسانية كلها فيما بعد وليس فقط الشعوب الإسلامية، ومن هؤلاء مثلا الذي يذكره الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون فيما لعبوه من دور في بلورة الروح العلمية في أوروبا عند حديثه في كتابه حضارة العرب عن الإدريسي، حيث يكتب(وأشهر جغرافي العرب هو الإدريسي، ومن كتب الإدريسي التي ترجمت إلى اللاتينية،

[12] – غوستاف لوبون: 543.

تعلمت أوربة علم الجغرافية في القرون الوسطى)، ويشير لوبون أنّ أوروبا اقتصرت على نسخه مدة ثلاث قرون، ليضيف لوبون عن الدور الذي لعبه علماء الجغرافيا في بزوغ الحضارة الحديثة بأنه نحتاج لإحصاء أهم جغرافي العرب وما ألفوا من الكتب إلى بيان طويل، فالعرب كما يذكر هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدّت أول أساس للخرائط، فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع، وأنهم من ناحية الريادة، هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيون في وجودها، فضلا عن عدم وصولهم إليها، والعرب من ناحية الأدب الجغرافي هم الذين نشروا كتبا قامت مقام الكتب التي ألفت قبلها، فاقتصرت أمم الغرب عن استنساخها قرونا كثيرة.[13]

[13]– نفس المرجع، 454.

المحور السادس

التربية في العصور الوسطى الأوروبية

أولا- المجتمع الأوروبي في القرون الوسطى

تطلق العصور الوسطى في أوروبا على تلك المرحلة المظلمة من الحياة التي كانت تعيشها أوروبا في مقابل النور والاشعاع الذي كان يخيم على العالم الإسلامي وينير دروب الإنسانية.

ويمثل سقوط روما سنة 486 ميلادية بداية العصور الوسطى الأوروبية التي امتدت قرابة عشرة قرون، وهي المرحلة التي كان يطبع فيها الصراع الشديد على مقاليد الحكم بين رجالات الدولة ورهبان الكنيسة، وسلسلة الحروب الأهلية الطويلة بين المماليك والدويلات الأوروبية، وساد فيها الضعف والاستبداد والجهل والأمية والاستعباد لملاك الأرض لغيرهم من العبيد.

حيث يذكر المؤرخون أن القرنين التاسع والعاشر أسبغا على أوروبا ظلمة حالكة وشاع فيها النظام الإقطاعي، وأنه في خلال هذين القرنين أخذ النظام الإقطاعي ينمو باطراد، وأنه بحلول القرنين 11 و12 لم تكن هناك حكومات مركزية، وتحول ولاء الجماعات إلى السادة المحليين ممن تأسست على أيديهم أسر إقطاعية كبرى ترجع أصولها في معظم الأحوال إلى القرن العاشر الميلادي.[1]

إن هذا الوضع أو النظام الاجتماعي جعل الأهالي والعامة يعيشون في مرحلة بين الحرية والرق وهي الحالة التي عرفت باسم القنية serfdorm في العصور الوسطى، والقن فلاح يعيش على قطعة من الأرض بمنحها إياه سيده متملك الدومين وهو مربوط إلى هذه الأرض ولا يملك الحرية في الانتقال عنها، ولا يتزوج من جهة خارج الدومين التابع له إلا بإذن من سيده ويدفع القن لمتبوعة مبالغ معينة كلما رزق مولوداً أو مات له ميت، والقن ملك لسيده له حق بيعه واستبداله، وينشأ أبناء القن كأبيهم يخدمون أسيادهم الذين يملكونهم ولا يستطيع فرد أن يسموا إلى طبقة أعلى.[2]

كما شهدت هذه الفترة من تاريخ أوروبا ظهور الأشكال الحديثة للمدن وذلك من خلال قيام جماعة التجار بإنشاء أماكن مستقلة عن قلعة البارون أو النبيل تكونت من خلالها طبقة تسكن الضواحي (على مقربة من القلاع الكبيرة أو في حمى دير كبير على أن تكون على طريق رئيسي ييسر نقل البضائع، وكانت هذه الضواحي بداية ظهور المدن في أوروبا، وكان

[1]- سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص339.

[2] - نفس المرجع، ص340.

سكانها غالباً من البرجوازيين (الطبقة المتوسطة) وهم من التجار والصناع المتحررين من ربقة القنية الإقطاعية.

كما عرفت أوروبا خلال هذه الفترة ازدهار التجارة وذلك بفضل الحروب الصليبية التي أتاحت التواصل مع الشرق وساهمت في توسيع التعامل التجاري بين أوروبا والشرق، كما أن التجارة في أوروبا ذاتها بدأت تشهد اهتمام الملوك والأمراء للعمل على تحسين الطرق وإقامة الجسور على الأنهار، لما في ذلك من فوائد تزيد ما يدخل خزائنهم من ذهب، كما وضعت القوانين الحماية التجار من اللصوص والقراصنة، وظهرت التحسينات في بناء السفن ليزيد حجمها فتحمل أكثر، وكانت أوروبا تستورد من بلدان الشرق العربي التوابل والبرتقال والمشمش والتين والزبيب والعقاقير والأصباغ والأقطان والحرير الخام وكانت أوروبا تصدر للشرق العربي الخشب والسلاح والأصواف وأدوات زراعية وخزف.. الخ[1]

– أما الحياة الدينية فهي أهم مظاهر أوروبا في هذا العصر والذي ما يذكر إلاّ وتذكر معها الكنيسة لأنها كانت محور الحياة الأوروبية في هذه الفترة، ولقد تمركزت الحياة الدينية في أوروبا المسيحية في العصور الوسطى حول محورين: الأول هو البابوية باعتبار أنها الرياسة العليا للكنيسة، والثاني التنظيمات الكهنوتية[2]، وأهم ما كانت تؤكد عليه التربية التي كانت تنادي بها الكنيسة في هذا العصر هو:

– القيمة الكبرى للمسائل الروحية.

– الاهتمام بالحياة الآخرة.

– التساوي الروحي للخلق أمام الله

– شرف العمل وتطبيق مبادئ العدالة في العلاقات بين الأفراد العاملين.

– وحدة كل البشر.

– أن أول واجبات الفرد خدمة ربه وزملائه ونفسه.

غير أن الواقع العملي لهذه المثل أو المبادئ لم يسم إلى المثل، بل لقد طغت على العقل الخرافات والبدع والأوهام وكان العقل يخافها جميعا.

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 441.

[2]– نفس المرجع، ص343.

كما أن هذه المرحلة هي المرحلة التي عرفت دخول الغرب الصليبي في حرب طويلة مع الشرق المسلم، أو ما يعرف بالحملات الصليبية التي قادها الملوك الصليبيون بعد استرجاع صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس سنة 1187، وقد تعددت هذه الحملات على بلاد الشرق أكثر من تسع حملات صليبية بقيادة أوروبا بأكملها، قد فصّل في تفاصيلها الفيلسوف غوستاف لوبون تفصيلا كبيرا.

ولقد كان لهذه الحملات تأثير كبير في العقلية الأوروبية، حيث يذكر المؤرخون أنه كان لوجود الصليبين أثر في أرض العرب، وحملاتهم المتكررة عليها على التفكير الأوروبي وعلى المجتمع.[1]

ولم يكن الوضع الثقافي والواقع الفكري والعلمي بأحسن حال من جميع الأحوال الأخرى، ولربما كان أسوء حالا منها جميعا، وفي ذلك مثلا يشير غوستاف لوبون بأنه إذا رجعنا إلى القرن التاسع والعاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جدا، كانت مراكز الثقافة في الغرب أبراجا يسكنها سنوريات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع، وأن همجية أوروبا دامت زمنا طويلا من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوروبا بعض الميل إلى العمل إلاّ في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيه أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذي كانوا أئمة وحدهم.[2]

ثانيا- شارلمان ومحاولة النهضة التربوية

يرجع الفضل إلى الإمبراطور شارلمان في إحياء نهضة شاملة في أواخر القرن الثامن الميلادي عرفت باسم النهضة الكارولنجية ازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب وتم إحياء العلوم القديمة، والمنطق والفلسفات والآداب، والاهتمام بجمع الكتب القديمة، واستدعى إلى عاصمته العلماء والأدباء والفلاسفة ورجال الدين من مختلف أنحاء القارة الأوروبية للاشتغال بأمور العلم والتعليم في مدرسة البلاط التي أسسها في مدينة إكس لاشبل لتعليم أبنائه وأبناء كبار دولته، ولم يجد شارلمان بداً من انتقال هذه المدرسة معه أينما ذهب وحيثما حل حتى

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص338.

[2] – لوبون: ص545.

وهو في حملاته الحربية فكانت بمثابة مركز علمي (متنقل) ولم تقتصر نهضة شارلمان على مدرسة البلاط وعلى فئة مختارة من المعلمين والتلاميذ، بل وجه شارلمان عنايته إلى إنشاء المدارس والمكتبات العامة، وإحياء الدراسات الدينية والفلسفية والتاريخية في أرجاء مملكته، وأنشأ مدارس عليا لإعداد المعلمين والمثقفين لإدارة شؤون البلاد، ودعا إلى تدريس الفنون الحرة في الكنائس، وفتح المدارس أمام جميع التلاميذ.[1]

ثالثا- ظهور اتجاه الحركة المدرسية:

ومن بين أهم ما قدمه هذا العصر للفكر الغربي هو ظهور الحركة المدرسية، وهي الحركة التي سيكون لها تأثير كبير لما ستعرفه أوروبا فيما بعد خلال عصر النهضة والتنوير، وهذا اصطلاح أطلق على الحياة التعليمية والتربية من القرن الحادي عشر إلى الخامس عشر، وهي أسلوب من أساليب النشاط العقلي، فبعدما عهدنا الحياة العقلية في الشطر الأول من العصور الوسطى خاضعة للكنيسة خضوعاً شديداً، كان لتأثيرات العرب الفكرية أن أثارت التفكير والتساؤل عن سلطان الكنيسة العقلي، وهزت العزلة التي عاشتها الحياة العقلية في الغرب. وهدفت الحركة المدرسية إلى الاستعانة بالعقل في الدفاع عن العقيدة، وتقوية الحياة الدينية والكنيسة عن طريق تقوية المواهب العقلية والقضاء على الشك والإلحاد والهرطقة عن طريق المناقشة، وكان الصراع بين العقل والسلطة الكنسية ولكنه صراع من أجل التوفيق

ومن خلال هذا الهدف تبلورت رسالة الحركة المدرسية ويمكن تلخيصها في الرغبة في صياغة المعتقدات في أسلوب منطقي ويدافع عنها منطقياً، ولكن في غير تشكك في سلطة الكنيسة، ثم تنظيم المعرفة وصبغها بالصبغة العلمية الشكلية، ثم إلمام للفرد بتلك المعارف المنظمة.

رابعا- مؤسسات التربية في العصور الوسطى

1- مؤسسة الديرة أو الأديرة:

وهي مؤسسات في الأصل أقامها رجال الكنيسة لغرض ديني، وهو الاعتزال عن الناس من أجل العبادة والتفرغ الكامل والتام لطاعة الرب، ثم تحولت فيما بعد لمؤسسات تربوية، ويرى بحث الباحثين أنه قد أعان على ظهور مؤسسة الديرة عوامل كثيرة منها: هروب بعض

[1]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص154.

النصارى إلى الصحاري والجبال والبراري والقفار بسبب الاضطهاد الروماني واليهودي لهم حيث يستطيعون العبادة على راحتهم ومنها كراهية النصارى لفساد المجتمع الروماني ورغبتهم عن المشاركة في حياتهم الاجتماعية والسياسية، ورغبتهم في تجنب الميراث الدنيوية والأنشطة العلمانية وبالتالي تجنب مراكز التجمعات السكانية.

ويذكر وايلدز Wilds (1944) أن الأطفال كان يسمح لهم بالدخول في مدارس الأديرة في سن العاشرة، ويدرسون لمدة ثماني سنوات، ثم ينخرطون في الدراسات العليا في سن الثامنة عشرة.

ولقد كان للديرية تأثير كبير في التربية في العصور الوسطى، حيث" حفظت الديرية الكتابات الكنسية والمعرفة التي نماها الرهبان ووقفت ضد الفساد والانحلال في العالم في العصر الوسيط، وفيها نشأت المهارات الصناعية، ومفهوم احترام العمل اليدوي، ووجد الفقراء والمرضى والجوعى مأوى لهم.[1]

2- مؤسسة الفروسية

مؤسسة الفروسية أو التربية الفروسية هو نظام تعليمي معقد قامت عليه مؤسسة الفروسية التي نشأت في بداية القرن التاسع الميلادي، حينما أصبح نظام الإقطاع راسخاً ومستقراً حتى القرن السادس عشر. [2]

واستهدفت التربية الفروسية تعليم الفارس المثل الدينية والخلقية والاجتماعية، وبمعنى آخر حاولت الفروسية الجمع بين مثل المحارب البربري، والقديس النصراني في إطار واحد من خلال غرس مبادئ الحب والدين في نفوس الفرسان.

3- مدارس النقابات

وهي مدارس أو مؤسسات تربوية ظهرت في القرن الثالث عشر على إثر تشكل الطبقة المتوسطة أو الطبقة البرجوازية التي نمت من خلال التجارة وتشكل المدن والجامعات، وهي طبقة جديدة تختلف عن طبقات رجال الدين والنبلاء والعبيد، وكانت حاجات أبناء الطبقة

[1]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص158.

[2]- نفس المرجع، ص167.

الجديدة مختلفة عن حاجات أبناء الطبقات القديمة في العصور الوسطى، وبالتالي تتطلب نظاماً تربوياً جديداً يتعلم فيه أبناء الطبقة الجديدة وفقاً لحاجاتهم

وكانت النقابات تنظيمات أو روابط للمشتغلين بالتجارة والصناعة وبالتالي كانت نوعين: نقابات للتجار ونقابات للحرفيين أو المهنيين، وحول هذه النقابات نما نظام تعليمي لإشباع الحاجات التعليمية لأعضائها وأبناء أعضائها.[1]

4- الجامعات:

إلى جانب الحركة المدرسية أو كنتيجة لها عرفت أوروبا الكنسية الجامعات، إذا فالجامعات ظهرت في ظل النظام الكنسي، حيث اشتهرت بعض المدارس الكاتدرائية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر حتى أنها جذبت الطلبة ليدرسوا فيها القانون الروماني وفلسفة أرسطو والطب إلى جانب الدراسات الأكاديمية (الفنون العقلية السبعة الحرة)

وقد تكونت من مجموعات من الطلبة وأساتذتهم ما يشبه النقابة وأطلقوا عليها اسم (Univesitas).

وتميزت الجامعات في بداية ظهورها بتلقائية الصلة بين الطلبة وأساتذتهم، هذه الصلة التي كان قوامها النشاط الفكري والنهم للمعرفة، كما أن باب التعليم كان مفتوحاً لكل طالب قادر على دفع مبلغ زهيد جداً للأستاذ على أن يكون ملماً باللغة اللاتينية وهي لغة التعليم، وكانت الجامعات في منأى عن سلطة الكنيسة والدولة في فترات نشأتها الأولى

وتم إعفاء الأساتذة والطلبة من الضرائب والخدمة العسكرية، ونظمت الجامعات في أول الأمر على أساس أنها تضم طلبة من دول مختلفة، وكانت الجامعات تعد الطلبة لمهن القانون والطب واللاهوت والتدريس الجامعي، وكان الطلبة يدرسون أساساً الفنون العقلية الحرة السبعة لمدة تتراوح بين أربع وسبع سنوات ويمنح الطالب بعدها درجة الأستاذية، ثم يصبح الخريج مدرساً جامعياً إذا وجد طلبة يدرس لهم، أو يلتحق بوظيفة دينية إذا وجدها، أو يصبح موظفاً إذا وانته الفرصة أو يستكمل الخريج دراسته في القانون أو الطب أو اللاهوت التي تمتد حوالى ثماني سنوات.

وتراوحت مدة الدراسة في الطب والقانون بين خمس وثماني سنوات وكان التنافس بين الأساتذة كبيراً، فدخلهم الوحيد مما يدفعه الطلبة مباشرة لهم، وقد اعتمد الطلبة في معلوماتهم

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص171.

على ما يلقى عليهم داخل الدرس وكانوا يحفظون ما يكتبون على ظهر قلب، وعلى ما كتبه العرب، واعتمدت عليه جامعات أوروبا كمؤلفات ابن سينا وشروح وتعليقات عربية في الطب والعلوم.

وبدأت الجامعات عهودها الأولى بدون أدوات أو أجهزة أو حتى مبان، فكانت تتخذ من المزارع أو أفنية الكنائس مقاماً لها.

وكانت هناك حرية في البحث والقول خاصة وأنها لا تخضع للإشراف المالي من الدولة أو الكنيسة، ولكن هذه الحرية لم تكن مطلقة، ولم تستمر فقد تعرضت الجامعات وأساتذتها إلى القوى الرجعية كثيراً، وحلت عليهم صنوف من التهديد والعقاب، وعندما يتقدم الطالب في دراسته كان يسمح له بإلقاء محاضرات لعدة سنوات، وكن هذا الطالب يسمى (Bachelor) أي السيد الصغير وهو لقب كان يحمله الفرسان الصغار في خدمة الفرسان الأكابر وكان يعقد أحياناً امتحان قبل السماح للطالب بالتدريس، فإذا نجح أصبح حاملا للدرجة الجامعية الأولى (Bachelor degree) ثم يستعد الطالب لتقديم رسالة للحصول على درجة الأستاذية (Mastersdegree) أو درجة الدكتوراه، ويدافع عن رسالته أثناء مناقشتها في امتحان عام، غالباً كان يعقد في الكنيسة فاذا نجح في دفاعه لبس قبعة خاصة، ولم يسمح للإناث بالدراسة الجامعية.

هذا، وكان من أول الجامعات في أوروبا جامعة بولونيا (حوالى نهاية القرن الحادي عشر)، وجامعة بادوا ونابلى القرن الثالث عشر وجامعة روما (القرن الرابع عشر) وفى إسبانيا أنشئت جامعات أهمها سلمانكا في القرن الثالث عشر؛ كما ازدهرت الجامعات في فرنسا في القمرنين الثاني عشر والثالث عشر وأشهرها جامعة باريس، أما الجامعات الإنجليزية فأشهرها أكسفورد في أوائل القرن الثاني عشر، ثم كمبردج في القرن الثالث عشر ومما يذكر بالفضل للعرب كما أورد ذلك منرو أن الجامعات الأوروبية المسيحية استفادت في مناهجها ودراساتها مما أعطاه العرب في ميدان الثقافة. [1]

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص352–355.

خامسا– من أهداف التربية في العصور الوسطى الأوروبية

لقد كان هدف التربية في العصور الوسطى مشتقاً من الظروف الاجتماعية، فهدفت إلى خدمة الرب والكنيسة والخلق والنفس، وبهذا يكون للتربية غرض مزدوج مؤكداً على مطالب الكنيسة ومطالب الحياة[1]

كما كانت التربية التي تنادي بها الكنيسة أيضا ترمى إلى الوصول بالروح لأسمى درجات الكمال والزهد في ماديات الحياة الدنيا بكبح النفس عن الشهوات والصيام والتعذيب والنشاط البدني المستمر والنظر إلى المطالب الدنيوية نظرة ازدراء،[2] كان هذا داخل التربية الديرية وزادت التربية الفروسية تعليم الفارس المثل الدينية والخلقية والاجتماعية.

غير أنه مع ظهور الحركة المدرسية عرفت هذه المرحلة تغييرا في بعض الأهداف التي عكست جوهر التغيير الجديد الذي جاءت به الحركة المدرسية، حيث أصبح الهدف من التربية تأييد المعتقدات الكنسية بالحجة العقلية لمواجهة النزعات الشكلية، والهرقطات الدينية ومن ثم ظهرت الحاجة إلى تنمية العقل واستخدامه في فهم وتأييد المعتقدات الدينية وليس مجرد الإيمان.[3]

أما التربية التي كانت تقدمها مدارس النقابات فكانت تهدف بشكل أساسي إلى إعداد أبنائها للقيام بأنشطة الحياة الصناعية والتجارية.

سادسا– منهج التربية في العصور الوسطى

اتسمت الحياة في (الأديرة)الكنائس بالتهذيب والعمل والتدريب، فمثلا أديرة بندكت كانت تحدد يومياً سبع ساعات للعمل اليدوي أو الأدبي، ومن ساعتين إلى خمس ساعات للقراءة، وبذلك أتيحت الفرصة للدراسة داخل جدران بعض الأديرة

وعرف التعليم في داخل الأديرة على نطاق ضيق ضئيل، فهو يتضمن القراءة والكتابة والغناء وحساب التقويم الكنسي، وكان ذلك وقفاً على عدد قليل ممن سينخرطون في سلك الرهبنة التي لم تقبل سناً أقل من 18 سنة، ثم يدرس الطالب سنتين، أمّا قبل ذلك السن فلم يكن هناك تعليم يذكر، وعلى العموم فان الأديرة استأثرت بالتعليم واحتكرته حتّى القرن الحادي

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص344.

[2] – نفس المرجع، ص348.

[3] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص164.

عشر، وهذا كان مناسباً لحياة الناس الذين ما كان يهمهم التعليم بقدر اهتمامهم بحياة القتال والحرب والتدمير[1]

ولقد سارت نظم التربية المدرسية على أساس منطق المادة لا قدرة المتعلمين، والمنطق المعترف به وقتئذ هو المنطق القياسي وأدى هذا إلى صب جميع التلاميذ في قالب واحد، فكان الطفل يتعلم بالطريقة التي تناسب عمل الراشد، واستمر هذا الاتجاه التربوي سائداً حتى القرن الخامس عشر، وقد أنتج الكثير من الكتب وأثر في عقول الدارسين تأثيراً بالغاً.

غير أن هذا النهج واجه نقدا وتهكما شديدا من بعض الفلاسفة الذين رأوا أن الحركة المدرسية تحولت إلى شكليات تقف في سبيل كل تقدم، بل قد وصفت مؤلفاتهم بأنها نوع رخيص من المعرفة وأن مؤلفيها مجانين قد استسلموا لديكتاتورهم أرسطو متقوقعين في أديرتهم بعيداً عن العالم الحقيقي، ومكبلين معرفة لا يريدون لها تطويراً، بل اتهمت مؤلفاتهم بأنها تحوي مجردات عملية لا قيمة لها صيغت في أسلوب معتمد خشن

ويرى سعد مرسي أنه مع كل هذا النقد، فإن لرجال الحركة المدرسية الفضل في هز العقل وإثارة نشاط فكرى كان الخمول قد استولى عليه عدة قرون، بل إن هذه الحركة مهدت لظهور ونمو الجامعات

سابعا– محتوى التربية في العصور الوسطى

فكما اختلفت أساليب التربية من مرحلة إلى أخرى ومن نوع تربوي لآخر كذلك اختلفت محتويات ومضامين التربية فنجد أن التربية التي كانت تمارس في الديرة تتضمن ما يلي:

– القراءة حتى يتسنى للفرد قراءة الكتاب المقدس.

– الكتابة من أجل نسخ الكتب والمخطوطات

– الموسيقى والغناء ليشارك في الاحتفالات الدينية.

– الحساب لمعرفة أوقات الاحتفالات الدينية.

– الفنون الحرة السبعة خدمة لأغراض دينية أيضاً فالمجموعة الثلاثية النحو والخطابة والجدل درست لتعين على قراءة الكتاب المقدس، وتعاليم آباء الكنسية، وتعلم أصول العقيدة. ودرست

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص349.

المجموعة الرباعية الحساب والهندسة والفلك والموسيقى) للقيام بالشعائر والطقوس وحساب الأعياد الدينية ولم يكن مطلوباً من رجل الدين أن يحصل من هذه العلوم أكثر مما تقتضيه الحاجة. [1]

– الأشغال اليدوية والتدريب المهني على مختلف الحرف.

وتضمن منهج التربية الفارسية الأنشطة البدنية والعسكرية والاجتماعية والدينية، والتعليم الصحي والتعليم الديني والغناء واللعب على القيثارة وتنمية مهارات ركوب الخيل والملاكمة والمصارعة، وفي المستوى الأعلى يشتمل المنهج على المبارزة والصيد والعوم وركوب الخيل وكتابة الشعر وغنائه، أما البنات فقد تلقين تدريباً مماثلاً لتدريب الأولاد الديني والاجتماعي واستبعدت التدريبات البدنية والعسكرية من نظام تعليمهن، وبدلاً من التدريبات البدنية والعسكرية درب البنات على الواجبات المنزلية كالغزل والحياكة وإعداد الطعام. [2]

ثامنا– أساليب التربية وطرق التدريس في العصور الوسطى الأوروبية

اختلفت طرق وأساليب التربية من وقت لآخر داخل العصور الوسطى التي استمرت 10 قرون، وتطورت بتطور الأشواط التي قطعها الفكر التربوي داخل هذه العصور، ولذلك نجد أن أساليب التربية التي كانت تشيع داخل مدارس الأديرة ليست هي نفسها التي كانت موجودة زمن الحركة المدرسية.

فداخل مدارس الأديرة كانت تشيع بالأساس طريقة السؤال والجواب التي استهدفت من كتاب (ابيلارد) الذي يناقش فيه عدداً من المسائل اللاهوتية بطريقة فلسفية، كما شاعت طريقة الإملاء فضلاً عن طريقة الحوار والمناقشة التي استخدمت في الجامعات، وكان طلبة الجامعة مطالبين بالدفاع عن رسالتهم وإقناع النظارة قبل إجازتهم للعمل بالتعليم أو الكهانة، وهي الطريقة التي كانت معنية بتنمية القدرات الذهنية للطلبة وإعانتهم على تقدير الأهمية النسبية للاستدلالات العقلية، وبيان مواطن القوة أو الضعف فيها، وتنمية القدرة على الجدل وانسجام الخصوم.

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص160.

[2] – نفس المرجع، ص169.

أما التربية في مدارس الفروسية فقد استخدمت طريقتا القدوة والممارسة في تعليم الفارس من خلال التقليد والملاحظة، والتدرب على المهارات المختلفة التي يوجبها نظام الفروسية، ومن ثم كانت التربية تحدث عن طريق العمل والنشاط والملاحظة والقدوة.[1]

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص170.

وفي ختام هذا المحور أو الفصل من تطور الفكر التربوي الغربي هو أنه ما يميز هذه الفترة أن التربية بقيت جامدة لعدة قرون كاملة، لم تتطور فيها المعارف وأساليب الفكر والعمل، وأنها إلى القرن الثامن عشر لم تتعدى تعليم اللاتينية وعلم الكلام والرياضيات التجريدية.[1]

غير أنها كما سبق معنا كانت مرحلة ضرورية لما سيأتي بعدها من مراحل سيعرفها العالم الغربي، أي أنها مهّدت الطريق في كثير من جوانبها من خلال إثارة العقل الأوروبي، فالانتقاد الشديد الذي تعرّض لها الفكر التربوي في هذه المرحلة كان سببا في تطوير هذا الفكر والمضي به قدما إلى الأمام، وفي محاولة البحث عن بدائل أكثر نجاعة وإفادة للمجتمع الأوروبي عامة والطالب خاصة.

[1]– جماعة من أساتذة التربية: التطور التربوي في العصر الحديث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، ص8.

المحور السابع

التربية في عصر النهضة الأوروبية

كلمة النهضة تعني البعث الجديد أو الميلاد لأفكار قدماء الإغريق، ويعتبر عصر النهضة مرحلة انتقال بين تربية العصور الوسطى وتربية العصور الحديثة وتمتد من القرن الرابع عشر حتى السادس عشر.

ويطلق عصر النهضة على الفترة الزمنية في أوروبا بين القرن الرابع عشر والسادس عشر وكلمة Renaissance تعني المولد الجدي، وهي تشير إلى بحث الروح القديمة الكلاسيكية، بعثها إلى الحياة على دعامات الفلسفة الإغريقية[1]

وتعتبر هذه القرون مرحلة انتقال بين العصور الوسطى وتربية العصور الحديثة، بل إنها الفترة التي بذرت فيها بذور التربية الحديثة.[2]

أولا- عوامل النهضة الأوروبية

إن النهضة الأوروبية لم تكن وليدة الصدفة وإنما نتيجة لمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، المباشرة وغير المباشر التي جعلت العالم يغير مركز الحضارة من العالم الإسلامي إلى الغرب المسيحي، نذكر من أهمها:

- وصول التأثير العربي الإسلامي: وهو التأثير أو الوصول الذي تحقق عبر ما يسميه العلماء (بمعابر الحضارة) الإسلامية من الشرق إلى الغرب، وهذه المعابر الحضارية هي: القوافل التجارية، الحروب الصليبية، الأندلس وصقلية، وآلاف الكتب العلمية التي ترجمت من اللغة العربية إلى اللاتينية، فعن طريق هذه المعابر تم الاتصال بين الغرب المتخلف والشرق المتقدم وتم التفاعل بينهما وتم التلقيح الحضاري الذي أثمر الحضارة الغربية الحديثة.[3]

فعن طريق هذه المعابر المختلفة أدخلت علوم أرسطو في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في كل أنحاء أوروبا الغربية عن طريق علماء العرب والعبرانيين الذين ترجموا أعمال اليونان إلى العربية ثم ترجمت إلى اللاتينية، وفي منتصف القرن الثالث عشر كان العالم

[1] - سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص390.

[2] - نفس المرجع، ص361.

[3] - عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص259.

المسيحي يملك ترجمات دقيقة للأعمال العلمية في الأحياء والكمياء والفلك والميتافيزيقا والأخلاق والسياسة.[1]

وعن أحد أهم هذه المعابر أو العوامل يحدثنا غوستاف لوبون عن دور الترجمة للتراث العربي في حصول النهضة الغربية، حيث يردد لوبون ويلح بأن العلوم دخلت أوروبا من إسبانيا وصقلية وإيطالية، وذلك أن مكتبا للمترجمين في طليطلة بدأ سنة 1130م ينقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون، ولم يتوان الغرب في أعمال الترجمة طيلة القرون 12 و13 و14 من الميلاد، وأن هذا الفعل التربوي لم يقتصر على ترجمة علماء الإسلام كالرازي وابن سينا وابن رشد، بل نقلت أيضا كتب علماء اليونان التي كان المسلمون قد ترجموها إلى لغتهم ككتب جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وإقليدس وأرشيميدس وبطليموس، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب.[2]

ويذهب غوستاف لوبون مذهبا بعيدا جدا في دور الفكر التربوي الإسلامي في بلورة النهضة الغربية بقوله: والحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم إلاّ من خلال ترجمتها إلى اللغة العربية، وبفضل هذه الترجمة اطّلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع أصلها، وأنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان، وينقل لوبون اعترافا لأحد علماء أوروبا بقوله لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون وعرب الأندلس وحدهم هم الذين صانوا ذلك في القرن العاشر الميلادي، ولم يكن في العالم في ذلك الزمن بلاد يمكن الدرس فيها غير الأندلس العربية، وذلك خلا الشرق الإسلامي طبعا، وإلى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلون لطلب العلوم في الحقيقية.

ولم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر من الميلاد عالم لم يقتصر على استنساخ كتب العرب، وعلى كتب العرب وحدها عوّل روجر بيكون وغيره، وظلت ترجمات كتب العرب

[1] – عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص262

[2] – غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص545.

ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس في جامعات أوروبا خمس قرون أو ستة قرون، ويمكننا القول إن تأثير العرب في بعض العلوم كالطب مثلا دام إلى أيام غوستاف لوبون، وكانت فلسفة ابن رشد ومنهجه الحجة البالغة في جامعات أوروبا مند القرن الثالث عشر من الميلاد ولما حاول لويس الحادي عشر تنظيم أمور التعليم في سنة 1473م أمر بتدريس مذهب هذا الفيلسوف العربي ومذهب ارسطو[1]

– تشكل الطبقة الوسطى: لقد كان ظهور الطبقة الوسطى من العوامل التي حطمت دعائم المجتمع الأوروبي القديم المتخلف، ومهدت مع غيرها من العوامل لثورة الإصلاح، فقد كان لنمو المدن وظهور طبقة التجار والحرفيين فيها بالتدريج، أن كسّر القبضة الحديدية للإقطاع، وأن يندر ببدء نزع عقلية جديدة داخل أوروبا قوامها التمرد على الفكر القديم وعلى ما تقدمه الكنيسة من علم وما تفرضه من إرهاب فكري.

– الحركات الفكرية التصحيحية النابعة من داخل الكنيسة والتي مهّدت للتغير الأيديولوجي في الغرب كحركة توماس الأكويني، وقادت إلى تغيرات عقلية كانت المفجر لثورة الإصلاح الديني، وهي التغيرات التي يرى البعض أنها حدثت أولا في عقول أولئك الأوروبيين الذين تعلموا في الجامعات الإسلامية في الأندلس ومن أبرزهم روجر بيكون، ومارثن لوثر زعيم الإصلاح البروتستانتي وإيراسموس الألماني وغيرهم، وأهم ما يميز معالم هذه التربية هو التعمق في دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما وإحياء فكرة التربية الحرة، والاهتمام بدراسة الآداب الأوروبية القديمة [(2)]

ثانيا– سمات وخصائص عصر النهضة

إن من أهم السمات والخصائص التي يمكن أن نذكر بأنها كانت تميز عصر النهضة الأوروبية ما يلي:

– بداية ظهور الدول القومية في مقابل تراجع النظام الإقطاعي

– استمرار موجة الحروب الطويلة بين الدويلات والمماليك الأوروبية، وأشهرها حرب المائة عام التي بدأت بين فيلب الرابع ملك فرنسا وإدوارد الأول ملك إنجلترا.

[1] – غوستاف لوبون: مرجع سابق، ص547.

[2]– كايد ابراهيم عبد الحق: مرجع سابق، ص39.

– نمت التجارة وبدأت في الازدهار خلال القرنين الثاني والثالث عشر وأصبحت مدن إيطاليا وشمال ألمانيا مراكز هامة للتجارة.

– اكتشاف العالم الجديد المتمثل في الأمريكيتين وما صاحب ذلك من انعكاسات اقتصادية خاصة على أوروبا.

– بدأ خلال هذه الفترة تأثير ودور الطبقة المتوسطة التي تشكلت من خلال التجار خاصة يتعاظم أكثر وأصبح تدخلها وتوجيهها للسياسات الوطنية واضحا.

– عرف عصر النهضة كثرة ثورات الفلاحين ضد نظام الضرائب والنظام الإقطاعي بصفة عامة بعد تشبعهم بقيم الثورة.

– عرف عصر النهضة أيضا انتشار المجاعات وازدحام المدن ونقص الرعاية الصحية وانتشار الأمراض المعدية.

– نمت خلال هذه الفترة الحركة المضادة للبابوية بسب التصرفات السيئة لرجال الكنيسة من جهة وبسب زيادة الوعي لدى الشعب من جهة أخرى.

– نمت دعوة الحركة الطبيعية التي تقول بأن للطبيعة البشرية صفات للخير متضمنة فيها، وهي الحركة التي كانت تحديا صارخا لمذهب الخطيئة المتأصلة والتأكيد على الشر الفطري في الطبيعة البشرية.

– نمت خلال هذا العصر الاهتمام بالأدب الكلاسيكي القديم في ظل الحركة الإنسانية.[1]

ثالثا– أهداف التربية في عصر النهضة

كان الهدف من التربية في عصر النهضة متمركزا بالأساس أو منصبا على دراسة الآداب واللغات أي على العلوم الإنسانية.

كما هدفت التربية في عصر النهضة إلى إعداد الأفراد لحياة مدنية ليكونوا في خدمة الدولة والكنيسة والنبلاء وكبار التجار.

كما هدفت التربية التي نادى بها رجال الإصلاح الديني الذين تزعموا هذا العصر إلى الجانب الإنساني، بتنمية المعتقدات الدينية وزيادة ميل الطفل وحبه للكنيسة.

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص362–363.

كما آمن البروتستانت الذين قادوا الإصلاح الديني بأن الحياة الواقعية جديرة بأن تعاش كالحياة الدينية، وأنّ على التربية إعداد الناشئة للقيام بواجباتهم المهنية والاجتماعية والمدنية والدينية، ولقد اعتقد مارتن لوثر وكالفن أن التربية إعداد للحياة الاجتماعية والدينية، وأن العقائد الدينية لا بد أن تعاش.

رابعا- ملامح التربية في عصر النهضة

إن أهم ملمح يمكن التأكيد عليه خلال عصر النهضة هو التربية الإنسانية التي سادت خلال هذا العصر وكانت العنوان الأبرز له، بل إن الدكتور سعد مرسي يقول إنّه يتضح من الاتجاهات الإنسانية في بعض المناطق الأوروبية أنّ الأدب الكلاسيكي أصبح إله الصدارة وأصبح الشخص المثقف هو الدارس للآداب الإغريقية واللاتينية. [1]

كما ساد خلال هذا العصر حركة الإصلاح الديني بمدلولها التربوي وما شكلته من حركة تصحيح ديني لما رأت أن الكنيسة الكاثوليكية قد وقعت فيه خلال العصور الوسطى، وهو التصحيح أو التجديد الذي ترك له أثرا واضحا في العقلية العلمية والفكرية الأوربية للقرون اللاحقة.

خامسا- المؤسسات التعليمية في عصر النهضة

لقد بين محمد منير مرسي أنواع المدارس التي ظهرت في عصر النهضة الأوروبية بأنها المدارس الأولية المحلية التي كانت تعلم القراءة والكتابة والحساب والغناء والمدارس الثانوية التي كانت مدارس البلاط في إيطاليا نموذجاً لها، ونشأ على غرارها مدارس النحو اللاتيني في انجلترا ومدارس الليسه في فرنسا ومدارس الجمنازيوم في ألمانيا، والجامعات التي قامت بدور كبير في دفع الحركة[2]، ويضاف إليها الأكاديميات العلمية التي كانت من أهم المؤسسات العلمية التي ظهرت خلال عصر النهضة وبدأت تفرض نفسها على واقع المجتمع الأوربي فقد أنشئت (الجمعية الملكية للعلم التجريبي) في انجلترا سنة 1663، وأنشئت الجمعية العلمية البروسية سنة 1700 وبنهاية القرن الثامن عشر كانت هناك جمعيات علمية في معظم دول غرب أوربا.

[1]- سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص 369.

[2]- عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 207.

ويرى تيرنر أن إنشاء هذه الأكاديميات يعتبر حدثاً على أكبر جانب من الأهمية في تاريخ العلم، حيث أنها جمعت بين الباحثين في مختلف الميادين، وكان تبادل الآراء في حد ذاته ذا قيمة لتقدم العلم.[1]

سادسا- التربية الإنسانية

التربية الإنسانية هي التربية القائمة على دراسة اللغات والآداب القديمة (اليونانية واللاتينية) التي سميت بالمواد الانسانية، وذلك بالطريقة التي كان ينادي بها شيشرون، حتى سميت الحركة التي تتبع هذا الأسلوب «الشيشرونية»، وقد نادى اتباع شيشرون بأن الغرض من التربية هو تدريب المتعلمين على اتباع الأسلوب اللاتيني، وأن أسلوب شيشرون هو المثل الأعلى الذي يمكن اتباعه، ولقد رأوا أن العمل المدرسي يجب أن يقتصر على دراسة مؤلفاته وأن القدرة على القراءة والكتابة اللاتينية الهدف الوحيد للتربية[2].

ولقد كانت التربية الإنسانية ترتكز في دعوتها أو منهج عملها واشتغالها من أجل تحقيق ما سبقت الإشارة إليه على مبادئ وأسس وهي:

1 - أهمية نمو الإنسان كفرد.

2- ضرورة العناية بطبيعة واهتمامات المتعلم في تربيته.

3- ضرورة تحرر الفرد من ظلمة وجهالة العصور الوسطى

4- ضرورة تقديم دراسات واقعية للمتعلم.

ويبقى إلى أن نشير بأنه على الرغم من تأثير الحركة البارزة في ثقافة هذا العصر إلاّ أن عددا قليلا من مدارس الإنسانيين نجحت في اجتذاب الأطفال الصغار، وذلك أنها كانت دائما تحت مطارق النقد التي وجهت إلى هذه التربية ومؤسساتها بأنها ليست عقلية المحتوى وأنها لا تدرب العقل.

أما التعليم العالي فقد تأخر قليلا بسبب المعارضة والرفض الذي لقاه في البداية من طرف الكنيسة، ولم تعرف انفراجا لهذه الوضعية إلاّ بعد تشجيع البلاط للتربية الإنسانية، وكان ذلك بالأساس في إيطاليا.

---

[1] - عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص279.

[2] - محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 179.

ومع تقدم الحركة الإنسانية في إيطاليا وغزوها جامعات شمالها في القرن الخامس عشر بدأت تشق طريقها رويداً رويداً في فرنسا، حتى استطاع الملك فرنسيس الأول تأسيس Collegede France، التي كان بها كراسي أساتذة لليونانية القديمة والعبرية واللاتينية والفرنسية والقانون والفلسفة والرياضيات والطب، مما شجع على انتشار المذهب الإنساني كما أشرنا في موضع سابق، ثم تبع ذلك بعض الأقطار الأوروبية كألمانيا وغيرها.[1]

- محتوى التربية الإنسانية

- كان محتوى التربية الإنسانية مشتملا بصورة أساسية على قواعد اللغة اللاتينية واليونانية.
- دراسة مستفيضة لمؤلفات «شيشرون وفيرجيل».
- مبادئ الحساب
- التدريب على نمط الخطابة الذي يعتمد الأسلوب الشيشروني الكلاسيكي
- دراسة التاريخ والأخلاق من كتاب القدماء.

- طرق وأساليب التربية الإنسانية

أما عن طرق وأساليب التربية فقد كان طغيان الجانب الشكلي واضحا في أساليب التربية المعتمدة، أين كان يتم تعليم الأطفال بطريقة شكلية دون مراعاة لطبيعة الطفل وميوله، فالطفل في نظرهم رجل صغير لا يختلف عن البالغ في الميول والقوى العقلية، لذلك كان الطفل يكلف عند قدومه للمدرسة بمعرفة لغة أجنبية، وكان ذلك في العادة قبل أن يتمكن من قراءة لغته الأصلية وكتابتها، وكان يؤدي ذلك الواجب بدراسة شكلية لقواعد اللغة والبيان، كما كان عليه أن يحصل على هذه المعلومات من كتب اللغة الأجنبية نفسها، وقد نشأ عن ذلك اهتمام كبير بقوى العقل خاصة التذكر.[2]

بل صارت الناحية الشكلية من هذه الآداب ذات أهمية كبرى بدلا من محتواها، ومع هذه الشكلية التي طغت على الفعل التربوي انحصر تماما استعمال معنى المواد الإنسانية على اللغتين الإغريقية واللاتينية وآدابهما.

[1]- سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص371.

[2]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 179.

– كما لم تخلوا أساليب التربية من الحظ من العقاب الذي كان يعتقد بأهميته في التعلم كدافع للدراسة، ولكن دون المبالغة فيه كما يذكر سعد مرسي

– ويبين سعد مرسي على أنهم اهتموا بالحفظ والاستظهار في تدريسهم لمحتوى التربية الإنسانية.

– كما كانوا يرون أن التقليد والتكرار مهمان حتى يتمكن المتعلم من التعلم.

سابعا– حركة الإصلاح الديني وتأثرها التربوي في عصر النهضة

إن حركة الإصلاح الديني جاءت كاحتجاج صارخ على قصر سيطرة الكتاب المقدس على المسائل الدينية، واحتجاج على سيطرة رجال الدين، ورغبة في تحكيم الفرد عقله في تفسير الكتاب المقدس، وثورة على الأوضاع العامة السائدة في أوروبا بسب فساد الكنيسة الكاثوليكة.

ويقول إيبي وأرووود Arrowood & Eby (1934): "إن ثورة القرن السادس عشر التي تعرف عادة بالإصلاح كانت شاملة متعددة الجوانب عميقة الأثر في تاريخ العالم الغربي، فإذا تصورت أن الاصلاح الديني كان مجرد إصلاح لتنظيم الكنيسة أو المعتقد الديني – على الرغم من أهمية هذه الأمور – فقد أسأت تفسير الأثر العميق الذي أحدثته هذه الثورة في مجال التقدم الإنساني، فلقد أثرت في كل جانب من جوانب شخصية الإنسان، لقد أدى الإصلاح الديني إلى تغيرات سياسية واقتصادية ودينية وخلقية وفلسفية وأدبية وتنظيمية عميقة، إنه كان ثورة وإعادة بناء، لقد أكمل الإصلاح الديني الجهود السابقة لأصحاب النهضة الشمالية.[1]

ويمكن ذكر أهم التأثيرات التربوية لحركة الإصلاح الديني التي عرفها عصر النهضة والتي جاء بعدها متوافقا مع التربية الإنسانية التي سادت هذا العصر فيما يلي:

– الاهتمام بالمواد الإنسانية وخاصة دراسة اللغات الكلاسيكية ما يتيح للدارس قراءة ودراسة الكتاب المقدس وكتب الآباء بلغتها الأصلية.

– محور الدراسة أو التربية هو الدين والإعداد اللغوي.[2]

[1] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص208.

[2]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص377.

– أنه كان لها الفضل في بداية ظهور التعليم المدني، ويمكن أن نطلق على هذا التعليم العام أو التعليم الشعبي الذي يتيح الفرص لأفراد الشعب لنيل قسط من التعليم، وقد سار هذا التعليم المدني جنباً إلى جنب مع زميله التعليم الذي تشرف عليه الهيئات الكنسية.

– الاهتمام بالأسرة كمؤسسة تربوية خاصة في مراحل النمو الأولى.[1]

– لقد كان من أهم تأثيرات حركة الإصلاح الديني هو إضفائها جوا صالحاً للتعليم، أي خلقت الأداة التي تساعد على نشر الفضيلة وتهذيب الناس بوسائل الدعوة والإقناع.

– كانت السباقة إلى فكرة التربية الحرة من خلال عملها ودعوتها إلى التجرد من سطوة الكنيسة الكاثوليكية.

– كانت صاحبة فكرة المدارس الثانوية الحديثة وفكرة التعليم العام، الذي لم يمكن الوصول إليه حتى القرن التاسع عشر، تحت تأثير كل من الثورة الصناعية، والحرية السياسية، أو نشوء القومية، أو تحت تأثيرها جميعاً.[2]

– كذلك يلاحظ أن التربية في عصر الإصلاح، قد صار ينظر إليها على أنها تعد للحياة، وعلى أنها أصبحت ضرورة اجتماعية.

– فكرة التعليم الإلزامي في العصر الحديث: وهي الفكرة التي يرى بعض الباحثين أنها كانت من نتائج الإصلاح البروتستانتي، فقد كان من نتيجة حركة الإصلاح البروتستانتى، أن «دعا لوثر بلديات المدن الألمانية إلى فتح المدارس، وحض الآباء على إرسال أولادهم إليها، كما حمل أحد أتباعه المشاهير، المدعو ميلانكتون أمير ساكسونية، على إصدار أمر سنة 1528 بتأسيس المدارس في كل قرية ومدينة، وكان ذلك بدء انتشار المدارس في المدن والقرى، لا في ألمانيا وحدها، ولكن في كل البلاد التي انتشرت البروتستانتية فيها، وكان ذلك في الوقت ذاته بداية فكرة التعليم الإلزامي في العصر الحديث، فقد جعلت بعض الولايات الألمانية، التعليم الأولى إجبارياً على الأطفال. [3]

---

[1]– سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص382

[2]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، ص274.

[3]– نفس المرجع، ص275.

غير أنه يجب ألاّ يفهم كما ذكر الدكتور عبد الغني عبود أن عصر الإصلاح قد تمكن من إزالة سلطان الكنيسة تماماً، وانتزاع التعليم من بين أيديها ليوضع في يد الدولة، فقد فشلت كل الجهود السابقة، للتخفيف من سيطرة الكنيسة على شؤون التعليم وكل ما أتى به الإصلاح هو أنه «أوجد مبدأ جديداً، وهو مبدأ الشركة بين الكنيسة والدولة في الإشراف على هذه الشئون، بعد أن كانت الكنيسة وحدها تستبد بها قبل عصر الإصلاح.

– محتوى وأساليب التربية لدى رجال الإصلاح الديني

– كان الكتاب المقدس هو كتاب القراءة في المرحلة الابتدائية والمقرر الرئيسي، أما المدارس الثانوية فقد اهتمت بدراسة اللغات اللاتينية والإغريقية والعبرية باعتبارها وسيلة لفهم الكتاب المقدس.

– كما اهتم رجال الإصلاح الديني بالتدريب البدني والتدريب المهني وطالب لوثر بأن يدرس الطالب ساعتين فقط في اليوم المدرسي ويعمل معظم الوقت في أعمال مهنية.

أما ما تعلق بطرق وأساليب التربية فإن رجال الإصلاح الديني لم يبدعوا أكثر مما كان موجودا وشائعا في ذلك العصر ولم يخرجوا على ما كانت تعتمده الحركة الإنسانية من طرق في التربية، فكانت طرق القراءة والحفظ – حفظ الكتاب المقدس وحفظ الاجابات عن الأسئلة وحفظ المنصوص والقواعد النحوية هي الشائعة في تعليم الكتاب المقدس، مع التأكيد على أهمية التكرار في التعليم والاشراف الدقيق على التلاميذ في جميع المراحل التعليمية.

– كما كان لهم حظ من استخدام العقاب البدني كغيرهم من مدارس عصر النهضة[1].

ثامنا– سمات وخصائص التربية في عصر النهضة

– ظهور الاهتمام بالآداب الكلاسيكية القديمة والعلوم الانسانية لاسيما في التعليم الثانوي باعتبارها العلوم التي تربي الانسان الحر، وهي الفكرة اليونانية والرومانية القديمة للفنون الحرة.

– تركّز الاهتمام حول الانسان والحياة الدنيا والاستمتاع بها.

– تركّز الاهتمام بالأخلاق أكثر من التركيز على الدين في حد ذاته.

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 210.

– الاهتمام بالتربية الفنية والجمالية والرياضية كجزء من التربية الحرة وهو ما يعتبر إحياء للفكرة اليونانية القديمة.

– شهد عصر النهضة ظهور المدارس العامة لتعليم العامة باللغة المحلية وكانت أقل من المدارس الأخرى، كما شهد أيضاً بداية انشاء مدارس لتعليم البنات مبادئ التربية في بعض المدن ولاسيما في ألمانيا وهولندا وفرنسا.

– كانت التربية في عصر النهضة بصفة عامة تربية ارستقراطية وتربية الخاصة والطبقات الغنية وتركزت كذلك حول مثل الانسانية والكلاسيكية وتنمية الرجل المهذب، أما الكنيسة فتركز اهتمامها اساساً على تربية رجال الدين واعداد القيادات الكنسية. [1]

– إدخال بعض الدروس على التربية المسيحية التي كانت سائدة من قبل كاللغات القومية والمنطق والرياضيات والعلوم

– الاهتمام بالصحة الجسدية والنفسية للفرد، وإطلاق سراح العقل وتحريره من القيود [2]

– ظهور النزعة العقلية والدعوة إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني

– اختراع الطباعة 1440م

– الاهتمام بالتجريب والاستكشاف الجغرافي والفلكي والطبيعي [3]

[1]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص180

[2]– خالد أبو شعيرة وثائر غباري وناصر المخزومي: مرجع سابق، ص79

[3]– كايد ابراهيم عبد الحق: مرجع سابق، ص39.

عند نهاية هذا المحور جاز لنا القول بأنه لم يقدم لنا عصر النهضة تقدما في العلم يقاس بما حققه القرنان السابع والثامن عشر، ولكنه أرسى دعائم التقدم العلمي وهزّ أركان السيطرة الدينية عليه، وجعلها تسير حثيثا في طريق الضعف.[1]

– كان إسهام الإنسانيين في الفكر العلمي يتم بطريق غير مباشرة، من خلال تأكيدهم على فلسفة أن الإنسان ككائن بشرى يجب أن تحتل مشاكله الدنيوية مركز الصدارة مما أدى إلى إثارة نمو الاهتمام بالأمور الدنيوية وحب الاستطلاع العلمي وهذا ما يميز العقل الحديث.

– إن ارتباطهم بحركة الإصلاح الديني جعلهم في ركاب المعتقدات الدينية والإيمان بقوى عليا مهيمنة والابتعاد عن العقلانية.

– إن الانشغال والاهتمام الكبير الذي أولاه الإنسانيون في تقدير وخشوع للتراث القديم، أوقعهم عبداً لكلمات وأفكار الكتاب القدماء مثل شيشرون، وإن كانوا في دعواهم قد حاولوا تحرير عقل الإنسان.

– أما بالنسبة لحركة الإصلاح الديني فقد نجحت في خلخلت السلطة والمعتقدات السائدة مما فتح أبواب ضخمة لآراء كثيرة تتحدى ما ظنه المسيحيون غير قابل للمناقشة، وبهذا – بطريق غير مباشرة كما يرى سعد مرسي أتاحت البروتستانتية الفرصة للتقدم العقلي.[2]

– كذلك إن من أهم مخرجات عصر النهضة هو الاهتمام بالعالم الطبيعي وقوانينه في حركة النهضة العلمية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عندما تحول اهتمام التفكير من عالم ما فوق الطبيعة إلى العالم البشرى، ثم تركّز في العالم الطبيعي وقوانينه، ولعل أخطر وأعظم اختراع كان طريقة البحث الجديدة وهي الملاحظة والتجريب، فإن كل التغيرات التي طرأت على التفكير والمؤسسات الاجتماعية ترجع في أصولها إلى فضل العلم science وتأثيره على ميادين التربية والدين والأخلاق.[3]

---

[1] – سعد مرسي أحمد: مرجع سابق، ص363.

[2] – نفس المرجع، ص 387.

[3] – نفس المرجع، ص389.

المحور الثامن

التربية في العصور الحديثة

التربية في القرن السابع عشر

لقد شكلت العصور السابقة تمهيدا لهذا العصر، فبعدما كانت العصور السابقة تشهد ميلاد ثورات فكرية أدبية وفنية في القرن الخمس عشر ودينية اجتماعية وسياسية في القرن السادس عشر، فإنها أصبحت تربية علمية في القرن السابع عشر، وبعدما كان كان الحديث في العصور السابقة عن تعلم اللغات القديمة وآدابها فإن الحديث تحول إلى البحث عن الحقيقة وعن مظاهر الحياة الطبيعية والواقعية والاهتمام بجعل الأساليب التربوية التهذيبية موافقة للمحيط الاجتماعي والإطار الزمني، ويمكن القول أنّ هذا العصر شهد ظهور بعض الفلسفات والحركات التي سيكون لها تأثير كبير في تاريخ التربية في ما بعد (كفرنسيس بيكون) و(وجون لوك) وغيرهم، وخلاصة القول يمكن اعتبار هذا العصر عصر التربية العقلية والإيمان المفرط في قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة.

نعم لقد تحطّم بشكل بسيط ونهائي كل منظومة الاعتقادات المتعلقة بمظاهر الكون وتركيبه والمنظومة الميتافيزيقية التي كانت مقبولة حتى ذلك الوقت، لقد كان الأمر بمثابة ثورة ثقافية حقيقية، لقد كانت إعادة نظر في كثير من الأشياء، لقد أصبح معها كل البناء الجغرافيو– ديني محل إعادة تفكير.[1]

وبشكل عام لقد برزت خلال هذا القرن فضلا على ما تم ذكره عوامل ايجابية ساعدت على تقدم التربية تقدماً كبيراً، من أهمها:

– إنشاء المؤسسات العلمية التي قامت في كثير من البلدان الأوروبية لمتابعة التقدم والاختراع والتي كان من أهمها الجمعية العلمية الملكية التي تأسست في لندن عام 1662 وأكاديمية العلوم الفرنسية التي تأسست في باريس عام 1662.

– كما ظهر عدة علماء في القرن السابع عشر قضوا على كثير من النظريات العلمية التي سادت في العصور الوسطى أمثال العالم الفلكي جاليلو والعالم الرياضي نيوتن.

– طبقت نتائج الأبحاث العلمية على الملاحة نهاية القرن السابع عشر وأصبح البخار أهم طاقة لتشغيل الآلات والتعدين والطب والزراعة وفروع كثيرة من الصناعات.

[1]– حميد زنار: في نشأة الكون والحياة والإنسان، منشورات الاختلاف ومنشورات الضفاف، الجزائر، 2013، ص17.

– شكّل المذهب الواقعي واجهة التربية في هذا العصر.

– الحركة الواقعية واجهة الفكر والتربية في هذا العصر

إذا كانت الحركة الإنسانية هي عنوان التربية في عصر النهضة فإن المذهب الواقعي هو واجهة التربية في القرن السابع عشر، وهي الحركة التي ظهرت أو نشأت أصلا كما يقول وايلدز Wilds (1944): كرد فعل أو احتجاج على ضيق أفق الحركتين الإنسانية والدينية، اللتين سادتا خلال عصر النهضة، وفي ذلك يقول إيبي وأروود Arrowood & by(1934): بينما كان رجال الكنيسة مستغرقين في خلافات تتعلق بالحياة الأبدية المطلقة، ورجال التعليم منبرين لمحاربة الشكلية والروتين، كان العلماء يزيدون رصيد المعرفة الإنسانية من خلال الكشف عن الجديد.[1]

غير أنه ينبغي أن نبين أن الحركة الواقعية اتخذت لها مشارب فكرية متعددة يميل المؤرخون إلى التمييز بين ثلاثة جوانب لها هي الواقعية الكلاسيكية أو اللغوية أو الإنسانية والواقعية الاجتماعية والواقعية الحسية أو العلمية، وهو التعدد الذي تبعه على ذلك اختلاف في أهداف التربية ومحتوها لدى كل جهة، وهنالك من يضيف مذهبا رابعا للواقعية وهو المذهب التهذيبي.

أولا– أهداف التربية الواقعية

1– أهداف التربية لدى المذهب الواقعي الإنساني: الذي يرى أن التربية لا تهدف فقط إلى كسب المعرفة بل تهدف أيضاً إلى تحقيق النمو الجسمي والخلقي والاجتماعي للفرد، والبلوغ إلى المعرفة الكاملة عن المجتمع الإنساني عن طريق دراسة المدنيات القديمة، إنهم لم يدرسوا المدنيات القديمة واللغات الكلاسيكية لذاتها وإنما باعتبارها وسيلة الحصول على معرفة شاملة عن المجتمع الإنساني.[2]

ومن أبرز دعاة هذا المذهب الأديب الانجليزي جون ميلتون الذي نظر إلى التربية على أنها عملية إعداد لحياة دينية أخلاقية عملية.

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 211.

[2]– نفس المرجع، ص 211.

2- أهداف التربية لدى المذهب الواقعي الاجتماعي الذي ينظر إلى التربية على أنها وسيلة لإعداد الفرد للحياة الاجتماعية الناجحة السعيدة المملوءة بالمسرات، ولذلك دعت إلى إعداد الشباب لعالم العمل وتزويده بالقدرات التي تعينه على النجاح في الحياة الاجتماعية والاستمتاع بوقت فراغه.

ومن أبرز أنصار هذا المذهب المربي النفسي فرنسيس دابليه الذي يعتقد أن الطبيعة البشرية خيرة ولهذا يجب أن تعطى الفرصة الكاملة لكي تنمو بكل طاقاتها وامكاناتها.

3- أهداف التربية لدى المذهب الواقعي الحسي الذي يعلي من شأن الحواس ومن شأن الإدراك الحسي في المعرفة ويوجب استخدام طريقة الاستقراء في دراسة المواد المختلفة ويحترم الطبيعة ويوصي باستخدام الطريقة العملية الحديثة في البحث، ولذلك استهدفت تزويد الناشئة بالحقائق الأساسية عن العالم الطبيعي والاجتماعي التي ينبغي أن يتصرف وفقاً لها ومن أنصار هذا المذهب فرنسيس بيكون.

4- أهداف التربية لدى المذهب الواقعي التهذيبي الذي يقوم على مبدأين رئيسيين هما:

أ- النظرة إلى التربية على أنها عملية تهذيب لملكات الشخص العامة.

ب اعتبار شكل العملية التعليمية أهم من المادة المتعلمة نفسها ومن أنصار هذا المذهب جون لوك.[1]

ثانيا- محتوى وأساليب التربية الواقعية

لقد حاول الواقعيون بحق الخروج بكل جدية من آثار العصور السابقة والتخلص بلا رجعة من محتوى وأساليب التربية التي سادت في تلك العصور، والانتقال بالفكر التربوي إلى مرحلة جديدة ينتقل بها ومن خلالها الانسان إلى فاعل حقيقي في العالم الواقعي غير خاضع لغيره من القوى، فكان من أهم الطرق التي نادى بها الواقعيون هي:

- جعل التعليم خبرة سارة بالنسبة للمتعلمين.
- التأكيد على أهمية مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ
- المشاركة في الأنشطة العملية
- نقد الطرق الشكلية خاصة طريقة الحفظ.

[1]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 182-183.

– التأكد على أهمية الفهم والاحتكاك بالطبيعة والأشياء والناس وأهمية نشاط المتعلم.

– التلقي عن العالم الطبيعي والخبرة الحسية وملاحظة الأشياء.

– اعتماد الطريقة العلمية التي وضعها بيكون في التدريس القائمة على استخدام الاستدلال الاستقرائي.[1]

ثالثا– مبادئ التربية الواقعية

لقد صاغ كومنيوس عدة مبادئ تعليمية أوردها وايلدز Wilds 1942 النحو التالي:

– يجب أن يوافق التعليم الاهتمامات الطبيعية للطفل.

– الاعتماد على الأشياء في تعليم الطفل.

– ما يعلم يجب أن يكون تطبيقاً عملياً على الحياة.

– تعليم الأمور البسيطة أولاً.

– شرح المبادئ العامة ثم الاهتمام بالتفاصيل

– يجب دراسة الأشياء في تتابعها.

– لا يجب الانتقال من موضوع إلى موضوع حتى يتمكن الطالب من الموضوع الأول.

– يجب التأكيد على الفروق بين الأشياء حتى تكون المعرفة واضحة ومتميزة.

– يجب تدريب الحواس والذاكرة والخيال والفهم يومياً.

– يجب أن يسير التعلم من المعروف إلى غير المعروف.

– يجب أن يكون التعليم مناسباً لمستوى فهم الطالب.

– يجب أن يتعلم الأطفال العمل عن طريق العمل.

–لا ينبغي الاعتماد على الكلمات الجوفاء في التعليم.

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 213.

التربية في القرن الثامن عشر (عصر التنوير)

وهو القرن الذي شهد سيطرت الروح العلمية وانتشارها بشكل واضح بفضل جهود فلاسفة القرن السابع عشر ومن سبقهم، وتقلص كبير في تأثير الكنيسة وخاصة الكاثوليكية منها[1]، وهو عصر تحديد الإطار الأيديولوجي الذي يجب أن تكون عليه الحياة في الغرب.[2]

وقد كان هدف التربية في عصر التنوير هو الرفع من شأن العقل وتحكيمه في كل الأمور بما في ذلك الأمور الدينية ورفض كل سلطة لا تستطيع أن تجد لها ما يبررها في عقل الفرد، وآمنت هذه الحركة بأن العقل البشري وحده الوسيلة إلى السيادة الانسانية وإلى الثورة ضد الظلم بجميع أشكاله، كذلك حاربت هذه الحركة أعمال الجماعات الدينية، وجاهرت بأن الدين ليس إلا أوهاماً وخرافات، وكانت فرنسا مركز حركة التنوير.

وساد خلال هذا القرن الفلسفة الطبيعية بمضامينها التربوية وعُد روسوا أبرز دعاة الحركة الطبيعية وكتابه إميل المنهاج الرئيسي للتربية الطبيعية.

ويؤخذ على الحركة التنويرية الطبيعية أنها حركة ارستقراطية تهدف إلى انشاء ارستقراطية العقل على أنقاض ارستقراطية الأسرة والكنيسة، وأنها لا تهتم إلاّ بالطبقة المستنيرة من الشعب، حتى أن فولتير وصف مجموع الشعب بأنهم أغبياء وأنهم ثيران، كذلك يؤخذ عليها أنها لا تهتم بالعواطف والمشاعر الانسانية، كما أنها لم تفرق بين الدين في سموه وبين ممارسات رجالات الكنيسة.[3]

أولا- خصائص التربية في عصر التنوير

- لقد سارت التربية في عصر التنوير أكثر إنسانية، بمعنى أنها صارت أكثر اهتماما بحاجات الانسان المتعلم بعدما كانت أكثر اهتماما بالمادة العلمية، وذلك من خلال التركيز على حاجات الإنسان ونموه الذاتي بجانب الاهتمام بالمادة العلمية والتحصيل الدراسي

[1]- سمير أبيش: مدخل إلى علوم التربية، دار خطوة، سكيكدة، الجزائر، 2023، 68.

[2]- عبد الغني عبود: مرجع سابق، 282.

[3]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، 184.

– عرف التعليم خلال هذا العصر رقابة الدولة على التعليم كنتيجة حتمية لظهور وتشكل الدولة القومية، التي سعت من خلال هذه الرقابة ضمان السيطرة على مواطنيها.

حيث أنه كلما قويت حكومة وطنية في بلد من البلاد الأوربية، كلما ظهرت فكرة الرقابة الوطنية على التعليم، ثم تعدى الأمر مجرد التفكير في بعض البلاد إلى اتخاذ خطوات إيجابية لتحقيق تلك الرقابة على تعلم الشعب في كل من ألمانيا وفرنسا، فأنشأ فردريك وليم الأول ملك بروسيا، بضعة مئات من المدارس المختلفة الأنواع منها المدارس المجانية لأبناء الفقراء واليتامى، ومنها المدارس الأولية، كما أصدر قانونين للمدارس في 1713 ، 1717، أجبر بمقتضاهما الآباء على إرسال أبنائهم للمدارس، وأصدر فيهما بعد فردريك الثاني قانوناً للمدارس في 1763، وضع به الأساس لنظام قومي للتعليم، وكان على المدارس بمقتضى هذا القانون، أن تدرس الدين والقراءة والكتابة والحساب، كما جعل الحضور إجبارياً على الأطفال من سن الخامسة حتى سن الثانية عشر.

ولما أنشئت وزارة التعليم البروسية في 1787، وضعت التعليم الأولى والثانوي تحت رقابتها، وهكذا أصبح التعليم في بروسيا منظماً تحت إشراف الدولة في نهاية القرن الثامن عشر. [1]

ولقد كان نابليون منذ البداية يرى أنه « ربما كانت مسألة التعليم أهم المسائل السياسية، فلن تكون هناك دولة سياسية ذات استقرار متين ما لم يكن لديها هيئة تدرس لها مبادئ مقررة واضحة، فإذا لم يتعلم الطفل منذ صغره أن يكون جمهورياً أو ملكياً، كاثوليكياً أو ذا مذهب حر فلن تكون الدولة هي الأمة، وإنما ستكون نظاماً مشيداً قائماً على قواعد ضعيفة معرضاً للتغير والاضطراب باستمرار، ومن ثم أنشأ نابليون، في العام الثاني لتوليه السلطة، سنة 1806، مرسوماً بإنشاء (الجامعة الامبراطورية) Imperial University ، وهي ليست جامعة، كما يدل على ذلك اسمها، وإنما هي وزارة مركزية للتربية تشرف على إدارة التعليم في فرنسا، مركزية حازمة، تضمن (صب) المواطنين في (قالب) واحد، يحقق أهداف الدولة وأغراضها.[2]

[1]– عبد الغني عبود: مرجع سابق، 295.

[2]– نفس المرجع: 302.

– انتصار الروح العلمانية على الروح الكنسية وحلول مفهوم الاستعداد للحياة ومستلزماتها بدل الاستعداد للموت وما بعده

– ظهور الفلسفة التربوية الطبيعية لجان جاك روسو[1]،

ثانيا– حركة الفلسفة التربوية الطبيعية

كانت الحركة الطبيعية من أكثر الحركات التربوية تأثيراً في القرن الثامن عشر وما تلاه من قرون بتأكيدها على الفردية والحقوق الشخصية والعدالة والمساواة والحرية وكانت الحركة الطبيعية أيضاً مقدمة للنزعتين السيكولوجية التي ظهرت في القرن التاسع عشر والاجتماعية التي ظهرت في القرن العشرين[2]

ولقد هدفت التربية الطبيعية كما قدمها روسو بالأساس إلى المحافظة على خيرية الفرد وفضائله الطبيعية وإعادة خلق المجتمع وتأسيسه على الاعتراف بالحقوق الطبيعية للأفراد.[3]

1– أنماط التربية الطبيعية

– التربية الطبيعية تربية ليبرالية وليست تربية مهنية متخصصة

– اهتمت التربية الطبيعية بالتربية البدنية والصحية،

– تؤكد كذلك على التربية الخلقية من خلال التعرض للجزاءات الطبيعية على السلوك لا عن طريق المواعظ الخلقية التي لا يفهمها الأطفال

– اهتمت التربية الطبيعية بالتربية العقلية والدينية ولكنها أجلت العناية بها حتى يكتمل نضوج الأطفال ويستطيعوا التفكير والمفاضلة بين البدائل واتخاذ القرار.

2– محتوى التربية في الفلسفة الطبيعية

كان الشغل الشاغل لروسو وأضرابه هو إعادة الطفل إلى فطرته أي إلى الطبيعة وتجنيب تدخل الراشدين بشكل مباشر في تقرير مصير حياته وهو ما جعل محتوى التربية الطبيعية يرتكز أساس على هذا المبدأ:

– الطبيعة هي المعلم الأول للطفل وكل ما يتعلق بالطبيعة هو ما يجب أن يتضمنه محتوى منهاج التربية.

---

[1] – سمير أبيش: مرجع سابق، 68.

[2] – عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 214.

[3] – نفس المرجع، 215.

– النشاطات الحسية والحركية كالجري والتسلق والعوم والرقص والزراعة والبستنة واستخدام الأدوات.

– التربية البدنية للمرأة ليكون أبناؤها أقوياء

– التعليم الديني والخلقي للبنت حتى توفر بيئة منزلية حسنة.[1]

[1]– عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، 216..

التربية في القرن التاسع عشر

إن القرن التاسع عشر هو النتيجة التي أفرزتها كل تلك الجهود التربوية والفكرية خلال العصور السابقة ولو من عصر النهضة، حيث أن مختلف تلك الأفكار والتصورات عرفت تخمرا ونضوجا وتحولا خلال هذا العصر إلى منتجات صناعية وتقنية وغير ذلك مما سينقل الإنسان إلى عالم مختلف تماما عن ذلك العالم الذي كان يعيشه، أين ستنوب الآلة عنه في العديد من الأماكن التي كان هو سيدا لها

أولا- خصائص القرن التاسع عشر

1- ظهور فكرة القومية كإطار سياسي وأيديولوجي: وظهرت فكرة القومية كنتيجة للثورة الفرنسية ونمو أفكار عصر التنوير التي بثها خاصة الفلاسفة الألمان، والإحساس بالخطر الذي كان يشكله فكر نابيلون بونابارت التوسعي، وتصدع التعصب الديني أو وحدة المرجعية الدينية التي كانت تكفلها الكنيسة الكاثوليكية فانهيار هذا الإطار التقليدي جعله يفسح المجال لمتغيرات أخرى أهما الإطار القومي، ولذلك يعد بعض الباحثين (القومية)، هي الإطار الأيديولوجي، الذي دارت فيه حياة أوربا في القرن التاسع عشر

2- التقدم العلمي الكبير والذي انجر عنه سيادة العقل والمعرفة العلمية على مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

3- ظهور ظاهرة الاستعمار كنتيجة لمخرجات الثورة الصناعية وحاجة أوروبا إلى موارد لتغذية مصانعها من جهة وتصريف منتجاتها خارج السوق الأوروبية المشبّعة.

4- الثورة الصناعية: ولقد كانت الثورة الصناعية الميزة الأهم لهذا العصر ونتيجة لما بلغة العلم من تقدم في مجال البحث العلمي خاصة الطبيعي منه وسببا في ظهور مشكلات عالمية سيعرفها العالم أخطرها ظاهرة الاستعمار والإمبريالية.

5- ظهور النزعة النفسية في التربية: ويرى أنصار هذه النزعة أن عملية التربية هي عملية إظهار قابليات الفرد المغروسة في الطبيعة البشرية، وقد سميت هذه النزعة بهذا الاسم لتركيزها على العوامل النفسية في التربية ومحاولة صبغ العملية التعليمية بالصفة النفسية، وقد نتج عن

هذه النزعة أن سادت مفاهيم عن النشاط الذاتي التلقائي للطالب وعن أهمية اللعب وأهمية الميول والاهتمامات وأهمية الملاحظة والتجربة في عملية التعليم، كما نتج عنها عطف على الطفولة ومعرفة لطبيعة الطفل وقابليته، ومن أشهر أنصار هذه النزعة فردريك فرويل.

6- ظهور النزعة العلمية في التربية إلى جانب النزعة النفسية: ولقد أعلت النزعة العلمية من أهمية العلوم الحديثة في تحقيق الحياة الكاملة للفرد وانتقدت العلوم الانسانية التقليدية التي لا تخدم حياة الانسان المعاصر، كما أعلت هذه النزعة من شأن طريقة التجربة والملاحظة العملية ومن شأن الطريقة الاستقرائية، ورأت أن المادة والمحتوى أهم من الشكل أو الطريقة ومن أبرز دعاة هذه النزعة هربرت سبنسر.[1]

ثانيا- أهداف التربية في القرن 19

اهتمت الحركة النفسية بالأهداف الفردية وحاولت جعل الطفل مركزاً للعملية التعليمية، وعنيت باكتشاف خصائص النمو في المراحل العمرية المختلفة وقوانين التعلم وتنمية الطفل من الداخل بدلاً من فرض معايير الكبار عليه.

ثالثا- محتوى التربية في القرن 19

كان محتوى التربية في هذا العصر تحت تأثير النزعة النفسية التي كان همها بالأساس اكتشاف ملكات الطفل وتنميتها وبخاصة في المرحلة الابتدائية، وهو ما جعل بستالوزي يرى أن منهج المرحلة الابتدائية يجب أن تشمل اللغة والحساب والجغرافيا ومبادئ العلم الطبيعي، لأنه كان يعتقد في ضرورة تنمية جميع ملكات الإنسان، نمواً طبيعياً في اتساق وانسجام ولقد اعتقد كل من هربارت وفروبل في أن اهتمامات الفرد وميوله مستمدة من مصدرين هما احتكاكه بالأشياء في البيئة واحتكاكه بالناس ومن ثم يجب أن تشتمل تربية الفرد على هذين المصدرين[2]

رابعا- طرق التعليم في القرن 19

لا نعتقد أن هنالك من أسهم بشكل كبير جدا في ابتكار طرق وأساليب للتعليم والتعلم الناجع والفعال مثل ما أسهم به النفسانيون وخاصة نفسانيو القرن التاسع عشر، وإن أكثر

[1]- محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 186.

[2] - عبد المجيد عبد التواب شيخة: مرجع سابق، ص 219.

الطرق الموجودة إلى اليوم من فعل عملهم وجهودهم، وذلك كله بغية استثارة دافعية الطفل نحو التعلم، ومن ذلك تأكيدهم على الطرق الكلية مقابل الطرق الجزئية في تعليم الناشئة ودراسة الأشياء بدلاً من وصفها في كلمات غامضة، وقانون الاستعداد وقانون الاستعمال وقانون الأثر، وقوانين النشاط.

خامسا– أهم مظاهر التربية في القرن التاسع عشر

– انتشار أوسع للروح القومية واشتداد التمسك بها
– التسابق في الاختراعات
– التوسع في انتشار الجامعات
– تركيز مناهج التعليم على مناهج الطلبة واهتماماتهم أكثر مما كان سابقا
– الاهتمام بالنمو العام للمتعلم وليس بالحفظ والتلقين فقط
– الاهتمام بالطريقة الاستقرائية
– إدخال اللغات العصرية في المؤسسات التعليمية
– التركيز على تعليم العلوم.[1]

وما يمكن قوله على القرن التاسع عشر هو أنه إذا كان عصر التنوير عصر الأفكار والتصورات الفلسفية فإن هذا العصر كان عصر بلورة هذه الأفكار والآراء إلى واقع

[1] – سمير أبيش: مرجع سابق، ص69.

التربية في القرن العشريــن والواحد والعشرين
أو (التربية في عصر الولد)

إن التربية في القرن العشرين وما بعده هي خلاصة لجميع التجارب الإنسانية التي مر بها الفكر التربوي، وأنها تربية استفادت بشكل مباشر من كل ما أنتجه العقل البشري خلال ملايين السنين التي مرت، وأنّ هذا العصر إلاّ خاتمة أو خلاصة لما يمكن أن يصل إليه جهد البشر في استعمال العقل لصالح الإنسان وللحياة البشرية، ولذلك لا يمكن رمي القرون السابقة بأنها قرون متخلفة أو بدائية أو وصفها أو نعتها بأي وصف يحط من قيمة الإنسان لصالح إنسان هذا العصر.

كما يجب ألا نغفل تماما أن التربية في كل عصر هي وليدة عصرها وأنها مستحكمة إلى عوامل التغير الاجتماعي التي يمر بها، وعوامل التغير الاجتماعي في العصر العشرين اختلفت تماما عما سبقها من العصور، بل إن التغير الاجتماعي بلغ درجات لم يعرفها من قبل ولذلك كان لزاما على التربية أن تنسجم وتعكس التغير الاجتماعي الذي حصل في القرن العشرين.

أولا- مظاهر التطور التربوي في القرن العشرين والواحد والعشرين

يمكن الاصطلاح على هذين العصرين بأنهما عصري التربية الحقيقة، حيث بلغت التربية مكانة مرموقة لم تعرفها المجتمعات من قبل وأصبح تطور ونمو وتقدم الدول يقاس بمدى تطور أنظمتها التربوية، خاصة مع العوائد الكبرى التي تمنحها التربية لبقية الميادين الأخرى خاصة الاقتصادية منها، ومن أبرز ملامح التربية في هذا العصر ما يلي:

- تطور ملموس ومحسوس في العلوم التكنولوجية وإبراز أهمية التقدم التكنولوجي وإعداد المهارات العامة للاستفادة منه
- توسع آفاق وإمكانات التعلم الذاتي
- التركيز على التربية بمفهومها الشامل وليس على التعليم فحسب
- الاهتمام بالفروق الفردية وأصبح الطفل محور التربية
- تربية توصف بأنها فردية بروح جماعية [1]

[1]- كايد ابراهيم عبد الحق: مرجع سابق، ص37 وما بعدها

– الانتقال إلى مفهوم التربية المستدامة التي تراعي (حاجات المجتمع/ والنمو الاقتصاد/ وتحافظ على البيئة)

– ظهور مفهوم النظم التربوية

– ربط التربية النظرية بالتربية العملية والتأكيد على جودة الفعل التربوي

– ظهور مفاهيم ديمقراطية التعليم والتربية من أجل السلام والتربية المستمرة وغيرها من السمات التي تعرفها التربية المعاصرة اليوم

– ثورة الطفل، وهو الشغل الكبير الذي تم توجيهه لفهم عالم الطفل بوصفه المستهدف الرئيسي بالعملية التربوية.

– إعطاء التربية الأولوية على التعليم.

– النظر إلى طبيعة الانسان على أنها وحدة متكاملة لا تنفصل جوانبها العقلية والروحية والجسمية.

– التربية عملية استثمارية وعائد هذا الاستثمار أضعاف أي استثمار في أي عامل من عوامل الانتاج الأخرى.

– توفير مناخ تعليمي مطابق للظروف البيئية خارج جدران المدرسة.

– تحرير الطالب من دوره التقليدي كمتلقي إلى فرد فعال نشيط.

– دور المعلم لا يقوم على التعليم والتلقين المباشر وانما دوره هو تنظيم العملية التعليمية للتلاميذ.

– اكساب روح التفاؤل والمرح والتشويق.

– بروز مفاهيم استمرارية التعليم، الزامية التعليم، محو الأموية وتعليم الكبار التعليم والتعلم الابداعيان التعلم عن طريق العمل المباشر المحسوس، والتعليم المبرمج

– ارتباط التعلم بالحياة العلمية وتلاشي مفهوم العلم للعلم.

– ظهور مفهوم التربية الدولية أو التربية من أجل التفاهم والسلام العالمي.

– استحداث بعض النظم التعليمية التي تتحلل من نظام الفصول التقليدي كنظام التعليم بالمراسلة والتعليم بالراديو أو التلفزيون

– ظهور مفهوم الاهتمام بحياة الطفل الحاضرة بدلاً من الاهتمام بإعداده للحياة المستقبلية.[1]

ثانيا– عوامل الثورة التربوية في القرن العشرين والواحد والعشرين

لقد جاءت التربية في القرن العشرين كثورة تربوية على الأوضاع القائمة خلال العصور السابقة، والتي كانت تهمل تماما الطفل باعتباره المحور الأساسي والرئيسي للعملية والفعل التربوي، خاصة الاساليب المتبعة بإعداد المناهج الدراسية والتي كانت قائمة على أساس درس المحتويات والمعلومات التي يجب توزيعها سنة بعد سنة على ضوء ومتطلبات منطق الراشدين، فالمناهج القديمة كانت تجهل ماهية الولد وماهية نموه فتكتفي بأن تعامله منذ سنواته الاولى على أنه طفل راشد.

فعلم نفس الولد الذي لم يعرف إلاّ في نهاية القرن التاسع عشر أين أظهر أنـه من الغباء أن نحاول معاملة الولد بنفس الطرق التي تصلح لمعاملة الراشد، مثلنا في ذلك مثل من يريد ان يغذي الطفل حين ولادته بشرائح اللحم المشوي بحجة أن اللحم مغذ، فالبرامج والمناهج يجب أن تكون متوافقة مع تطور الولد النفسي[2]

ولذلك كان من أهم الثورات التي ظهرت في هذا العصر هو ثورة الطفل وذلك بفعل عوامل نذكر منها

– الاستفادة من الفتوحات العظيمة التي أتى بها علم النفس وعلم الاجتماع في مجال التربية وجعل الفعل التربوي مرتكزا على مجموعة أسس تحقق أقصى غاية من التربية أهمها الأسس النفسية والاجتماعية.

فظهور علم نفس بكل فروعه التي تناولت سلوك الفرد كعلم النفس الوراثي Psychologie génétique الذي يتتبع الكائن في نموه الذهني والعاطفي، وعلم النفس التفاضلي Psychologie differentielle الذي يدرس الفروق الفردية التي يتبعها الكائن في سيره نحو بلوغ الرشد وتحقيق الثقافة، والتحليل النفسي للاوعي وللتواريخ المنسية، وعلم الاحياء

[1]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 190.

[2] – جماعة من أساتذة التربية: التطور التربوي في العصر الحديث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، ص21.

الذي يقيس النمو الفيزي، وعلم النفس الاجتماعي الذي يدرس الوسط المحلي كل هذه العلوم خلقت صعوبات جديدة للتربية وساعدت في فهم الطفل.[1]

– ظهور نخبة من المفكرين الذين أولوا اهتماما كبيرا للطفل وحاجياته وقدموا إضافات فكرية واضحة، ساهمت في زيادة الاهتمام بالطفولة وفهم عالمها وتطوير الدراسات والأفكار التربوية والنشاط التعليمي القائم والمرتكز بالأساس على الطفل، من أمثال بستالوزي ودكرولي وديوي وكرشنستينر ومدام منتسوري و كوزينه.

– الحركة الاجتماعية: وقد تزعمت المربية الكبيرة مدام مونتسوري الحركة الاجتماعية التي قامت لترعى الطفل والتي عبرت عنها بقوة في كتابها (الولد) حيث تقول: لا ريب أن العلوم ساهمت في المحافظة على صالح الولد، كما أن العناية الصحية خففت نسبة وفيات الأطفال ولكن الولد ظل ضحية العمل في المدرسة ولكن اخيراً وبعد سنوات من الدرس، توصلنا الى اعتباره كائناً انسانيا نسيه المجتمع بل نسيه اولئك الذين يحبونه والذين أعطوه الحياة.[2]

– الثورة المعرفية: لقد عرف القرن العشرين ما يمكن أن نطلق عليه بثورة في المعرفة لم يسبق أن عرفها الإنسان كان سببا في نقل العالم إلى مستوى غير مسبوق في كافة المجالات، ويمكن أن نستدل على ذلك مما قاله: يولدنغ أحد كبار رجال الاقتصاد المعاصرين أن التطورات التي حدثت في العالم منذ ميلادي تكاد تعادل جميع التطورات التي حدثت في التاريخ السابق (الميلادي) ويقال إن الأبحاث التي أجريت ونشرت عن الكيمياء في العشرين عاماً الماضية تفوق كل ما كتب عن الكيمياء منذ عاش الإنسان على الأرض، وعدد العلماء الأحياء الآن يفوق أضعاف المرات عدد العلماء الذين عاشوا عبر تاريخ البشرية[3].

– التطور التكنولوجي: ويقصد به تطور التطبيق العملي للمكتشفات العلمية على الصناعة وسائر مرافق الحياة، ويواجه عالمنا المعاصر تطوراً تكنولوجياً مذهلاً يكاد يفوق جميع ما سبق في الثورة الصناعية والثورة الزراعية، وباستخدام هذه المخترعات ووسائل الاتصال المختلفة أصبح الاتصال المباشر بين المعلم والمتعلم ليس ضرورياً، وهذه الأدوات تقوم بدور الوسيط

[1] – جماعة من أساتذة التربية: مرجع سابق، ص22.

[2] – نفس المرجع، ص29

[3]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 190.

كما يمكن الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة في إيجاد الحلول لبعض المشكلات التربوية المعاصرة.

– الانفجار السكاني: تزايد عدد السكان وتزايد الطلب على التربية أدى إلى اختلال التوازن بين ما تنتجه التربية وبين حاجات القوى البشرية اللازمة للتنمية الاقتصادية مما حدا بالمربين إلى أن ينظروا أو يفكروا في وسائل وطرق أخرى جديدة للتربية.[1]

– ظهور مجموعة من الفلسفات والنظريات التربوية المعاصرة التي كانت رد فعل على فكر النظريات في القرون السابقة، أهمها الفلسفة البراغماتية التي قلبت أفكارها الفكر التربوي تماما لما أتت به من أفكار لم يكن للعقل التربوي عهد بها.

[1]– محمد حسن العمايرة: مرجع سابق، ص 191.

خاتمة

لقد قطعت التربية أشواطا كبيرة نحو التقدم والتطور، إن على مستوى التنظير والتصورات أو على مستوى التطبيق والممارسات، مساهمة في تحقيق أسمى غاية للإنسان والمجتمع المعاصر وهو تحقيق الرفاهية في مختلف أشكالها وتيسير سبل ووسائل العيش، حيث مكنته التربية من تسخير الطبيعة والسيطرة عليها وإن جزئيا وذلك من خلال الفكر التربوي الذي مكّن من فهم هذه الطبيعة وتفسير ظواهرها والتنبؤ بها، كما قاد هذا التطور الذي شهده الفكر التربوي إلى إطالة أمد الإنسان بفعل الفتوحات والاكتشافات المذهلة التي شهدها البحث الصحي والطبي، أين وجد حلولا لكثير من الأمراض والأسقام التي كانت سببا في حدوث العديد من الأوبئة والأمراض، ويكفي إلى أن نشير إلى أن أعداد البشر على هذا الكوكب تضاعف فقط مند العام 1920 أي مند القرن 20 من مليارين إلى ثمانية مليار نسمة وهو في ازدياد مطرد من عام لآخر، أما المجال الاقتصادي والصناعي فهو دون أدنى شك أظهر الميادين أو المجالات التي مسّها تطور الفكر التربوي وكان سببا مباشرا في نموها وازدهارها، وتضاعفت معها العوائد المالية والأرباح التجارية لمستويات فلكية، بل إن الاستثمار في التربية أصبح اليوم الحد الفاصل بين الدول المتقدمة أو الثرية وتلك التي توصل بالأقل ثراء، ولا تختلف باقي الجوانب والمجالات الأخرى عن المجالات الاقتصادية في استفادتها من التطور الذي عرفته التربية، فالمجالات الخدماتية أتاحت للإنسان بفعل التطور العلمي والتقني التخفيف كثيرا من المعاناة والمشقة التي كان يعرفها، كما ساهم التقدم التربوي في زيادة الوعي التربوي والتخفيف من حدة المظاهر الاجتماعية السلبية وانتشرت قيم الديمقراطية والسلام العالمي والعيش المشترك، واحترام الثقافات الفرعية وزادت حقوق المرأة والمستضعفين والفئات الهشة وذوي الحاجات والعاهات الخاصة وحقوق الأقليات، وعرف العالم النظام الديمقراطي والمشاركة السياسية والابتعاد عن الظلم والاستبداد السياسي والقهر والتسلط الاجتماعي، وتم القضاء ولو بدرجات متفاوتة على مختلف أشكال الجريمة والآفات الاجتماعية بفعل انتشار الوعي التربوي.

لنصل خلال هذا العصر أو خلال السنوات الأخيرة إلى ما بات يعرف بالتربية الرقمية أو التربية في المجتمع الرقمي، أين انتقل معها الإنسان إلى ما يشبه عالم الخيال الذي لو حدّثت عنها رجلا من العصور السابقة لعدّ هذا ضربا من الجنون، فبعدما كنا نذهب إلى التربية بأقدامنا أضحت التربية تلج إلينا ليس في بيوتنا فقط وإنما معنا في كل مكان نحن موجودين

فيه، وأصبحت التربية متغيرة باسمرار للحد الذي لم يعد ممكنا اللحاق بها ولا الإحاطة بها، وضعا بات يوجب إعادة النظر في كثير من المسلمات والمبادئ التربوية التي استمر بعضها لملايين السنين، نعم هذا هو الواقع المعاصر وهذا هو المستقبل الذي بدأت بوادره تظهر مع بداية هذا القرن، وهي في نمو لا يعلم منتهاه إلاّ الله.

ليبقى علينا أن نشير وكما أشرنا مند أول هذه الدروس أن هذا التطور الذي عرفه الفكر التربوي ويشهده اليوم ما كان له أن يحدث لولا هذه الجهود الكبيرة التي عرفها مند بداية ظهور الإنسان على كوكب الأرض، ومند أول ممارسة تربوية مارسها الإنسان، فكل حضارة وثقافة مرت معنا ما هي إلا مقدمة للحضارة والثقافة التي جاءت بعدها تأخذ وتضيف لما أخذت، حتى وصلت إلى الشكل الذي عليه اليوم، فلا يمكن إطلاقا القول بأن التربية أبدعها الشرق أو الغرب وإنما الإنسانية كلها لها حظ كثيرا كان أو قليل فما وصلت إليه التربية، وأن الحضارة التي توصف اليوم بأن غربية ما كانت لتكون لولا التراث الفكري التربوي الضخم الذي وفد إليها من الشرق.

إن الكوكب الذي نعيش عليه هو كوكب الإنسان يعيش عليه الجميع الشمال الغني والجنوب الفقير، الدول المتقدمة والثرية والأخرى الضعيفة، وما قد يمس هذا الكوكب قطعا سيمس الجميع، وهو ما يحتم العمل المشترك لمواجهة هذا التحدي هذا هو العنوان الأبرز للعمل التربوي في المستقبل وغير ذلك لن يكون ذي جدوى ونفع شاء من شاء وأبى من أبى.

مراجع

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الفكر، بيروت، 2006

2- أبوطالب محمد سعيد ورشراش أنيس عبد الخالق: علم التربية العام، دار النهضة العربية، بيروت، 2001

3- أبيش سمير: مدخل إلى علوم التربية، دار خطوة، سكيكدة، الجزائر، 2023.

4- الجبار سيد إبراهيم: دراسات في تاريخ الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974،

5- جماعة من أساتذة التربية: التطور التربوي في العصر الحديث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963

6- الحاج أحمد علي: أصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2013

7- الحازمي خالد بن حامد: أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2000.

8- خالد أبو شعيرة وثائر غباري وناصر المخزومي: التربية الأسس والتحديات، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2007

9- زايد مصطفى: موجز تاريخ ونظرية التربية، دار الخلدونية، الجزائر، 2012

10- زنار حميد: في نشأة الكون والحياة والإنسان، منشورات الاختلاف ومنشورات الضفاف، الجزائر، 2013.

11- سعيد إسماعيل علي: التربية في الحضارة اليونانية، عالم الكتب، القاهرة، 1995

12- سعيد إسماعيل علي: التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999

13- الشيباني عمر التومي: فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988.

14- شيخية عبد المجيد عبد التواب: تطور الفكر التربوي في العصور القديمة والوسطى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2006.

15- صالح عبد العزيز، تطور النظرية التربوية، ط2، دار المعارف، مصر، 1964

16- عامر طارق عبد الرؤوف: أصول التربية، القاهرة، 2008.

17- عبد الدايم عبد الله: التربية عبر التاريخ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

18- عبد الله زاهي الرشدان: تاريخ التربية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2002،

19- عبود عبد الغني: دراسة مقارنة لتاريخ التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.

20- العمايرة محمد حسن: أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، ط 5، دار المسيرة، عمان، 2008.

21- العمراني عبد الغني: أصول التربية، ط2، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2012.

22- كمال عبد الله والقلي عبد الله، مدخل إلى علوم التربية: محاضرات لطلبة المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2005

23- لوبون جوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار فرس، القاهرة، دت

24- مرسي سعد أحمد: تطور الفكر التربوي، ط 10، عالم الكتب، القاهرة، 1986

25- مصطفى أمين: تاريخ التربية، وكالة الصحافة العربية، مصر، 2019

26- النجار عبد الوهاب: قصص الأنبياء، مكتبة رحاب، الجزائر، 1987

27- النشار مصطفى: في فلسفة التعليم، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2009.